جامعة الفاتح

كلية التربية

قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية

الزمخشري

آثاره ومنهجه النحوي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

من الطالب

عبد الحميد قاسم النجار

اشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الجواد محمد الطيب

١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد أفاقت الأمة الاسلامية من سباتها العميق ، فرأت نفسها تتعثر في خطواتها ، وما تزال آثار تلك السِّنة تثقل أجفانها ، وغسق الليل يحف بها ، فأخذت تفكر طويلا ، فاذا بها تلمح آثار ماضيها البعيد باشراقه المستنير ، وكأنه رؤيا منام .

لقد وجدت نفسها في مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة م.. مزدهرة ، فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ، وعلمت أن بداية الطريق هو البعث الجديد ، فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك الماضي دراسة واعية لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ، ودراسة رجاله وابطاله ، من مفكرين ، وساسة ، وحكام ، وقادة وعلماء برزوا في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر اسلامي عظيم جمع في حناياه العديد من العظماء ، والمفكرين ، منهم العربي الخالص ، ومنهم المستعرب الذي خدم هذا الفكر الإسلامي العربي في جدارة واخلاص لا يقل عن العرب الخُلّص ، بل لقد أصبح هو الآخر عربيا في لسانه ودينه يدافع عن حياض هذه اللغة ، وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ، لسانا وتأليفا ، وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ، فلهم الفضل في ذلك الجهاد

بســـم اللـــه الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد أفاقت الأمة الاسلامية من سباتها العميق ،فرأت نفسها تتعثر في خطواتها ،وما تزال آثار تلك السنة تثقل أجفانها ،وغسق الليل يحف بها ،فأخذت تفكر طويلا ،فاذا بها تلمح آثار ماضيها البعيد باشراقه المستنير ،وكأنه رؤيا منام .

لقد وجدت نفسها فى مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة .. مزدهرة ،فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ،وعلمت أن بداية الطريق هو البعث الجديد ،فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك الماضى دراسة واعية لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ، ودراسة رجاله وابطاله ،من مفكرين ،وساسة ،وحكام ،وقادة وعلماء برزو في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر اسلامى عظيم جمع في حناياه العديد من العظماء ،والمفكرين،منهم العربى الخالص ،ومنهم المستعرب الذى خدم هذا الفكر الإسلامى العربى في جدارة واخلاص لا يقل عن العرب الخلّص ،بل لقد أصبح هو الآخر عربيا فى لسانه ودينه يدافع عن حياض هذه اللغة ،وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ،لسانا وتأليفا ، وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ،فلهم الفضل في ذلك الجهاد

العظيم الذى وقفوا أنفسهم عليه ، وكرّسوا حياتهم له ، فلهم علينا حسن الذكر ، وواجب الأخوة ، وتقدير الخلف البار لأسلافه العظماء .

وليس المقام هنا مقام تعداد مآثر هؤلاء الأعلام حتى أبين ما عليه كل ، وما امتاز به كل واحد منهم فى ميدانه ، فهم لا يحصون عدا ، ومآثرهم لا تقع تحت حصر ، فحسبى أن أتناول أحد هؤلاء الأعلام وهو العلامّة محمود بن عمر الزمخشرى ،على ضوء هذا الفكر الذى بينت .

وقد تناولته تناولا يكشف عن بيئته ، وعصره ، وحياته ، وتعلمه ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمى ، ومنهجه فيه .

ولما كان ذلك العالم الجليل متشعّب الثقافة اللسانية من نحو ولغة ، وتفسير ، وبلاغة ، وأدب . كان البحث ملزما بالالمام بهذه الثقافة المتعددة الجوانب قبل الشروع في الجانب النحوى ، الذى هو موضوع البحث ، وقد كان الزمخشرى فى هذا الجانب متمكنا ، بز علماء عصره بتفوق وابداع .

وكان واجبا علىّ أن أبدأ البحث بالقراءة الشاملة ، فرجعت الى العديد من المراجع المتعددة على تفاوتها ، وتعدد مناحيها ،واتجاهاتها ، وعصورها المختلفة بين قديم وحديث ،ورجعت الى كل ما وصل الىّ من المصادر المختلفة التى تتمثل فى آثار الزمخشرى نفسه ، وما يتصل بها من شروح وحواش .

وقد تم ذلك جمع المادة وتنسيقها ، وعلى هذا الأساس ارتأيت تقسيم البحث على النحو التالى :

مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

أما المقدمة فهي هذه ، والتمهيد فهو في اقليم خوارزم ، من حيث الهيئة الجغرافية ، والاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، وحال اللغة العربية حتى عصر الزمخشري .

وكان الفصل الأول : في نشأته وحياته .

والثاني : في اعتزاله الذي عقدت له فصلا خاصا لأهميته القصوى في حياته ،وتراثه ، وعلمه .

والثالث : كان حول نشأته العلمية ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .

والرابع : كان خاصا بالنحو ، ماثلا في مذهبه النحوي وموقفه من المدرستين البصرية والكوفية ، وموقفه من أئمة النحو السابقين عليه ، ثم عرجت على النحاة اللاحقين له وخصصت منهم أبا حيان ، وابن هشام لتأثر كل منهما بشخصيته العلمية الفذة .

أما الفصل الخامس : فقد جعلته في منهجه النحوي ، والأصول التي قام عليها علم النحو عنده ، وشواهده النحوية .

والخاتمة لخصت فيها أهم النقاط البارزة في البحث ، وما وصلت اليه من جديد فيه ، وما صححته من آراء ومفاهيم وأحكام كانت تتجافى عن الصواب .

وأنا على يقين من أن النتائج الذي يصل اليها باحث في مثل هذا الموضوع ليست هي الكلمة الأخيرة ، ولكن هذا قصارى ما انتهيت اليه ثمرة لما بذلته من جهد متواضع فيه .

والله سبحانه الهادي الى سواء السبيل .

التمهيـــــــــد

اقليم خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة والألف مسترقة مختلسة ليست بالألف الصحيحة • (١)

اقليم خفقت عليه راية الاسلام فى وقت مبكر من فتوحاتنا الشامخة ، وطالما افتخر به تاريخنا العتيد ، فهو شاهد نستدل به على ما كان عليه المسلمون من القوة والسلطان •

ولا يغرب عن بالنا أنه ثغر من ثغور الاسلام المحاذى لبلاد الترك ، قد اكتنفه الشرك من كل جانب ، لذلك كان أهله فى رباط دائم •

ويفخر الزمخشرى بانتمائه الى هذا الاقليم ، ويؤكد أن له فضائل على غيره من البلاد • ويوليه قدسية خاصة فى أحاديث يرفعها الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم • (٢)

وعن ابن عمر أنه سأل رجلا من أهل خوارزم عن بلاده ، فذكر له أن الرجل يغسل وجهه فيصير الماء على وجهه ثلجا •

فقال بشر تلك الوجوه بالجنة • (٣)

وينقل الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار ما كتب عن خوارزم فيقول : "وهى ثغر من ثغور الاسلام ، قد اكتنفها أهل الشرك ، وأحاطت بهم قبائل الترك ، فغزو أهلها معهم دائم ، والقتال فيما بينهم قائم ، ولاخلصوا فى ذلك نياتهم ، وأمحصوا عن طوياتهم ، وقد تكفل الله بنصرهم على عامة الأوقات ، ومنحهم الغلبة فى كافة الوقعات ، ولهم

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ١٤٧

(٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص٥١٩
الزمخشرى : ربيع الأبرار ١ : ٣٤٩

(٣) السامرائى : الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠

السداد والديانة وعندهم الوفاء والأمانة ، وضمائرهم نقية طاهرة ، ورغباتهم فى أصناف الخير ظاهرة ودينهم محبة الاخيار ، ومقت الاشرار والاحسان الى الغرباء ، والتعطف على الضعفاء ، وخصائص أخرى لاتعد ولا تحصى " . (١)

ويعلق الزمخشرى على هذا في قوله : " ان رأس الفضائل فيها هو ما رزقته من المذهب السديد ، مذهب اهل العدل والتوحيد ، الباطشين فيه بقوة السواعد ، الرامين عنه بالنبل الصوارد ، الشاقين فيه دقائق الشعر المطيرين عن نحر اعدائه الشغر ، وذلك في زمان ، وخاصة في زماننا هذا ، فقد أظهر الله فيها ما شاء من السرج وأطال فيها السنة الحجج " . (٢)

ويعرف أهل خوارزم بالجد والنشاط كما أنهم أهل علم وتعلم فقد أنجب ذلك الاقليم العديد من العلماء الافاضل ، من أمثال : الزمخشرى والجرجانى ، والخوارزمي ، وغيرهم .

ولما كانت شخصية الزمخشرى الذى ينتمي الى هذا الاقليم هى محور هذا البحث كان لزاما على الدارس لمثل هذا الموضوع أن يقلب صفحات المراجع التي يراها متصلة بالموضوع ليقتبس منها ما يمكن أن يهديه الى تمثل شخصية ذلك العالم ، الذى حاز اعجاب العلماء في علمه وفضله .

من أجل هذا ينبغي لي أن أبحث جوانب حياته في ضوء بيئته ، وبذلك أستطيع الخروج بصورة صادقة عن بناء شخصيته .

---

(١) ربيع الابرار ١ : ٣٥١

(٢) المرجع السابق ١ : ٣٥٢

البيئة الجغرافية والاقتصادية :

منذ أن تم فتح إقليم خوارزم واسمه يقترن بخراسان ،فكثيرا ما يقال : خراسان وما وراء النهر .

وخراسان تعني في الفارسية القديمة "البلاد الشرقية " ولهذا كانت الكلمة تطلق على جميع البلاد الشرقية وما وراء نهر جيحون والذى كان يعتبر فاصلا طبيعيا بين من يتكلم الفارسية في الغرب ومن يتكلم التركمانية في الشرق .

فيصف الاصطخرى اقليم خوارزم بانه منقطع عن خراسان وعما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جانب . (١)

وبقرب خوارزم على ست مراحل منها بحيرة تستمد من جيحون وبها جبل على ثمانية فراسخ من المدينة . (٢)

والشتاء هناك شديد جدا حتى أن النهر وعرضه ميل يجمد ،والقوافل والعجل الموقرة تمر عليه ذاهبة وآتية ، وكل انواع السوائل تجمد من شدة البرد كما يصفها ياقوت . (٣)

ويصف الجرجانية بأنها عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون ومن أمهات المدن وهى جامعة لاشتات الخيرات ، وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم (كركانج) فعربت الى الجرجانية .

---

(١) الاصطخرى المسالك الممالك ص ١٦٨

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٦

(٣) معجم البلدان ٢ : ١١٩

ومما ينقل فى وصفها : " سرت من دامغان ميامنا الى جرجان فى صعود وهبوط ، وأودية هائلة ، وجبال عالية ... وهى مدينة حسنة على واد عظيم فى ثغور بلدان السهل ، والجبل ، والبر والبحر بها الزيتون والنخل والجوز والرمان ، وقصب السكر والأترج " . (١)

فهذه الأوصاف تنبئ أن اقليم خوارزم وفير الخيرات ، جنى الثمرات فيه حياة الانطلاق والسرور ، فشمسه شارقة ، ومروجه واسعة ، يكسوها الربيع الزاهر والجداول تنساب بمائها العذب الفرات فى أحضان مرابعه البعيدة الأرجاء ، كما تتخللها الأخاديد الملتوية ، والجبال الراسخة بقممها العالية ، وسفوحها التى يظللها الأيك ، فتكتمل الحياة الهادئة للانسان والحيوان والطير . فالمتعة متوفرة ، والمناظر جميلة ، والطبيعة جذابة ، لكن تناقض الجو وتقلبه كما يبدو من وصف بعض الشعراء لها ، قد يكون له تأثيره الذى لا يلائم كل انسان .

ينقل ياقوت عن ابى القاسم كافى الكفاة ذمه جرجان لهذا السبب فى قوله : (٢)

نحن من هوائك يا جر جان فى خطة وكرب شديد
حرها ينضج الجلود فان هبت شمال تكدرت بركود

ويذكر أبو منصور النيسابورى فى شعره اختلاف الهواء بها في يوم واحد . (٣)

---

(١) معجم البلدان ١ : ١٢٠
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع نفسه

فالاقليم على الرغم من شدة حره وبرده ، وتقلب الجو فيه بين ساعة وأخرى فانه كثير الخيرات ، وأسباب الرزق فيه واسعة ،فقد كان أهله في ذلك الحين أصحاب صناعات كالحدادة والنجارة وغيرهما . (١)

وكانت تصدر من ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تنقل الى الافاق وعامة يسارهم من التجارة ،واقتناء المواشي ومن الاوبار والخز ،وغير ذلك من أصناف الوبر . (٢)

وعلى الرغم من مناخ الاقليم المتقلب فأهله أذكياء ،والبيئة تنمي ملكة الادب والشعر ، وتفتح القريحة وتريح النفس ومن ثم أنجب اقليمها كثيرا من أجلة العلماء الافاضل في مختلف العلوم الاسلامية والعربية ،والرياضية والفلسفية وغيرها من أمثال :

الإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ) والإمام مسلم (ت٢٦١هـ) وأبو منصور الماتريدى (ت٣٣٣ هـ)وابن حبان التميمى السمرقندى (ت٣٥٤هـ) ومحمد ابن علي القفال الشاشي (ت ٣٦٥هـ) وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندى (ت٣٧٣هـ) وابو بكر بن فورك الاصفهاني (ت٤٠٦هـ) وكل هؤلاء محدث أو فقيه أو متكلم . (٣)

كما تخرج من علماء تلك الساحة على بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب الوساطة (ت٣٦٦هـ)وأبو منصور الازهرى صاحب التهذيب (ت٣٧٠هـ)

---

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٥٢٠

(٢) المسالك والممالك ص ١٧٠

(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ ـ الزمخشرى ص ٣٠

وأبو عمرو أحمد بن محمد الزوزني وله شرح القصائد السبع (ت٣٧٤هـ) وأبو بكر بن مهران النيسابوري له كتاب الشامل وكتاب الغاية (ت٣٨١هـ) واسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح (ت٣٩٨هـ) وأبو منصور الثعالبي صاحب اليتيمة (ت٤٢٩هـ) وأبو الحسن الباخرزي مؤلف دمية القصر في شعراء العصر (ت٤٦٧هـ) وعبدالقاهر الجرجاني صاحب دلائل الاعجاز (ت٤٧١هـ) . (١)

ومن أشهر العلماء المعاصرين للزمخشري التبريزي (ت٥٠٢هـ) والميداني (ت٥١٨هـ) والجواليقي (ت٥٣٦هـ) وابن الشجري (ت٥٤٢) ورشيد الدين الوطواط (ت٥٧٣هـ) والانباري (ت٥٧٧هـ) وتاج الدين ابن ابي المعالي الخرازي (ت٥٨١هـ) . (٢)

والكثير من غير هؤلاء سيأتي ذكرهم في ثنايا البحث كانوا يجمعون اللسانين العربي والفارسي ولهذا كان بعضهم يوصف بذي اللسانين . (٣)

الخصائص الاجتماعية والدينية في خوارزم :

يذكر الاصطخري من خواص أهل الاقليم ، التعاون فيما بينهم وأنهم أهل مروءة ظاهرة ، واكثر أهل خراسان انتشارا وسفرا ولغتهم تخالف لغة خراسان وخلقهم لا يخفى بين أهلها ، ولهم بأس على القتال ومنعة . (٤)

---

(١) ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ ــ معجم الادباء ١ : ١٠١

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٦١

(٣) الشيرازي : الزمخشري لغويا ومفسرا ص ٦٣

(٤) المسالك والممالك ص ١٧٠

ويحدثنا ياقوت عن بساطة حالهم ، وقناعتهم فى معيشتهم قناعة يكاد يستوى فيها الأغنياء والفقراء • (١)

أما شعورهم الدينى فى تلك المنطقة ، فكان حيا قويا ، فهم ثغر من ثغور المسلمين يحيط بهم المشركون من كل جانب ، والقتال بينهم لا ينقطع ، والعداوة بينهم مستمرة ، وقد أخلصوا نياتهم للجهاد والدفاع عن دين الله ، لهذا فقد تكفل الله بنصرهم على أعدائهم ، ومنحهم الغلبة عليهم • (٢)

ويروى ياقوت أن لهم عادة دينية نادرة الوجود فى مجتمع غير مجتمعهم وهى أن المؤذن يقوم في وقت سحر من الليل يقارب نصفه فلا يزال يؤذن حتى الفجر (قامت قامت) (٣)

ويذكر ابن بطوطة أخرى فيقول : " ان لهم عادة جميلة فى الصلاة لم يرها لغيرهم ، وهى أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما اياهم بحضور الصلاة ، فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضر من الجماعة ، وفى كل مسجد درة معلقة برسم ذلك ، ويغرم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد ، وإطعام الفقراء والمساكين ، ويذكرون أن هذه العادة مستمرة من قديم الزمن • (٤)

ولهم عشيات يجلسون فيها فى جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدى السلطان ، فيبدأ هو فيسأل مسألة يتكلمون فيها • (٥)

---

(١) معجم البلدان ٢ : ٣٩٦

(٢) ربيع الأبرار ١ : ٣٥١

(٣) معجم البلدان ٢ : ٤٨٤

(٤) رحلة ابن بطوطة ٣ : ٤

(٥) أحسن التقاسيم ص٢٨٤

وخوارزم معقل للمعتزلة من فترة طويلة ، حتى ليندر أن يوجد فيها خوارزمي غير معتزلي ولعل الاعتزال صدر اليها من البصرة وبغداد اذ أنه ظهر هناك حتى كاد يعم المشرق كله . (١)

يقول المقدسي : انه وجد أكثر الشيعة في بلاد العجم معتزلة ، واكثر فقهائهم على الاعتزال . (٢) وان العوام في الري يتابعون الرأى الاعتزالي في خلق القرآن .

ويمتاز أهل جرجانية بعدم التعصب في مناقشاتهم ، وينكرون على من تعصب في ذلك .

والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى في الاسواق . يناظرون فيه من غير تعصب واذا رأوا من أحد تعصبا ، أنكروا عليه ، وقالوا : ليس لك الا الغلبة بالحجة ، واياك وفعل الجهال . (٣)

وهناك من هو على غير مذهب الاعتزال ، ويظهر رأيه واضحا دون ضير . يذكر ياقوت أنه سأل القاسم بن الحسين الخوارزمي المولود سنة ٥٥٠هـ ما مذهبك ؟

فقال : حنفي ولكن لست خوارزميا ، ويكررها ثم يقول : انما اشتغلت ببخارى ، فأرى رأى أهلها فهو بهذا ينفي عن نفسه ان يكون معتزليا . (٤)

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٢٨٤
(٢) المرجع السابق ص ٤٣٩
(٣) آثار البلاد واخبار العباد ص ٥٢٠
(٤) معجم البلدان ٦ : ٢٢٩

الناحية السـيـاسـيـة :

ثم للعرب فتح خوارزم سنة (٩٣هـ) بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي (ت٩٦هـ) .(١) وقد تعاقب على الاقليم منذ فتحه كثير من الولاة فكان يحكم حكما مستقرا حتى عهد الطاهريين ، ثم اضطرب فيه الحكم ، وبدأ يدخل مرحلة جديدة منذ حكمه بنو الصفار (٢٥٩ـ٢٦١هـ) . ثم حكمه السامانيون حتى سنة ٣٨٩هـ وكانت عاصمتهم بخارى ،ولغتهم الفارسية ،واجتذبت عاصمتهم كثيرا من العلماء والشعراء ،وكانوا حماة لأهل السنة ،ثم قضى محمود بن سبكتكين على دولتهم سنة ٣٨٩هـ .

وكانت هذه الاحداث تتلاحق فحكمها البويهيون أربعين سنة حتى ٤٢٩هـ ،وكانت هذه الفترة منذ قيام الطاهريين كلها قلاقل واضطرابات أدت الى انفصال بعض الولايات عن الخلافة العباسية ، فاصبحت بذلك امارات أو دولا مستقلة ليس للخلافة فيها سوى الدعاء على المنابر وقد زادت تلك الاضطرابات من أعباء الخلافة العباسية ،وما أن تولى البويهيون حتى أصبحت تلك الخلافة تحت رحمتهم وتعاني من سيطرتهم .

أضف الى ذلك مؤامرات الدولة الفاطمية التي أحدثت في البلاد اضطرابات مذهبية عنيفة بين السنة والشيعة .

لهذا لم يجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤ـ٤٦٧ هـ) وسيلة سوى الاستنجاد بزعيم الاتراك السلاجقة ـ طغرلبك ـ للقضاء على هذا الوضع الشاذ فأمر أن يخطب باسمه في مساجد بغداد .

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٨٣

استولى السلاجقة على مرو ، ونيسابور وبلخ وطبرستان وخوارزم ثم الجبال وهمذان ودينور والرى وأصفهان حتى سنة ٤٢٩هـ وقد حرصوا خلال زحفهم على اظهار تمسكهم بمذهب السنة ومحاربتهم للمذهب الشيعي[١]

فتخلصت الدولة العباسية من الاضطرابات الداخلية الخطيرة ولم يعمر طغرلبك طويلا اذ توفي في رمضان سنة ٤٥٥هـ فحمل لواء الجهاد بعده ضد الروم ابنه ـ الب ارسلان ـ فرأى أن يستولى على حلب وشمال الشام من يد الشيعة كي يحمي ظهره من الخطر الفاطمي .[٢]

فلما توفي ألب ارسلان سنة ٤٦٥هـ وتولى بعده ابنه ـ جلال الدين ابو الفتح ملكشاه ـ سار على سياسة أبيه محاربا للنفوذ الفاطمي في الشام حتى استطاع قائده (اتسز) أن يستولى على دمشق وينتزعها من يد الشيعة بعد عدة محاولات فأخذت الامور بعد فتح دمشق تميل الى الاستقرار ، وقد تعاون على هذا الاستقرار ثلاث شخصيات فريدة في تلك الحقبة وهم : الخليفة المقتدى بأمر الله والسلطان جلال الدين ملكشاه ، والوزير نظام الملك .

وكان هذا الوزير من رجال العلم المشهورين ، ومن أكبر المشجعين على نشر الثقافة العربية والاسلامية فكان أول وزير اتصل به الزمخشري وهو في مقتبل شبابه اذ كان ذا مطامح فسيحة وآمال عريضة ، فوسع اتصالاته بكبار رجال الدولة من ذلك الحين .

---

(١) العبادي : من التاريخ العباسي والاندلسي ص ١٨١

(٢) ابن الاثير : الكامل حوادث ٤٦٣هـ

منذ أن توفي ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ وتولى ابنه -بركياروق- بدأت المنازعات والحروب الداخلية مع اخوته واعمامه مما أدى الى تفكك الدولة فيما بينهم وعجزها عن صد الغارات ،كما هزمت جيوشها أخيرا أمام شاهات خوارزم الذين بدأوا في بناء دولتهم منذ ٤٧٠ هـ على يد أنوشتكين ولم يكن الزمخشرى يبلغ من السن اذ ذاك سوى ثلاث سنين حين فتح عينيه على دولة مستقلة تستطيع منازعة الدول الاخرى .

امتد حكم انوشتكين حتى سنة ٤٩٠ هـ ،وكان الزمخشرى في بداية طموحه العلمى يعمل على نيل مكانته .

فلما خلف (قطب الدين محمد) أباه في الحكم وكان مشهورا بالادب وانصرافه الى العلم ،يبدو ان الزمخشرى قد نال عنده حظوة فهو يمدح فيه رعاية العلم والأدب .(١)

ولما ولى (أتسز) بن قطب الدين محمد اكتسب محبة السلطان وكان راعيا للأدب وأهله حتى أن الزمخشرى أهداه كتابه (مقدمة الأدب).

وكان أتسز أول من طمح في الاستقلال من أفراد هذا البيت ولكن (سنجر) آخر سلاطين السلاجقة عزله اثر ثورته عليه سنة ٥٣٣ هـ ثم عاد الى ولايته بعد قليل .

وفي سنة ٥٣٦ هـ سار أتسز إلى مدينة مرو فهزمه سنجر وقتل ابنه واستولى على خوارزم وأقطعها ابن أخيه ،ثم استردها أتسز وفكر في الثأر لمقتل ابنه .(٢)

---

(١) الجويني : منهج الزمخشرى ص ٣٨

(٢) حسن ابراهيم :تاريخ الاسلام السياسى ٤ : ٩٥

توالت الفتوحات لاتسز حتى تم له فتح نيسابور سنة ٥٣٧هـ ، وفي السنة التالية ٥٣٨هـ (وهى السنة التى توفى فيها الزمخشرى) حاول سنجر محاصرة خوارزم ،ولكنه عجز عن ذلك فقبل الصلح مع اتسز سنة ٥٥٠هـ(١)

فالفترة التى عاصرها الزمخشرى كانت فترة قلاقل مستمرة ،وحروب تكشف عن ساقها بين حين وآخر • فمرة بين جند السلاطين وخلفاء بغداد وأخرى بين الدويلات التى انفصلت عن الخلافة العباسية وكانت هذه الحروب على مستويات شتى ،فتكون بين الامراء كما تكون بين الحكام ذوى الاخوة والاعمام •

البيئـــة الثقافيـــة

ينبغى لمن يتحدث فى هذا الجانب أن يلقى نظرة على الثقافة قبل الزمخشرى ،فهى المعين الذى ورده ومنه سجله •

والحديث يعود بنا الى الفتوحات الاسلامية ،واختلاط الشعب العربى بغيره من شعوب الاسلام اذ التقت أنواع الثقافات التى حملتها تلك الشعوب على اختلاف جنسياتها •

فالعرب لهم ديوانهم الشعرى والنثرى متوجا بالقرآن الكريم ثم الحديث الشريف ،والعلوم الشرعية واللسانية ، والبلاد المفتوحة تحمل الوان حضاراتها ،وآدابها المتنوعة ،فتكونت تلك الثقافة الجديدة فى الدولة الاسلامية •

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى ٤ : ٩٥

تطور الزمن على هذا الانفتاح ،وأخذ النشاط العلمي ينمو نموا مطردا فأصبح هناك العلماء والمؤلفون ،والمترجمون ،والمدرسون كل في ميدانه وانتشرت المكتبات فعمت الاقطار الاسلامية .

ولما انفصل من جسم الخلافة العباسية مجموعة من الدول ،استقلت كل واحدة منها عن الاخرى . أخذ أمراؤها يقلدون قصر الخلافة في كل شئ ،والعلم أهم ما يلقى على الأمراء المهابة والجلال ،ففتحوا قصورهم للعلماء والنحاة ،والأدباء والشعراء والمؤدبين ،والمنجمين . فكثرت المحاورات والمناظرات بين العلماء ،فزاد التنافس بينهم .

ولم يكن اقليم خوارزم في عزلة عن الحياة العلمية والأدبية الجارية في ذلك الحين ،سواء في عهد السامانيين ،أو البويهيين ،أو السلاجقة . فقد نشط أهله في تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ،وكانت المدارس في الإقليم كثيرة ،والمكتبات منتشرة ، والحكام حريصون على تشجيع الحركة العلمية ،وتقريب العلماء والشعراء إليهم ليضفوا على ملكهم جمالا وهيبة ووقارا لينافسوا جيرانهم السلاجقة في الجاه والصيت .

يقول النسوى عن خوارزم : ان سلاطينهم عمروا قصورهم بالشعراء ، والكتاب والعلماء من فرس وعرب .وقربوهم إليهم وأغدقوا عليهم ،كما فتحوا المدارس ،وشجعوا الوعاظ ،على الرغم من أن بعضهم كانوا أتراكا قليلى المعرفة باللغة العربية . (١)

---

(١) النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتى ص ٥١

ويصفه المقدسي بأنه أجل الأقاليم ،وأكثرها أجلة وعلماء ،وأن الفقهاء فيه يبلغون درجة الملوك .(١)

وكان موقف الحكام يشجع أهل العلم على المحاورة ،والمناظرة ،وكان الكثير منهم يناقش العلماء ويجادلهم .

يروى أن عضد الدولة ،كان محبا للعلم ،مؤثرا للعلماء ،وقد حدث أنه كان يتلقى النحو واللغة على أستاذه أبي على الفارسي فسأله يوما بماذا ينتصب الاسم المستثنى في نحو: قام القوم إلا زيدا ؟

فقال أبو على :ينتصب بتقدير أستثنى زيدا .

فقال عضد الدولة :لم قدرت أستثنى زيدافنصبت ؟ هلّا قدرت امتنع زيد فرفعت ؟

فقال أبو على : هذا الذى ذكرته جواب ميداني ،فإذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح .(٢)

ولما صنف أبو على لعضد الدولة كتاب (الإيضاح) .

قال له : ما زاد على ما أعرف شيئا وإنما يصلح هذا للصبيان فألف له كتاب التكملة .(٣)

وكان من وزراء هذه الدولة الصاحب من عباد ،الذى لم تشغله الوزارة وأعباء الحكم عن الاملاء والتأليف في اللغة .(٤) وكان في قصره بأصبهان والرى وجرجان عشرات من ذوى العلم والأدب .(٥)

---

(١) أحسن التقاسيم ص٨٤

(٢) معجم الادباء ١٢: ٦٦ ــ ابن العماد :الشذرات ٣: ٨٨

(٣) معجم الادباء ٧: ٢٣٨

(٤) القفطى : انباه الرواة ١: ٢٠١ ـ كشف الظنون ١: ٢١٠

(٥) يتيمة الدهر ٣: ١٩٢

وكان له أصدقاء من العلماء ،وندماء في العلم يلوذون به • (١)

وكان السامانيون لا يقل شأنهم عن البويهيين في تقدير العلماء فكان نوح بن منصور الساماني يقدر العلماء ،ويؤثر الانتفاع بهم في شئون الدولة ،ولما سمع بشهرة الصاحب بن عباد ،كتب يستدعيه إلى بخارى ليفوض إليه وزارته ويدبر مملكته فاعتذر الصاحب بسبب كتبه التي تحتاج – فيما يقال – إلى أربعمائة جمل لنقلها • (٢)

واشتهر وزيران من السامانين بشغفهما بالأدب والعلم وهما : أبو الفضل بن عبيد الله العلقمي الذي كان وزير المنصور بن نوح الساماني وهو الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية ،وأبو عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني الذي كان وزيرا للملك السابق • (٣)

أما الدولة التي قامت على أنقاض الدولة البويهية وهي دولة السلاجقة فلم تكن أقل عناية بالعلم والعلماء من سابقتها •

فقد قيض الله لها منذ تأسيسها الوزير (نظام الملك)الطوسي وكان من رجال العلم المشهورين ومن أكبر المشجعين على نشر الثقافة بعامة والثقافة الاسلامية بخاصة فأمر ببناء المدارس في أكثر المدن وأجرى لهم الجرايات العظيمة • (٤)

وكان يصافي العلماء النابغين فيوليهم المناصب الرفيعة ويؤمن لهم الرزق لينصرفوا إلى العلم •(٥)

---

(١) الثعلبي : رواية العربية فيما وراء العراق ص٥٣

(٢) المرجع السابق

(٣) الزمخشري ص٢٦

(٤) الكامل في التاريخ ط٢ ٨ : ١٦٢

(٥) الزمخشري ص١١

كما جعل لعامة العلماء فرضا على الدولة تؤديه إليهم ليظلوا في مأمن من عوادي الزمن (١) .

شجع هذا كله الآباء على تأديب أبنائهم ليؤهلوهم لحضور مجلسه والحظوة بقربه فنشأ للناس أولاد نجباء ، يصلحون لما يهيئهم له الوزير اذ كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له ، وإن وجد في بلده من تبحر وتميز في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا ، وجعل فيها دار كتب (٢).

وممن عنوا بالثقافة الإسلامية من السلاجقة محمود بن سبكتكين ، فقد جمع العلماء في سجستان وكلفهم وضع كتاب في التفسير يجمعون فيه أقوال المفسرين ، ويبينون فيه وجوه القراءات وعلل النحو والتصريف ويضمون إليه ما رواه ثقاة الحديث ، وتم هذا العمل الضخم في مائة مجلد (٣) .

وذكر النسوي أن السلطان محمد بن تكش سير الى خوارزم (برهان الدين محمد بن عبدالعزيز البخاري) رئيس الحنفية ببخارى ، وكان في جملة من يعيش في ظل برهان الدين ما يقارب ستة آلاف فقيه (٤) .

لاحظ العلماء الى جانب ما عليه الأمراء من الاهتمام بالعلم ، ميلهم الى اقتناء الكتب ، فأصبحوا يهدون إليهم كتبهم أو يؤلفون لهم كتبا خاصة يطلبونها .

فألف اليزيدي كتاب (المختصر) في النحو لأولاد المأمون (٥) .
والف الفراء كتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (البهي) لعبدالله

---

(١) الزمخشري ص ١١
(٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٦
(٣) رواية الحربية فيما وراء العراق ص ٧٣
(٤) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٦٨
(٥) الفهرست ص ١٠٠

ابن طاهر . (١)

وصنف ابن دريد أكبر كتبه وهو (الجمهرة) لآل ميكال .

وأهدى أبو على الفارسى كتاب (الإيضاح) وكتاب (التكملة) لعضد الدولة البويهى .

وألف أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب (الغريب المصنف) الذى ألفه في ثلاثين سنة ،وجاء به الى عبدالله بن طاهر ،فأمر له بألف دينار ، ولما ألف غريب الحديث) أهداه إليه فقال : "ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق ألّا يحوج إلى طلب معاش . وأوصى له كل شهر بعشرة آلاف درهم . (٢)

وصنف أحمد بن فارس كتاب فقه اللغة ،وأهداه إلى الصاحب بن عباد و يعرف بالصاحبى إلى اليوم .

وتطبيقا لهذه العادة أهدى الزمخشرى كتاب (مقدمة الأدب) إلى الأمير (أتسز) بن خوارزم شاه .

يتبين من هذا أن رؤساء الإقليم وحكامه لم يكونوا مشجعين للعلم فحسب بل كانوا علماء على الوجه الذى أوضحنا جانبا منه ،فكان طبيعيا أن تذخر عواصم هذا الاقليم بالعلماء وأن يكون للعلوم الاسلامية والعربية فيه شأنها الملحوظ .

المراكز الثقافيـــــة :

كان من أثر انتشار الثقافة أن تعددت المراكز الثقافية فى العالم الإسلامى

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٥

(٢) المرجع السابق

وحفلت هذه المراكز بالعلماء فى مختلف الميادين وكانت اللغة العربية هى لغة العلم والسياسة والثقافة حتى فى ايران حيث كانت الكتابة بغير العربية فى ذلك الحين تعد نقصا كبيرا (١) .

كان الناس يتسابقون إلى اقتناء الكتب فى جميع فروع المعرفة فازدادت حركة التأليف والترجمة ، وازداد بذلك افتتاح دور الثقافة التى كان يردها كل طبقات العلماء ، والطلاب والمثقفين على مختلف درجاتهم فلنلق نظرة على تلك المراكز فى ذلك الحين .

المســـاجـد :

المسجد من أعظم مراكز الثقافة العربية والإسلامية وكان هو المكان الذى يتخذه العلماء مثابة لهم والمقر الذى يتخذونه لعقد جلساتهم . منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر والمسجد ينهض بتدريس مختلف العلوم ، كما نعرفه عن الأزهر الشريف الذى تطور إلى جامعة الازهر أخيرا والذى كان إلى جانب التدريس يقوم بشئون الطلاب ويقدم لهم المنح الدراسية .

وكذلك مسجد القرويين فى فاس ، والزيتونة فى ~~تونس~~ تونس ومساجد قرطبة التى اجتذبت إليها الأوربيين لارتشاف العلم والتزود من الثقافة الإسلامية وكان من أوائل هذه المساجد مسجد عمرو بن العاص وجامع أحمد بن طولون بمصر (٢) .

---

(١) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص ٤٥

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٤ : ٤٢١

المكتبــــات

لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي ،وتقدمت صناعة الورق ،تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين ،واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم ،فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية • ويهمنا من هذه المكتبات بالدرجة الأولى المكتبات المحيطة ببيئة الزمخشري وتتلخص فيما يلي :

مكتبات مرو : بها خزانة لنظام الملك في مدرسته ،وخزانتان للسمعانيين وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ،وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها •والخزائن الخاتونية •

— مكتبات مرو —

وفي هذا يقول ياقوت : كانت/عامرة بالكتب ولاسيما في خزانة السلطان سنجر السلجوقي ،وأنه كان بها عشر خزائن لم ير في الدنيا مثلها كثرة وجودة ،منها خزانتان في الجامع ،احداهما يقال لها (العزيزية) وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها • والأخرى يقال لها (الكمالية) وبها خزائن شرف الملك المستوفي • (١)

مكتبة نوح بن نصر الساماني ،وقد ذخرت بكثير من الكتب النادرة • (٢)

مكتبة الصاحب بن عباد وقد اعتذر بسببها عن تلبية دعوة نوح بن منصور الساماني ،اذ تحتاج لنقلها الى أربعمائة جمل كما سلف ذكره • (٣)

مكتبة مؤيد الدين البلعمي وزير المستعصم وكانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب • (٤)

---

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

(٣) المرجع السابق

(٤) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

لم تكن هذه المكتبات مجرد خزائن للتباهى بل كانت تمد أصحابها ومن يلوذ بهم من الباحثين والعلماء والطلاب بفيض من العلم كل فى اختصاصه وميدانه وهى سهلة التناول كما يذكر ياقوت . (١)

المــدارس :

لم تنشأ مدارس اسلامية قبل بداية القرن الخامس الهجرى حيث كانت المساجد تقوم بمهمة نشر العلم .

وأول مدرسة أنشئت وانتظم فيها الطلاب للتعلم هى المدرسة البيهقية نسبة للإمام البيهقى ت ٤٥٤هـ — فى نيسابور . (٢)

والثابت أن نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقى أسس المدرستين اللتين تعرفان باسمه فى بغداد ونيسابور ،وتعرف كل منهما بالمدرسة النظامية ،كما أسس المدرسة الحنفية فى بغداد ،وانتشرت مدارسه فى شتى البلاد مثل : نظامية بغداد ،ونيسابور وأصفهان ، ومرو وعسكرمكرم ،وخوزستان ،والموصل ،وهراة ،وبلخ و وآمد ونظامية طوس . (٣)

وقد اتخذ السلاجقة نظام المدارس منشآت سنية لمحاربة المذهب الاسماعيلى الشيعى وسار على هذه السياسة نورالدين محمود زنكى فى الشام ،ثم صلاح الدين الأيوبى فى مصر للقضاء على الدعوة الفاطمية . (٤)

والكثير من هذه المدارس تقع فى إقليم خوارزم ،وما حوله من المدن وذلك

---

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) الزمخشرى ص١١٣ لغويا ومفسرا ص٤٧

(٣) المرجع السابق ص٤٨

(٤) من التاريخ العباسى والاندلسى ص ٢٠٠

مثل المدارس المنتشرة في : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ وآمد ، وطوس فضلا عن المدارس التى بناها الامير سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى في الاقليم نفسه وهى : مدرستان باسمه ، وثالثة سماها السعيدية ، ورابعة بناها لابى اسحق الاسفراييني .

ولم يكن بناء المدارس فى البلاد الشرقية مقصورا على الملوك والوزراء بل كان العلماء والشعب يسهمون فى هذا المضمار كابى بكر البشتى ، فقد أنشأ مدرسة نيسابور ، ووقف عليها الكثير من امواله وعقاره .(١)

وبذلك كانت البلاد الشرقية من الخلافة العباسية تربة طيبة تنبت أجلاء العلماء من المتخصصين في مختلف العلوم كما سيأتى فى موضعه .

بـــلاط الحـــكام :

بدأت دار الخلافة ملجأ للعلماء ، والشعراء منذ الصدر الاول ، عندما دون الخليفة العادل عمر بن الخطاب الدواوين ، وتطورت الامور بعد ذلك حتى استقر الحكم للخلفاء الأمويين الذين فتحوا دورهم للشعراء والنسابين ، وما مدائح الفرزدق وجرير والاخطل عنا ببعيد .

وما أن قامت الخلافة العباسية حتى توسع الامر بفعل الترجمة والتأليف ، ففتح الخلفاء العباسيون دورهم المناظرات ، والمناقشات العلمية فأضحى ذلك عادة تأثر بها الحكام الجدد الذين اقتطعوا ولايات من أطراف الخلافة ، فأصبحوا حكاما ينافسون دار الخلافة بالعلم والعلماء حتى أمسى بلاط كل منهم مركزا تقام فيه المناظرات واليك منها :

---

(١) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص ٤٨

بـــلاط بني بويه في أصبهان والري ،والبلاط الساماني في بخاري

و بلاط شمس المعالي قابوس بن ،وشكمير في طبرستان، وبلاط خوارزمشاه مأمون الثاني في خيوة ،وبلاط محمود الغزنوي في غزنة وبلاط السلاجقة في مرو حاضرة خراسان حيث أقام أمراء السلاجقة ولا سيما السلطان سنجر في عهد الامراء الخوارزميين .

والمعلوم ان هذه كلها تقع في إقليم خوارزم أو حوله وكان الزمخشري قد اتصل بهذه الحواضر ،وخاصة اتصاله بامراء الخوارزمين .

اللغة العربيـــــة في الاقليـــم الشرقي :

بحكم انتشار الثقافة العربية والاسلامية في خوارزم وما حولها ،تلزم الأشارة الى ما كانت عليه اللغة العربية هناك .

أخذت اللغات القومية تختفي من وجه العربية شيئا فشيئا لتحل محلها لغة القرآن الكريم ،حتى أصبحت لغة السياسة ،والحكم ،والاد ب والثقافة بجانب الدين الاسلامي .

ولما تمزقت اطراف الخلا فة وانتزع الولاة منها ما يقيمون عليه دولا تحكمها أسر غير عربية ،شجع أولئك الحكام الجدد مثل الصفاريين و السامانيين ، العلماء والأدباء على الكتابة باللغة الفا رسية وإحياء تراثها فأخذت اللغة الفارسية تعود في شرق ما بين النهرين ،كما بدأت اللغة العربية تفقد مكان الصدارة في تلك البلاد رويدا رويدا ،وكان ذلك في القرنين الثالث والرابع .

يروى عن احياء اللغة الفارسية أن السلطان يعقوب بن ليث الصفاري

عندما تولى العرش ،جاءه الشعراء العرب ،ونظموا له أشعارا بالعربية ،
فرد عليهم قائلا : لا أفهم هذا اللسان ،ولا أريد أن اسمع ما لا افهم (١) .

يتبين من هذا أن إحياء اللغة الفارسية بدأ في عهد الصفاريين (٢٥٤ـ ٢٦٥هـ . وجاء بعدهم السامانيون ،فسعى سلاطينهم لإحلال اللغة الفارسية مكان العربية حتى ظهر في عهدهم من بلاد ما وراء النهر وخراسان كثير من الشعراء ،والكتاب باللسان الفارسي ،فأخذت اللغة الفارسية مكانتها في البلاط (٢٦١ـ٣٨٦هـ) فأكب العلماء والأدباء على ترجمة الكتب العربية الى الفارسية فترجم تفسير الطبرى ،وترجم تاريخه بأمر من الملك منصور بن نوح الساماني .

وقد لاحظ المتنبي هذا التغيير ،وغربة اللسان العربي حين مروره ببلاد فارس ،قاصدا عضد الدولة فقال قصيدته التي يقول فيها (٢) :

مغاني الشعب طيبا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان

×××

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

وقد ظل للغة العربية السيادة التامة في الشام ومصر والحجاز والعراق والبيئات القريبة من الجزيرة العربية . واحتفى بها العلماء والأدباء والشعرا والمفكرون ، وألفوا فيها نفائس الكتب العربية والاسلامية .

وقد حدث رواج للغة العربية في الاقليم الشرقي خلال القرنين الخامس والسادس ،خصوصا بعد قيام العهد السلجوقي ،فاهتموا باللغة العربية وآزروها ،فهي لغة الدين والحكم والثقافة .

ولم يمض سوى قرن من تولى السلاجقة للحكم حتى اختفى الكتاب الفرس من الدواوين ، وحلّ مكانهم كتاب عرب أو مستعربون .

وهكذا نجد ان اللغة العربية في عصر الزمخشري كانت لها الغلبة ،

---

(١) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص ٦٣ .

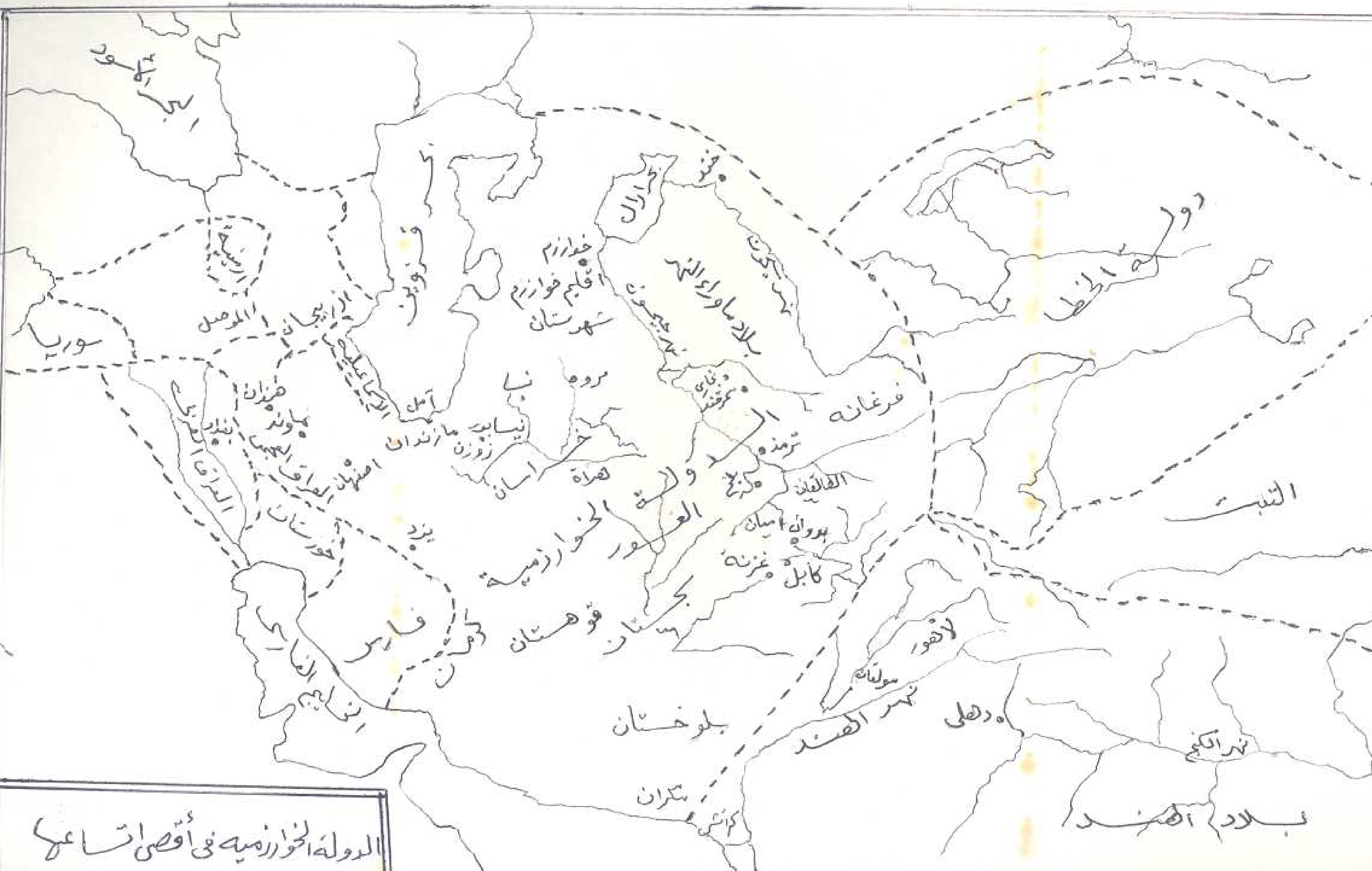
(٢) المرجع السابق .

فقد زاحمت اللغة الفارسية فطغت عليها ذيوعا وشهرة ،حتى يئس الكتاب الفرس من احياء لغتهم ،فأخذوا فى نشر العربية واذا كتبوا بالفارسية كان الاسلوب والكلمات والاستدلال بالآيات والاحاديث ،والاشعار كلها عربية لذلك أخذ الادباء الفرس يهتمون بحفظ اللغة العربية وقواعدها وكان جل همهم أن يتعلموا نحوها وصرفها .

ولعل الزمخشري كان له نصيب المشاركة فى نصرة اللغة العربية ... ومهاجمة خصومها . (١)

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٧



الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها

الفصـــــــــل الاول

الزمخشـــــــــرى

نشـــــــأتـه وحيـــــاتـه

اسـمه ،كنيـته ولقبـه :

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ثم الزمخشري .

وقد اتفق كتاب التراجم على الاسمين الأول والثاني من هذه السلسلة أما الثالث والرابع ،وهو (محمد بن أحمد) فمنهم من ذكرهما على هذا الترتيب ،(١) ومنهم من خالف بينهما .(٢)

وهناك من ذكر (محمود بن عمر) دون أن يزيد على ذلك (٣) ولا أعتقد أن بينه وبين ما سبق خلافا ،ولكنه من قبيل الايجاز والاكتفاء.

ويذكر السامرائي أن هذا الاسم نقله من خط الزمخشري نفسه في اجازته للسلفي .(٤) ولعل هذا هو الصحيح بين ما عرضناه .

ويكاد يجمع المؤرخون والباحثون على أن الزمخشري يكنّى (أبا القاسم) ولم أر من شذ عن هذا فيما تحت يدي من مراجع الا ابن العماد في كتابه (شذرات الذهب) فكنيته عنده (أبو القسم) اللهم الا أن يكون ذلك خطأ مطبعيا لا يستحق الوقوف عنده .

وفي كل حال هو مشهور بأبي القاسم ،ويؤيد ذلك مقاماته التي تتخللها هذه الكنية دائما دون اختلاف أو تغيير .

ويلقب الزمخشري (بجارالله) وهذا اللقب الذي عرف به ،لانعرف أحدا لقب به غيره ،فمن أين جاءه هذا اللقب ؟ ومن الذي لقبه به ؟

بعض الروايات تذكر أنه لقب بجار الله ،لكثرة مجاورته لبيت الله العتيق .(٥)

---

(١) وفيات الاعيان ٥: ١٦٨ ـ تاج العروس ١١: ٤٤٩
ابن العماد : شذرات الذهب ٤: ١٢١ ـ النجوم الزاهرة ٥: ٢٧٤

(٢) معجم الادباء ١٩: ١١٧ ـ الحوفي : الزمخشري ص ٣٥

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١ : ٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية باللغة العربية ١٠: ٤٠٣

(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ص ٢٢ ـ الشذرات ٤: ١١٨

(٥) ابن يعيش ١: ٢ ـ تاج العروس ١١: ٤٤٩ ـ النجوم الزاهرة ٥: ٢٧٤

أما الذي لقبه به فلعله شيخه وتلميذه علي - التصغير - بن عيسى بن وهاس حين حضر عليه وقت جواره فأطلق عليه هذا اللقب . (١)

ومن ألقابه نسبتان ، هما : الزمخشري والخوارزمي ، وقد صار على النسبة الاولى ، كثير من المؤرخين ، وأصحاب التراجم ، منهم : القزويني في (آثار البلاد وأخبار العباد) وياقوت في (معجم الادباء) ووافقهما بعض المحدثين . (٢)

أما نسبته (الخوارزمي) فقد نسبه بها : الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غبر) والزبيدي في معجمه (تاج العروس) .

وهناك من يجمع بين النسبتين فيقول : (الزمخشري الخوارزمي) ومن هؤلاء : ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة) وابن العماد في كتابه (شذرات الذهب) .

فهو منسوب مرة الى قريته ومسقط رأسه (زمخشر) وأخرى الى إقليمه خوارزم الذي طالما افتخر به .

ولكن نسبته التي اشتهر بها هي النسبة الى قريته ، وكانت قرية صغيرة ليست بذات بال كما يروي الزمخشري نفسه في رسالته التي كتبها لابي طاهر السلفي ردا على دعوته له في طلب الإجازة حيث قال : " وأما المولد فقرية مجهولة من خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه الله يقول : اجتاز أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل : اسم القرية زمخشر واسم كبيرها الرداد . فقال : لاخير في شر ورد ولم يلم بها " (٣)

ويبدو ان القرية قد تطورت بها الحال في عهد المقدسي ، اذ كتب عنها يقول : "زمخشر : قرية صغيرة عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة والجسور ترفع كل ليلة ، والجادة تشق البلد والجامع ظريف بطرف السوق " (٤)

ولم تشهر القرية الا بعد أن نبغ الزمخشري وطار صيته ، فعرفت بانتسابه اليها .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠ - البلاغة القرآنية ص ٢١ الزمخشري : الاحاجي النحوية المحقق ص ٥

(٣) معجم البلدان ١ : ١٤٧ - تاج العروس مادة زمخشر

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٨٩

مولـــــده :

أكثر المراجع التي رجعت اليها تنبئ أن ولادة الزمخشري كانت في قريته التي ينسب اليها (زمخشر) في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة (١) .

ولم يحدث خلاف بين المؤرخين وأصحاب التراجم في مكان ولادته أما تاريخها فيذكر القفطي أنه ولد في أواخر شهر رجب سنة ثمان وستين وأربعمائة . (٢)

ولعل إجماعهم يرجح بما اعتمده القفطي في ولادته .

أصلـــه وأســـرتـــه :

تشير الدلائل التاريخية الى أن الزمخشري كان فارسيا ، ومع هذا فمن يتابع سيرته يرى مدى اندفاعه نحو العروبة والدين الاسلامي ، واخلاصه لهما ، وذوده عن حياضهما .

وقد يلاحظ المقتفي لترجمته أن ليس هناك بين المراجع من تعرض للبحث عن أصله أو أسرته ، ولعل السبب في ذلك أن آله ـ باستثناء أبيه ـ كانو من المغمورين الذين لم يتح لأحد منهم مكانة سياسية أو ثقافية أو اجتماعية ، أو علمية تظهره كما فعل الزمخشري نفسه .

والحديث عن أسرته لم يأت إلا عن طريقه ، وذكر أقربائه لم يصلنا الا في شعره ، وليس لنا شاهد على ما يقول عنهم في ديوانه سواه .

وقد بين لنا مدى استقامة اسرته ، ونزاهتها في أبيات من شعره (٣)

كما ذكر أباه وما يكتنفه من تقوى ، فهو صوام قوام ، ذو طباع صافية وهو ممتقع اللون من خشية الله ، وكان محولا كما يوحي بذلك شعره . (٤)

---

(١) انظر : ابن الانباري : نزهة الألباء ص ٢٩٢ ـ معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ ـ الزمخشري ص ٣٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣ ـ المزهر ٢ : ٤٦٨ ـ الكشاف ٤ : ٣٠٧ ـ منهج الزمخشري ص ٢٣ ـ الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠ ـ المدارس النحوية ص ٢٨٣ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ٢٧١

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٢٥

(٤) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ص ٢٦ ـ البلاغة القرآنية ص ٢٤

ويبدو أن أباه قد وشى به الوشاة إلى كافي الكفاة مؤيد الملك (ت ٤٩٤هـ) (١) فسجنه، ومكث في السجن بضع سنين، وكان سبب سجنه مجهولا إلا أن الواضح من شعر الزمخشري أن السبب كان سياسيا فهو يستعطف (مؤيد الملك) ويستشفعه بفضل أبيه، وبعلمه وبالضعفاء من اطفاله، وهو يرى في سجن أبيه أسرا، وليس ارتكابا لجريمة ضارة بالمجتمع فيقول : (٢)

أكفا الكفاة مؤيد الملك الذى — خضع الزمان لعزه وجلاله

ارحم أبى لشبابه ولفضله — وارحمه للضعفاء من أطفاله

ارحم أسيرا لورآه من العدى — أقساهم قلبا لرق لحاله

ولكن مؤيد الملك لم يستجب لنداء الزمخشري في طلب الرحمة بأبيه ذلك لأنه كان سياسيا حريصا، شديد الحيطة، ولعل هذه الصفات هى التى دفعت بعض المؤرخين أن يصفوه بسوء السيرة كما فعل ابن الاثير (٣).

مات والد الزمخشري فى السجن ولم يتجاوز عمر الابن فى ذلك الحين إحدى وعشرين سنة، وكان أبوه قريب عهد بالشباب حين توفي كما ينبئنا شعر الزمخشري . (٤)

وهكذا فقد أبوه الذى شمله بعطفه، ورعاه فى حداثته . ومما زاد الابن حسرة وأسى أنه لم يكن عند أبيه حين وافاه الاجل، فهو دائم الترحال في طلب العلم، ووالده مكبل فى ظلمات السجون، ويبدو أنهما كانا يحسان لذعة الفراق معا فى حياتهما، فكيف الفراق الدائم الذى يعبر عنه فى هذا الرثاء : (٥)

---

(١) هو ابن نظام الملك الذى كان يتولى رياسة دواوين السلاجقة فى ذلك الحين .

(٢) منهج الزمخشرى ص ٢٥

(٣) الكامل فى التاريخ ٨: ١٩٧

(٤) بهيجة الحسنى : الزمخشرى شاعرا ص٥ — الزمخشرى مناقب العشرة المحقق ص١٠

(٥) منهج الزمخشرى ص٢٦ — البلاغة القرآنية ص٢٤

ياحسرة أننى لم أروغلته ... وغلتى بزمان فيه نجتمع
قد كنت أشكو فراقا قبل منقطحا ... وكيف لى بعده بالعيش منقطع

هذا شأن أبيه ، حياة كلها إرهاق ، وعيلة وسجن ، وموت بطئ .

أما أمه فنلمس مما ذكره عنها أنها صالحة تقية ، ذات عاطفة رقيقة حتى على بغاث الطير أو ضعاف الحيوان .

فقد تحدث عن سبب سقوط رجله حين سئل عن ذلك ، فقال : دعاء الوالدة ، وذلك أنه كان فى صباه أمسك عصفورا ، فربطه بخيط فى رجله فأفلت من يده ، فأدركه وقد دخل فى خرق ، فجذبه فانقطعت رجله فى الخيط ، فتألمت والدته لذلك ودعت عليه .. بقطع رجله كما قطع رجل العصفور ، فلما وصل الى سن الطلب رحل الى بخارى يطلب العلم ، فسقط عن الدابة ، فانكسرت رجله ، ثم انتهى الأمر الى قطعها بسبب ذلك (١) رقة انسانية فاقت عاطفة الأمومة ، فقد أنساها نزع رجل العصفور ابنها فاندفعت تلقى عليه اللوم ، فتدعو تلك الدعوة التى انطلقت وكأنها سهم أصاب هدفه .

كان لهذه الام أثرها البالغ فى حياة صغيرها ، فقد سهرت على تهذيب طبعه ، وحسن تربيته فنبت نباتا حسنا ، وصار الى ما صار اليه من صلاح وتقوى ، وخدمة للعلم والدين .

ان شيئا بعد هذا عن حياة أمه لم يصلنا ، وأكثر من هذه القصة التى ارتبطت بقطع رجله لم نعرف عن حياتها ، أو أسرتها ، أو عملها شيئا وكل ما هنالك هو رثاؤه اياها رثاء ينم عن شدة جزعه ، وتفجعه عليها (٢) فهو يبكيها بدمعة لاتجف ، ويتمنى أن تكون روحه وأرواح عشيرته لها فداء .

أما عن أقاربه فقد ذكر من ضرستهم المنية منهم ، ذكر أن له جدا وأخا ، وعما وخالين شهد المنايا تتخطفهم ورثاهم في شعره . (٣)

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ ــ الشذرات ٤ : ١١٨ ــ الوفيات ٥ : ١٦٨
(٢) الزمخشرى شاعرا ص٩
(٣) منهج الزمخشرى ص٢٧

هذا كل ما نعرف عن أسرة الزمخشري وآله ، وهي كما ألمحنا إشارات عابرة جاءت على لسان الرجال في شعره .

شخصيته :

البحث في الشخصية هو البحث في صفاتها ، وهي إما حسية أو معنوية

فالحسية : تقوم على الصفات الخلقية من المحاسن والعيوب .

والمعنوية : تقوم على الأخلاق التي يتفاعل بها الانسان مع المجتمع

وأهم ضوابط هذه الصفة هو الدين ، فكلما زاد قرب الانسان منه كلما استقام خلقه ، وكلما بعد عنه كلما تاه والتبس عليه أمره .

ولم يصلنا شئ عما كتب في صفات الزمخشري الحسية ولعل ما كتب عن صفاته المعنوية أضعاف ما كتب عن صفاته الجسدية .

والصفة الوحيدة التي كررتها المراجع المتعددة ، هي سقوط ساقه ، ويبدو أنه كان شديد الحساسية إزاء هذا العيب ، فقد عمل جاهدا على أن يتم الكثير من صفاته المعنوية تعويضا لهذا النقص شأنه في ذلك شأن الكثيرين من أصحاب العاهات .

وقد ذكر أنه كان اذا مشى ألقى على رجله المبتورة الثياب الطوال فيظن من يراه أنه ليس بأعرج . (١)

أما صفاته المعنوية ، فيمكن تقسيمها قسمين :

الأول : سن الشباب المتوثب سن المخامرة والطموح .

الثاني : الميل الى الهدوء والاستقرار ، والنظر الى الدار الآخرة .

فالطور الاول : يبدأ بولادته وينتهي بمرضته المنذرة وينبغي أن

---

(١) البلاغة القرآنية ص ٢٣

أن الفى الضوء على المؤثرات التى كانت توجه تصرفاته مع غيره .

فقد ولد لأبوين صالحين وعاش فى كنفهما حياة الطفولة ، وأول عهد ا عهد الشباب وكانا صاحبى دين وتقوى فكونا له البيئة الخاصة التى رعته رعاية حسنة طيبة ، بعيدا عن مؤثرات الجهل والضلال ، ، وأ سهما فى تنشئته تنشئة دينية إذ كان أبوه عالم قريته وكان ورعا صواما قواما حريصا على مكارم الاخلاق ، وكانت أمه ذات عاطفة دينية وانسانية رقيقة فأضحى ثمرة طيبة لشجرة طيبة .

ولا شك أنه كان هناك تعاون فى تنشئته بين أهله وبيئته العلمية التى كان لها الأثر العظيم فى هذا التدين وكانت هذه البيئة تمثلها مدارس الحديث الكثيرة التى أسسها نظام الملك ، كما تمثلها مجالسه التى كان يعمرها القراء والفقهاء وأهل الخير والصلاح .

وقد هيأته هذه النشئة منذ أصبح فى باكورة شبابه إلى أن تطمح ذاته نفسه للوصول إلى أصحاب المناصب من العلماء ، والحكام والوزراء والامراء علّه يتبوأ مكانة تليق بعلمه وذكائه ، وأدبه كما كان يرجو أن ينال من المال ما يكفل له حياة رغيدة تجعله فى مصاف الطبقة المرموقة فى ذلك العصر ، فوسع اتصالاته برجال الدولة السلجوقية ، وكان الفضل فى الاتصال يعود إلى أحد شيوخه إذ قدمه إلى الوزير نظام الملك .

ومنذ أن اتصل بهذه الطبقة وهو يتفاعل بطموح الشباب المتوقد اذ يهمه الشهرة والافصاح عن الذات كثيرا ، لذا يناقش العلماء ومدح الامراء وطلب الجائزة لكنه طلبها فى عزة نفس ، وكان يحتفظ بهذه العزة مبكرا ،

فقد مدح نظام الملك قبل الثامنة عشرة ، وكاشفه بفقره وحاجته مع اعتداده بعلمه وأدبه . (١)

ولكن صيحاته عند الوزير ذهبت أدراج الرياح ، ولم يحظ منه بطائل كما قال ولعل ذلك يرجع الى عقيدته الاعتزالية التى تناقض عقيدة الوزير نفسه .

ومع هذا لم يكف عن المدح والشكوى بعد وفاة الوزير فقد أخذت قدمه تحمله إلى أعتاب الساسة والأمراء ، ويعرض رأس ماله من علم وأدب ليلقى منهم العون الذى يستطيع به أن يعول الأسرة والضعفاء الذين تركهم أبوه ولعله يستطيع بذلك أيضا مواصلة الدرس والبحث العلمى يقول مادحا الوزير مجير الدولة ، ومفتخرا فى آن واحد : (٢)

فمن مبلغ عنى الوزير بأننى كفيل ببغداد من ثناه ورائح

فليت رحالى ألقيت بفنائه فارتع فى نعمائه غير نازح

ويقدح زندا واريا من مناقبى اذا صلدت كل الزناد لقادح

وقد يفهم من شعره أنه تمنى أن يكون غنيا بالمال والجاه ولا يريد تلك الألقاب والنعوت الكريمة حين يقول : (٣)

فياليتنى أصبحت مستغنيا ولم أك فخر خوارزم ورأس الافاضل

وياليتنى مرض صديقى ومسخط عدوى وأنى فى فهاهة باقل

فلست بفضل بالغا ولو اننى كقس إياد أو كسحبان وائل

ولكن يبدو أنه ليس جادا فى أمانيه هذه ولعل مبعث هذا أنه كان يرى الدنيا مقبلة على من دونه فى معارفه وعلمه فكان كثيرا ما يرفع عقيرته مادحا نفسه ، مفتخرا بعلمه ، ومؤلفاته . (٤)

(١) (٢) الزمخشرى ص٧٣ — ربيع الابرار المحقق ١ : ١٠ منهج الزمخشرى ص ٣٤

(٣) الزمخشرى ص ٧٥

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٦

وقد لخص أخلاقه في هذه الفترة السابقة لمرضته المنذرة بأنه ان من الله عليه بالصحة ألا يطأ بأخمصه عتبة السلطان ، وأن يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر في الحكام ، وأن يعف عن عطاياهم ، ويجد في اسقاط اسمه من الديوان ومحوه ، وأن يمتنع نفسه حتى تعوض ما فاتها في سني جاهليتها ... (١) فهو يطلق على هذه الفترة سني الجاهلية من عمره.

ويقول وهو يؤنب نفسه في مقامة الانابة : " أبعد ما عطلت شبيبتك في التغزل والتشبيب ، وذهبت بصفوة عمرك في صفة الحب والحبيب ، واضللت حلمك في أودية الهوى ، وعكفت همك على أبرق الحمى وسقط اللوى ، واتخذت بقر الجواء بلاءك وفتنتك ، ووهبت لظباء وجرة ذكاءك وفطنتك ... " (٢)

بخطه يده لخص حياته في شبابه ، وبين مستوى ما كان عليه من اخلاق رديئة ثم اتجه نحو خط الجادة في حياته الجديدة .

الطور الثاني :

فاذا ما برئ من مرضته تلك وعاود نشاطه نراه يرتضي لنفسه أخلاقا جديدة يلخصها في خطابه نفسه " ...وتتقنع بترسيها وطمريها ، وأن يعتصم بحبل التوكل ، ويتبتل إلى ربه ويتنسك ويجعل مسكنه لنفسه محبسا ويتخذه لها مخيسا ...وأن لايدرس من العلوم التي هو بصددها إلا ما هو مهيب بدراسة من الهدى ، وادع له عن مشايعة الهوى ...وتاب التوبة النصوح ... (٣)

---

(١) انظر : الزمخشري : مقامات الزمخشري ص٨ ــ ١٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

(٣) المصدر نفسه ص ٨ ــ ١١

تنفيذا لهذه الخطة التى اختطها لنفسه لزم بيته أربع سنوات يراقب نفسه ويؤلف الكتب النافعة في دنيا الناس وأخراهم : ألف المفصل ، والمقامات والفائق في غريب الحديث ، وكتبا أخرى كثيرة وأخذت نزعة الفخر والإعجاب بنفسه تنزوى حتى زالت ،ثم تنسك وزهد فى آخر أيامه فأصبح شديد التواضع فى نفسه وعلمه . يبدو ذلك واضحا فى كتبه التى ألفها ، وينبغى أن نورد بعض النماذج التى توضح للقارئ مدى التغيّر الذى طرأ عليه .

ـ يقول فى مقامة الانابة مخاطبا نفسه : " تريد ويحك أن تصر على ما فعلت ،وأن تشيع النار التى أشعلت ،مهلا مهلا فلست لذلك أهلا وعليك بالخروق الواهية ،متنوقا فى رفوها ،وبالكلوم الدامية متنطسا في أسوها أنب الى الله لعل الإنابة تمحص ،وافزع الى الله لعل الفزع يخلّص ... " (١)

ـ وينقل عنه السامرائى قوله : " ان النفس لأمارة بالسوء تطلب منك أن يكون مسكنها دارًا قوراء وسكنها مهلاة حوراء تجر في عرصتها فضول مرطها" (٢)

ـ وفى جوابه لأبى طاهر السّلفى حين كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه : " ما مثلي مع اعلام العلماء الأكمثل السهى مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام ،مع الغوادى العامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلّف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلاّمة الا شبه الرقم بالعلامة ،والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلّى فيها أقلص من ظل حصاة ... " (٣)

---

(١) مقامات الزمخشرى ٣٤

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص١٢

(٣) الكشاف ٤ : ٣٠٨

- ويحدث رشيد الدين الوطواط أحد تلاميذه عن أخلاقه العلمية ، وما كان يحدث بينهما من حوار عامي فيقول : " وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحاته ، مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم العرب مسائل أكثر من ان يحصى عددها ويستعصى أمرها رجع فيها الى كلامى ونزل على أحكامى " (١)

مما تقدم يتبين لنا الفرق بين عهدين عاشهما الزمخشرى عهد الشباب الطامح الذى كان لا يسلم فيه لأحد في قضية ، وقد ذكر أنه كان يقول : " أنا ابو القاسم المعتزلى من يبارزنى ؟ " (٢)
ثم تهدأ تلك الثورة وتنزوى فيحل مكانها فضل اهل العلم ونموذج العلماء الاتقياء في تواضعه وقد رأينا كيف أن ذلك الشيخ العملاق ينزل عند ارادة تلميذه ويمنح العلم حقه .

فحق لنا أن نعده صبورا على مرارة الحق مع أنه من أرباب هذه العلوم ، وأصحاب هذه الفنون ، فهو مع الحق ولو على نفسه .

انصرافـــــه عــن الزواج :

عاش الزمخشرى عزبا لم يتزوج ، فلم يشغل نفسه بصاحبة ولا ولد واختار هذه الطريقة قبله بعض العلماء منهم : الكسائى ، والطبرى ، وأبو حيان التوحيدى . (٣)

ولعل السبب فى سلوكهم هذا ، هو انصرافهم إلى طلب العلم ووجود لذتهم في البحث والتحصيل ، واذا كان أحد منهم لم يفصح عن سبب انصرافه عن الزواج فان الزمخشرى قد علل عزوفه ذلك ببعض العلل فهو

---

(١) رشيد الدين الوطواط : من رسائل البلغاء ص٣٧٨
(٢) الشيرازى : الزمخشرى لغويا ومفسرا ص١٥٨
(٣) البلاغة القرآنية ص٢٦ ـ أحمد الحوفى : الطبرى ص٤٢

فهو يخشى أن يولد له ولد غير كيس فيكون سبة وعارا ، وكم من والد يربى ولده ويشقى ثم يشقيه ولده حين يراه حقيرا لا يحبأ به ولا يلتفت اليه فهو يقول فى ذلك : (١)

تصفحت أولاد الرجال فلم أكد ... أصادف من لا يفضى الأم والأبا

أخو شقوة ما زال مركب طفله ... فأصبح ذاك الطفل للناس مركبا

لذاك تركت النسل واخترت سيرة ... مسيحية أحسن بجذلك مذهبا

ولا أدرى كيف يسبق الزمن فيحكم هذا الحكم ، أو يتحلل بتلك العلة وما علمه بمستقبل ذلك المولود ان كان صالحا أم طالحا ؟ أم اطلع على الغيب ؟ .

وكيف يسمى لنفسه بسيرة مسيحية ، ويثنى على تلك الطريقة وهو الذى ينقل عن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم : (٢) " من أحب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح " .

وقوله : " من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا . "

وقوله : " اذا تزوج أحدكم عج شيطانه ، ياويله عصم ابن آدم منى ثلثي دينه " . (٣)

وللزمخشرى حمل عجيبة يصب فيها جام غضبه على الزواج والنساء فمن أقواله في ذلك : " لا أدرى أيهما أشقى : من يحوم فى الأمواج أم من يقوم على الأزواج " . (٤)

ويقول : " آنث من النسوة من اتخذ النسوة اسوة "

ويقول : " النساء متى عرفن قلبك بالرغام ألصقن أنفك بالرغام " (٥)

---

(١) الزمخشرى ص٦٧ ـ البيئة القرآنية ص٢٦

(٢) الكشاف ٣ : ٦٣

(٣) المصدر السابق

(٤) الزمخشرى شاعرا ص٤

فهو صارم في هذا الامر دون تردد ولعله نسي كل دوافع الزواج حتى التي كتبها بيده عن رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم اذ يخاطب عياضا "ياعياض (١) لاتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر " (٢) فهو يردف أقواله السابقة بهذا الحديث ،والأحاديث في هذا الشأن مستفيضة .

ولكن ،لعل الزمخشري وجد لنفسه مخرجا دينيا يعتمد عليه في تركه الزواج فهو يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال" (٣) وفي حديث آخر " يأتي على الناس زمان لاتنال فيه المعيشة الا بالمعصية ، فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة " (٤) .

والزمخشري أجل من أن ينال عيشه بالمعصية فقد ثبت علمه وتقواه ولا ينبغي له أن يتردد في مثل هذا ليترك النسل خشية الاملاق ، كما لا يصح أن يأخذ بهذا الحديث وحده دون الأحاديث التي تحثه على الزواج .

أصر الزمخشري على موقفه هذا حتى لامه أهله ونصحوه بالزواج فكان يرد عليهم نصحهم ويلومهم في دعوتهم ويبين لهم فساد الأولاد ، وقبائحهم وأن من له عيال شقي طيلة دهره فهو يخشى فضيحة الابن لأنها فضيحة لأبيه ،وينبغي له أن يترفع عن تلك الفضائح . (٥)

والاسباب التي التمسها الزمخشري مبررا لعدم زواجه ،أسباب واهية ،

---

(١) هو عياض بن غنم من شجعان الصحابة وغزاتهم ت ٢٠ هـ .
(٢) الكشاف ٣ : ٦٣
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر نفسه
(٥) منهج الزمخشري ص ٤٣ ــ البلاغة القرآنية ص ٢٦ ــ الزمخشري شاعرا ص ٤

ولكن بقى هناك سبب تحدث به واعتمد عليه ،وهذا السبب من اليسير أن يلجأ اليه أمثال الزمخشرى وذلك هو العلم . انظر اليه في قوله : (١)

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى — من وصل غانية وطول عناق

وتمايلى طربا لحل عويصة — أشهى وأحلى من مدامة ساق

فالانصراف إلى العلم عنده أجدر من الزواج ولكن هناك من العلماء من يضاهونه بل يرجحونه ،ولا نعلم أنهم تركوا الزواج من أجل ذلك .

ومع هذا يبدو من الشعر المنسوب للزمخشرى في روضات الجنات أنه تزوج ، (٢)

فلعل عزوفه عن المرأة مرده إلى زواجه الذى لم يصحبه فيه التوفيق ثم ان عاهته ربما كان لها في هذا الموضوع شأن .

جواره الاول لبيت الله الحرام :

كانت نفس الزمخشرى في شبيبته تطمح في الوصول الى ما يرى أنه أليق به وبعلمه الغزير ،أن يعيش في كنف السلطان علّه بذلك يخدم له ومذهبه ،فلما لم يتحقق أمله ولم يبلغ ما كان يهدف اليه فكر في الرحيل . ولكن نزوعه إلى وطنه وحبه إياه كان سببا يحول دون تنفيذ رغبته تلك .

فعبر عما تنطوى عليه نفسه من ألم وحسرة وشعور بالاذلال في قوله : (٣)

وما منزل الاذلال للحر منزلا — وان كان عيش الحر فيه رغيدا

سأرحل عنها ثم لست براجع — وأضرب مرمى في البلاد بعيدا

فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة — ولاعشت بين الصالحين حميدا

وجعل يكرر ما بنفسه من ألم ومرارة حتى مرض مرضة أنهكت قواه تلك

---

(١) الكشاف ٤ : ٣٠٣ — البلاغة القرآنية ص٢٧

(٢) الخونسارى روضات الجنات ص٣٢٢

(٣) منهج الزمخشرى ص٣٣

هى المرضة المنذرة كما سماها ، فاخذ على نفسه العهد ان منّ الله عليه بالشفاء ألاّ يطأ عتبة سلطان ، أو يمدح واليا ، أو يطمع في منصب . وتاب بعدها توبة نصوحا وجعل لنفسه منهجا يسير عليه .

من الله عليه بالشفاء ، فعاود التأليف والمناظرة ، وكان ينزع الى طهارة النفس ، ففكر جادا في الحج إلى بيت الله الحرام ومجاورته هناك . فشرح الله صدره ، وعبر عن نيته وهو في طريقه فجعل يعبر فيها عن غبطته وسعادته فى قصيدة مطلعها : (١)

سيرى تماضر حيث شئت وحدثى   أني إلى بطحاء مكة سائر
حتى أنيخ وبين أطمارى فتى   للكعبة البيت الحرام مجاور

وفي هذه القصيدة يعترف الزمخشري بكبائر مثل الجبال وذنوب لا يكاثرها الحصى ويرجو الله أن يكسوه لباس البر ويعلن انه ترك وطنه مهاجرا الى الله وأن هذه الهجرة هى تجارة الأبرار ونعم التاجر من يبيع دنياه بدينه ويعلن أن كل بيع سوى ما عقده التقى فهو بيع خاسر ، فيقول :

خربّت هذا العمر غير بقية   فلعلنى لك يابقية عامر

ثم يصرح بانه سيبقى بين وفود مكة ، ويضرب قبته حتى يحل أجله وهو ضيف الله وحسبه جواره ، يقول في قصيدته هذه :

بفناء بيت الله أضرب قبتى   حتى يحل بي الضريح القابر
ألقي العصا بين الحطيم وزمزم   لا يطبّينى اخوة وعشائر

استقرت بلابله بمكة البلد الحرام ، وهناك عرف أميرا شريفا ذا فضل وعلم غزير ، هو على بن عيسى بن وهاس الحسنى فرحب بالزمخشرى ، ورفع من شانه ورعاه وبنى له منزلا على باب أجياد وتوطدت بينهما الصداقة والمودة وتبادلا الاستفادة العلمية ، والاخوة الصادقة .

---

(١) الزمخشرى شاعرا ص٨ ـ الزمخشرى ص٤٢ ـ ربيع الابرار المحقق ص١١

جعل الزمخشرى يتردد على بيت الله الحرام مطمئنا ،هادىء النفس في رعاية ذلك الأمير وكنفه ،والأمير يبذل في سبيله الغالى والرخيص فيمدحه الزمخشرى معترفا بأياديه عليه ،ويمدح فيه انتماءه لسلالة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ (١) وعند اقامته بالحجاز زار همدان ،ومدح آل زرير هناك ٠ (٢)

ومكث يتطوف في أرجاء الجزيرة العربية ،ويتعرف على أهلها ٠ (٣)

انقاح الزمخشرى للحلم في مكة ،ووفد اليه طلاب كثيرون فضلا عن فتيان مكة الذين كانوا في طليعة تلك الجموع الحاشدة ٠ (٤)

حنت نفس الزمخشرى الى وطنه — وأى نفس لا تحن الى مرتع صباها وملعب طفولتها ،فنفسه نفس بشرية تهفو مرة وتجفو أخرى ،تحن لذكرى عزيزة سكنت اليها مدة من الزمن — فاراد أن يطفىء صدى شوقه الذى عبر عنه في شعره ٠ (٥)

وظل هذا الحنين يعاود الزمخشرى حتى عاد الى خوارزم وأقام فيها زمانا ٠

جـــواره الثانى :

منذ فارق الحرم الشريف راجعا الى وطنه ،عاوده الشوق ،والحنين إلى الأماكن المقدسة ،وكان شوقه اليها أشد مما كان عليه ٠

---

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — الزمخشرى ص٤٢ منهج الزمخشرى ص٣٦
(٢) الزمخشرى ص٤٣
(٣) أساس البلاغة مادة (ترب)
(٤) انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ _ مناقب العشرة مقدمة المحقق ص١٤
(٥) البلاغة القرآنية ص٤١

لقد بكى فراقه هذا فى قصائد تعبر عن مرارة ، وألم على ما فرط منه فهو يبكى على الصخر المبارك كالخنساء تبكى صخرا فيقول : (١)

تذكرت أيامى بها فكأننى قد اختلفت زرق الاسنة فى صدرى
أبيت على الصخر المبارك باكيا كما كانت الخنساء تبكي على صخر

وتزداد حسراته لبيعه الفوز بالشقاوة واستبداله الدنيا بالآخرة فهو يكابد ليلا أسود ، وقد غار مجرى دمعه ، ولا يلمس لنفسه عذرا فى رحيله عن مكة . (٢)

لهذا عزم على العودة الى أم القرى ، ليكون فى رحاب بيت الله ، وكانت عودته تلك فى سنة ٥٢٦ هـ وجاور بها جواره الثانى سبع سنين ، فاستقر به المقام وكان راضيا عن نفسه شاغلا قلبه بعبادة ربه . وقد قال فى ذلك شعرا ينم عن راحة ضمير ، وسعادة نفس . (٣)

مكث عند وصوله مدة لدى ابن وهاس وصحبه ما شاء الله ان يمكث وتوثقت بينهما الروابط ، وتبادلا المدح وأقر الزمخشرى للشريف باتحامه وأياديه عليه . (٤)

أكب الزمخشرى على التأليف فى بيت الله الحرام ، فألف الكثير من كتبه هناك كما جمع ديوان أشعاره تنفيذا لاقتراح الشريف ابن وهاس .

عاود الزمخشرى الحنين الى وطنه فتوجه اليه ، واثناء عودته مر ببغداد سنة ٥٣٣ هـ ، وقرأ بعض كتب اللغة على ابى منصور الجواليقى ، ينقل صاحب وفيات الأعيان عن بعضهم قوله : قدم علينا بغداد سنة ٥٣٣ هـ ورأيته

---

(١) منهج الزمخشرى ص٣٧
(٢) مناقب العشرة للمحقق ص١٥
(٣) البلاغة القرآنية ص٤٣ ـ مناقب العشرة المحقق ص١٥
(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٢

عند شيخنا أبى منصور الجواليقى مرتين . (١)

مدة جـــــواره :

لم يرد شيئ عن مدة جوار الزمخشرى وقد اختلف الكاتبون فى هذا الامر ،فمحقق ربيع الأبرار يرى أنه عاد من جواره الاول الى بلاده سنة ٥٢٥هـ . (٢)

لكن الراجح أنه عاد إلى مكة لجواره الثاني سنة ٥٢٦ هـ وفى أثناء عودته مر بالشام ومدح تاج الملك صاحب دمشق المتوفي فى ذلك العام الذى عاود فيه جواره ،ولما تولى ابنه شمس الملك أرسل اليه بقصيدة تهنئة من مكة المكرمة . (٣)

ويقول صاحب كتاب (الزمخشرى لغويا ومفسرا) : لا ندرى متى فارق الزمخشرى مكة إلى بلاده خوارزم للمرة الاخيرة ،ولكننا نعرف أنه تردد على بغداد مرتين آخرهما سنة ٥٣٣هـ ،وقد يكون أنهى إقامته ذلك العام (٤). وهذا التاريخ الذى حدده لانهاء جواره الثانى متفق عليه .

ولكنه يقع فى الخطأ حين يعلن ان الزمخشرى رحل الى مكة المكرمة نحو عام ٥١٢هـ وأقام فيها مجاورا . (٥) وألف فى هذه الفترة : المفصل (٥١٣ ـ ٥١٥ هـ) والفائق ٥١٦هـ وفى هذا العام عاوده الحنين الى وطنه ،فتوجه إليه ثم عاد إلى مكة مرة أخرى قبل ٥٢٠هـ أوعلى الاصح ٥١٨هـ حيث لقى فيها اليابرى (٦) وقرأ عليه كتاب سيبويه (٧).

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٤٠ ـ منهج الزمخشرى ص٤٢
(٢) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٢

(٣) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٤٣
(٤) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص١٦
(٥) المرجع السابق ص١٠٤
(٦) عبدالله بن طلحة اليابرى :نحوى أندلسى كان مجاورا بمكة (ت٥١٨هـ) انظر البحر المحيط ٤ : ٢٧٢ ـبغية الوعاة ١ : ٢٨٤
(٧) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص١١٦

ويقول : وطالت إقامته بمكة فى المرة الثانية ،فامتدت قريبا من الأربع عشرة سنة) . (١)

وكأنه يقول هذا ليربط بين جواره الثانى الذى حدده بسنة ٥١٨ هـ ومروره الأخير ببغداد سنة ٥٣٣هـ فى نهاية هذا الجوار .

ويضعف قوله هذا أنه يغفل مرور الزمخشرى بالشام فى سنة ٥٢٦هـ ومدحه لتاج الملك .

ويبدو لى أن مدة جوار الزمخشرى الاول كانت خمس سنين ومدة الثانى كانت سبعا . فالجوار الاول يبدأ بسنة ٥١٦هـ وينتهى بسنة ٥٢١هـ وفى هذا الجوار التقى باليابرى ٥١٨هـ كما سبقت الاشارة .

والجوار الثانى يبدأ فى ٥٢٦هـ وينتهى هذا الجوار فى ٥٣٣هـ حيث التقى بالجواليقى فى بغداد أثناء عودته (٢) ،ويثبت هذا من شعره اذ يقول :

فجاورت ربى وهو خير مجاور ... لدى بيته البيت المحرم عاكفا

أقمت باذن الله خمسا كواملا ... وصادفت سبعا بالمعرف واقفا

وتم لى الكشاف ثم ببلدة ... بها هبط التنزيل للحق كاشفا

وزرت ابن عباس بوج ونمنمت ... يدى عند رأس الحبر منه طرائف

لقد شعر الزمخشرى بموجة من الزهد عارمة فاختار لنفسه الطريقة الأويسية ،ونقل كتبه الى مشهد الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان ووقفها عليه ليستفيد بها علماء المسلمين وطلاب العلم ،ولم يبق معه غير كتاب الله المبين . (٣)

وافته منيته بجرجانية خوارزم وقد اتفقت المراجع التى وصلت اليها أنها كانت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ،ومنهم من حدد اليوم بيوم عرفة من

---

(١) الزمخشرى لغويا ومفسرا ص١١٦

(٢) منهج الزمخشرى ص٢٠

(٣) ربيع الابرار ١ : ١٤

ذلك العام . (١)

ويتفق ابن كثير معهم في سنة وفاته لكنه يقول : انه توفى عن ست وسبعين سنة . (٢)

ومعنى ذلك أن ميلاده يكون سنة اثنتين وستين واربعمائة ولم يقل به غيره .

وعبارة ابن العماد واضحة لا لبس فيها حين يذكر وفيات خمسمائة وثمان وثلاثين للهجرة فيقول : " وفيها توفى أبو القسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي صاحب الكشاف ،والمفصل ،عاش احدى وسبعين سنة " (٣)وهذا موافق للجميع كما يفهم من رواية ابن كثير .

هذا ،ورثاه احد فتيان مكة بقوله : (٤)

فارض ،مكة تزرى الدمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود

ويذكر ابن خلكان ان الزمخشري أوصى أن تكتب على قبره هذه الابيات . (٥)

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول

ويقول اليافعي : ان الزمخشري أوصى أن يكتب على قبره هذين البيتين : (٦)

---

(١) شذرات الذهب ٤: ١٢١ ــ نزهة الألباء ٢: ٢٩٢ ــ الكشاف ٤: ٣١٠ تاج العروس مادة (زمخشر) ــ دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣ النجوم الزاهرة ٥: ٢٧٤ ــ البحر المحيط ١ : ١٠

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢ : ٢١٩

(٣) شذرات الذهب ٤ : ١٢١ ــ اليافعي مرآة الجنان ٣ : ٢٧١

(٤) الزمخشري : مناقب العشرة المحقق ص ١٦

(٥) وفيات الاعيان ٥: ١٦٨ ــ ربيع الابرار المحقق ١ : ١٤

(٦) مرآة الجنان ٣ : ٢٧١ ــ الداودي طبقات المفسرين ٢ : ٣١٦

الهي لقد أصبحت ضيفك في الثرى
وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قراى فانها
عظام ولا يقرى بغير عظيـــم

لعل هذه الابيات توحي بعودة الزمخشري الى أحضان السنة المحمدية وتركه لمذهب الاعتزال فالفكر الاعتزالي يقر بأن الاله يعلم الكليات دون الجزئيات سبحانه . (١)

---

(١) أحمد محمود صبحي : في علم الكلام ص ١٣٠

الفصـــــــل الثـــانى

الزمخشـــــــرى والاعتـــزال

نشــأة المعتــزلـــة

الاعتزال نقطة بارزة في حياة الزمخشري ،كان له أثره المباشر في اتجاهاته العقلية واللغوية والثقافية ،لذلك خصصت هذا الفصل ليتضح مدى تأثره بتلك الفرقة ،ومدى تفانيه واخلاصه في خدمة ذلك المذهب :

وقد نشأت هذه الفرقة بسبب واصل بن عطاء أحد تلاميذ الحسن البصري حين كان يحضر دروس الحسن البصري ،فتقدم رجل يسأل الشيخ عن رأي الدين في مرتكب الكبيرة قائلا : لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بها عن الملة ،وهم وعيدية الخوارج .

وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ،والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟ (١) فاجابه بأنه منافق .

فقال واصل بن عطاء : مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن باطلاق ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين ثم انسلخ عن حلقة الدرس ،واتخذ لنفسه مجلسا في مكان آخر من المسجد وتبعه مناصروه في الرأي ،فقال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) : اعتزلنا واصل فسمى هو واصحابه بالمعتزلة .

ومنذ ذلك الحين نشأت فرقة المعتزلة (٢) وكان رأسها واصل هذا . لم يقف الأمر بالمعتزلة عند مسألة مرتكب الكبيرة ،بل تطور بهم إلى أن نصبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام وحمايته .

فقد دخل الاسلام بعد الفتح اهل ديانات مختلفة من يهودية ،

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٦٠

(٢) الثعالبي : لطائف المعارف ص ١٠٧

ونصرانية ومانوية ،وزرادشتية وبرهمية وصابئة ،ودهريين وغيرهم .

وكان ممن أسلم من هؤلاء علماء في تلك الديانات لعلهم غير مخلصين للاسلام فاخذوا يفكرون في مسائل يثيرونها ،للتدخل في جدل ومناقشات يلبسونها ثوب الاسلام . (١)

نهض المعتزلة للدفاع عن الاسلام منذ رد واصل على مخالفي مذهبه وهو في الثلاثين من عمره ،وألف كتابا للرد على المانوية سماه " الف مسألة للرد على المانوية " (٢).

كان المعتزلة قد تسلحوا بالسلاح الذي يتحصن به هؤلاء المخالفون وهو الفلسفة اليونانية بما فيها من منطق ولاهوت .

فانكب علماؤهم وطلابهم على الفلسفة يدرسونها وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو فأصبحوا بذلك من أقدر المسلمين على المجادلات الكلامية.

ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ما تكون عند أعلامهم مثل: إبراهيم النظام ت ٢٢١هـ وابو الهذيل العلاف (ت٢٣٥هـ) والجاحظ (ت٢٥٥هـ) (٣)

يحكي المرتضى عن مناظرات أبي الهذيل مع المجوس والثنوية وغيرهم أنها طويلة ممدودة وكان يقطع خصمه بأقل كلام ،ويقال إنه أسلم على يديه ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل . (٤)

وللجاحظ في هذا الميدان بلاء عظيم فله رسالة في الرد على النصارى

---

(١) أحمد أمين: ضحى الاسلام ٢: ٧

(٢) المرتضى : المنية والأمل ص٢١ ـ الزمخشري ص١١٨و ـ منهج الزمخشري ص٦٦

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص٣٣٩

(٤) المرتضى : المنية والأمل ص٢١

وله كتاب للرد على الرافضة وله ردود ومناقشات فى كتاب الحيوان • (١)
ويورد الجاحظ أيضا آراء وردود استاذه النظّام على أصحاب الديانات المختلفة كرده على الديصانية • (٢)

أصول عقيـــدة المعتزلـــة :

يدعى المعتزلة أنهم يسندون أصول آرائهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم لأنهم يستقون من واصل بن عطاء ومن عمرو بن عبيد ، وهذان أخذا عن محمد بن على بن أبى طالب وابنه أبى هاشم عبدالله ، وقد أخذ محمد عن أبيه على وأخذ على عن النبى عليه الصلاة والسلام •

يقرر المرتضى في أماليه أن أصولهم مأخوذة من كلام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وخطبه وأنها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول • (٣)

ويفخر المعتزلة بأن سند مذهبهم أصح الاسانيد ، وأنه أوضح من الفلق ، إذ يتصل بواصل وعمرو حتى النبى صلى الله عليه وسلم وأما سائر المذاهب فليس لها سند معمول به •

فالخوارج حدث مذهبهم فى أيام على رضى الله عنه وقد ظهرت تخطئته إياهم ومناظرته لهم ، وقتال من بقى على ذلك الاعتقاد • (٤)

---

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٤ : ٨٥، ٩٢ ــ ٥ : ٦٨، ٦٩، ٧١

(٢) الحيوان ٥ : ٤٦

(٣) أمالى المرتضى ١ : ١٠٣

(٤) المنية والأمل ص٩

والرافضة حدث مذهبهم بعد مضى الصدر الأول . (١)

والمجبرة حدث مذهبهم فى دولة معاوية ، وملوك بنى مروان ، فهو حادث مستند الى من لا ترضى طريقته .

وأما الحشوية فلا سلف لهم ، وانما تمسكوا بظواهر الأخبار ولا يرجعون الى تحقيق . (٢)

ويلاحظ المرء أنهم لم يأتوا لأهل السنة بذكر فى هذا المجال ولكنهم يعرفون أن أهل سندهم هو القرآن الكريم والسنة المطهرة .

والمعتزلة يذكرون أخبارا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء يتخذونها سندا يقرر مبادئهم وأصول هذه المبادئ ، منها :

خبر عن على رضى الله عنه يقول فيه : ان الله تعالى ، أمر تخييرا ونهى تحذيرا ، ولم يكلف مجبرا ، ولا بعث الأنبياء عبثا . (٣)

ويروون أن أبا بكر سئل عن الكلالة ، وابن مسعود عن المرأة المفوضة فى مهرها ، فقال كل واحد منهما حين سئل : أقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، ومن هذا يستنتجون التصريح بالعدل وانكار الجبر . (٤)

ويذكرون أن الحسين بن على بعث كتابا الى أهل البصرة ، قال فيه : " من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر . " (٥)

---

(١) المنية والأمل ص٩

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه ص٧

(٤) منهج الزمخشرى ص٦٨

(٥) المنية والأمل ص١٠

ويقولون إن النبى عليه الصلاة والسلام سئل عن تفسير (سبحان الله فقال : هو تنزيهه عن كل شر ، وكان يقول فى الصلاة والشر ليس إليك[1] وهناك بعض الادلة يسوقونها ولا تسمح ظروف البحث باستقصائها . (٢)

الزمخشـــرى والفكر الاعتزالى :

يشمل الحديث ناحيتين هما : قواعد مذهب الاعتزال التى أسسها واصل بن عطاء مؤسس الفرقة ، والثانى منهجهم في تأكيد فكرهم الاعتزالى

١ـ قواعد مـــذهـــب الاعتزال :

أما قواعد واصل التى دار حولها مذهب الاعتزال فهى أربع : (٣)

التوحيـــد : وهو القول بنفى صفات البارى سبحانه وتعالى وهذه الصفات هى : العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة .

فنفوا عن الله الصفات القديمة وقالوا : إنه سبحانه عالم بذاته قادر بذاته ، مريد بذاته ، حى بذاته لا بعلم وقدرة ، وإرادة ، وحياة .

فهى صفات قديمة به ، لأنها لو شاركته تلك الصفات في القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية . (٤) ففى نظرهم من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين .

ونفوا التشبيه عن الله سبحانه نفيا قاطعا ، مكانا وجهة وصورة وجسما وتحيزا وتغيرا وأوجبوا تأويله الآيات المتشابهة وسموا هذا توحيدا . (٥)

---

(١) المنية والأمل ص١٠

(٢) انظر المنية والأمل ص٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠

(٣) الملل والنحل ١ : ٥٧ ، ٥٨

(٤) المرجع السابق ١ : ٥٥

(٥) نفس المرجع ١ : ٤٩

وقد حرص الزمخشري -المعتزلي- على تأويل الآيات الكريمة لتوافق عقيدتهم هذه وكان مندفعا في الانتصار لمذهبه أيما اندفاع . ويبدو ذلك فيما يأتي :

في قوله تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (١)

قال : وجه ربك ذاته . والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومسكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان . وقرأ عبد الله (ذي الجلال)على صفة ربك ، ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه ، أو الذي يقال ما أجلك وأكرمك ، أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده . (٢)

وفي قوله تعالى : " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " . (٣)

قال : أكد المبايعة على طريق التخييل فقال : " يد الله فوق أيديهم " يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح ، وعن صفات الاجسام وإنما المعنى تقرير عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما ، كقوله تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله " . (٤)

والمراد بيعة الرضوان . (٥)

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) الكشاف ٢ : ٤٢٥

(٣) الفتح آية ١٠

(٤) الكشاف ٢ : ٢٨٣

(٥) النساء آية ٨١

وفي قوله تعالى : " ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون " (١)

قال : أي استخلفكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا لننظر أتعملون خيرا أم شرا ، فنعاملكم على حسب عملكم .

فان قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة ؟

قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا أشبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه . (٢)

وعلق على ذلك ابن المنير بقوله : كنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى ، فضم الى ذلك انكار رؤية الله . (٣) أي أن الله لا يرى ولا يرى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

العـــــدل :

ومفهوم هذه القاعدة عندهم ، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة ، وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة . (٤) ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية . (٥)

فرواصل أن هذه القاعدة أكثر ما يقرر قاعدة الصفات فقال : ان الباري تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف اليه شر وظلم ، ولا يجوز أن يريد بالعباد شيئا خلاف ما يأمر ويحكم عليهم ، ثم يجازيهم عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والايمان والكفر ، والطاعة والمعصية ،

---

(١) يونس آية ١٤

(٢) الكشاف ١ : ٤١٦

(٣) ابن المنير : الانتصاف على الكشاف ١ : ٤١٦

(٤) صبحي أحمد : في علم الكلام ص١٠٩

الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٥٤

وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله . (١)

فالله سبحانه عادل ، والظلم منفى عنه ، وهو يريد لعباده خير ما يكون ، ولا يريد الشر ولا يأمر به ، لذلك يرون أن الله لم يخلق أفعال العباد وانما يجعلون أفعالهم أحرارا فيثابون على الخير ، ويعاقبون على الشر ، فانتهوا بذلك الى نظرية الصلاح والأصلح : أى أن الله يقصد من أفعاله نفع العباد وصلاحهم .

جاء الزمخشرى مؤيدا لهذه القاعدة ، فقال فى قوله تعالى : " وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين " (٢) معناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه ، كقوله : " ان علينا للهدى "

فان قلت : لم غير اسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) ؟

قلت : ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل : وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها ، أو وعليه الجائر ، وقرأ عبد الله (ومنكم الجائر) يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره ، والله برئ منه ، ولو شاء لهداكم أجمعين قسرا .

وعلق ابن المنير على هذا الرأى بقوله : أين يذهب به عن تتمة الآية ، وذلك قوله تعالى : " ولو شاء لهداكم أجمعين " ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لكان الكلام : وقد هداكم أجمعين ، وما كأنهم الا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء ، فما كأنهم الا يحرفون الكلم عن مواضعه .

---

(١) الملل والنحل ١ : ٥٨

(٢) سورة النحل آية ٩

(٣) الزمخشرى : الكشاف ٢ : ٤٠٣ . وانظر الانتصاف نفس الصفحة .

وفى قوله تعالى : " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " . (١)

قال : اذ عادة الملوك والجبابرة الا يسألهم من فى مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير مملكتهم ، تهيبا وجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم ، كان ملك الملوك ورب الارباب وخالقهم ورازقهم أولى بالا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر فى العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح . (٢)

وعلق ابن المنير على ذلك بقوله : " سحقا لها من لفظة ما أسوأ ادبها مع الله تعالى ، أعنى قوله دواعى الحكمة فان الدواعى والصوارف انما تستعمل فى حق المحدثين ، كقولك : هو مما توفر دواعى الناس اليه أو صوارفهم عنه . " (٣)

المنزلة بين المنزلتين :

وقد سبقت الإشارة لهذا عند اعتزال واصل لشيخه الحسن البصرى ، وقرر ذلك بقوله : إن الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا ، وهو اسم مدح . والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا ، وليس هو بكافر مطلقا أيضا ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، ولا وجه لانكارها لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالد فيها إذ ليس فى الآخرة

---

(١) الأنبياء آية ٢٣
(٢) الكشاف ٢ : ٥٦٠ ط الحلبى .
(٣) ابن المنير : الانتصاف حاشية على الكشاف ٢ : ٤٣

الا الفريقان ،فريق في الجنة . وفريق في السعير ،لكنه يخفف عنه العذاب (١)

لم يحظ واصل بموافقة أهل السنة ،في اشارته لوصف الايمان ،والفسق

وبذلك اعتبر رأيه خروجا على رأى الجماعة ،وانشقاقا وبدعة في القول (٢)

واعتبر أهل السنة رأيه في مرتكب الكبيرة ميلا الى رأى الخوارج ،

واعتبر هذا الرأى غريبا حين يجعل الفاسق في منزلة بين المؤمن ...

والكافر ثم يسوى بينه وبين الكافر في خلود العذاب . (٣)

وجاء الزمخشري مؤيدا لرأى المعتزلة بأن الفاسق في منزلة بين المنزلتين وعلى هذا الرأى أول بعض الآيات الكريمة ،ففي قوله تعالى :

" وما يضل به الا الفاسقين "

قال : الفاسق في الشريعة ،الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين ،اى بين منزلة المؤمن والكافر . (٤)

وفي قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " (٥)

قال : الايمان الصحيح أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله ،فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ،ومن أخل بالشهادة فهو كافر ،ومن أخل بالعمل فهو فاسق .

وعلق ابن المنير بقوله : إنه أراد بالفاسق غير المؤمن وغير الكافر ،وهذا

---

(١) الملل والنحل ١ : ٦١

(٢) في علم الكلام ص ١٣٢

(٣) المرجع السابق ص ١٣٣

(٤) الكشـــاف ١ : ٢٦٧ ط الحلبي

(٥) سورة البقرة آية ٣

من الاسماء التى سماها القدرية وما انزل الله بها من سلطان . (١)

وفى قوله تعالى : " ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما " (٢)

قال : إن الله ذكر المؤمنين الأبرار ، وذكر الكفار ولم يذكر الفسقة لأن الناس حينئذ إما مؤمن تقى ، وإما مشرك ، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك . (٣)

قول واصل فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين :

قال : ان احدهما مخطىء ، لا بعينه وكذلك قوله فى عثمان - رضى الله عنه - وقاتليه وخاذليه . إن أحد الفريقين فاسق وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما ، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين . (٤)

ولم يتعرض الزمخشرى لهذه القاعدة التى عرضها واصل ولعل ذلك يرجع الى اجلاله لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

هذه القواعد الأربع هى التى بدأ البحث فيها فى عهد واصل ، ثم اخذت الفرقة تبحث فى مسائل مستحدثة مثل : الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما اخذت الفرقة نفسها تتفرع الى فرق تتفق وتختلف فيما بينها مثل الواصلية والنظامية ، والجاحظية .

وقد حاول علماء هذه الفرقة الاتصال بالخلفاء ورجال الحكم انتصارا لمذهبهم وقد استغلوا هذه الصلة للإنزال بخصومهم الكثير من الضرر

---

(١) الكشاف ١ : ١٧
(٢) الاسراء آية ٩ - ١٠
(٣) الكشاف ١ : ٥٤١
(٤) الملل والنحل ١ : ٦١

والأذى . (١)

وقد حاول الزمخشري الاتصال بالطبقات الحاكمة ولعله تصور استغلال ذلك في نصرة مذهبه لو تم له ما يريد ، فقد ثبت أنه كان شديد التعصب لمذهبه الاعتزالي حتى روى أنه اذا استأذن على أحد يقول لمن يأخذ له الاذن قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب . (٢)

وكان اول انتصار لطلتهم بالحكام هو استخدام المأمون في مسألة خلق القرآن اذ كان تلميذا لأبي الهذيل العلاّف أحد أئمتهم .

ولم يغب عن ذهن الزمخشري هذا الموقف ، فقد وجه تأويله للآية الكريمة في قوله تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ... " (٣)

فقال : كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك ، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام ، كما خلقه مخطوطا في اللوح ، وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة . (٤) وهذا تصريح منه بخلق كلام الله جل وعلا .

استمر الاضطهاد الذي وقع على العلماء بسبب هذه الفتنة حتى جاء المتوكل فانتصر لهم ضد المعتزلة . (٥)

فأخذ الاعتزال في الاندثار في الاقطار التي غلب عليها أهل السنة

---

(١) اسلام بلا مذاهب ص ٣٣١

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) الاعراف آية ١٤٣

(٤) الكشاف ط الحلبي ٢ : ١١١

(٥) يوم الاسلام ص ٨٨ ـ اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٧

وخاصة بعد ظهور مذهب الأشاعرة الذى اتخذ موقفا وسطا بين السنة والمعتزلة . (١)

ولكن أهل خوارزم بقوا على مذهبها الاعتزالى ، وان كان حكامهم من أهل السنة . (٢)

- منهجهم فى تأكيد مذهبهم الاعتزالى :

حاول المعتزلة تأكيد وجهة نظرهم الاعتزالية فى بحوثهم العلمية على مختلف العلوم وهم بموجب مذهبهم يصرفون كثيرا من التعبيرات عن الحقيقة الى المجاز ، ويظهر هذا جليا عند الزمخشرى فى تفسير كشافه ، وعند غيره من أعلامهم ٠ فابن جنى مثلا — وهو معتزلى — يرى أن قوله تعالى : " خلق السموات والأرض " (٣) مجاز لا حقيقة ، ولو كان حقيقة لا مجازا لكان خالقا للكفر والعدوان وغيرهما . (٤)

وكانوا بحكم مواقفهم الجدلية مضطرين لانتخاب اللفظ الأنيق ، والتعبير الجميل فأقبلوا على روائع الكلم يحفظونه ، ويروونه ، ان قرآنا أو شعرا أو غيرهما .

يقول الجاحظ : " ... وروت المعتزلة عامة الأشعار وكان بشر (٥) أرواهم للشعر خاصة . (٦)

(١) وفيات الأعيان ١ : ٥٧٨

(٢) منهج الزمخشرى ص ٢٠

(٣) سورة النحل آية ٣

(٤) ابن جنى الخصائص ٢ : ٤٤٩

(٥) بشر بن المعتمر مؤسس فرع بغداد للمذهب الاعتزالى ت ٢١٠ هـ انظر فى علم الكلام ص ٨٤

(٦) الجاحظ : الحيوان ٦ : ٥٠٤

وللنظام أشعار تأخذ بالقلب والسمع ،إلى جانب حفظه للقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وتفسيرها . (١)

ولبشر قصيدة واحدة في أربعين الف بيت رد فيها على جميع [illegible] المخالفين .

هذا وقد كان الجاحظ كثير الرواية للشعر كما تشهد بذلك كتبه .

وكان من طبيعتهم اذا أقبلوا على دراسة علم ان يعتمدوا فيه على المهارة العقلية ،والرياضة الفكرية لهذا فهم يقدسون العقل .

يقول الجاحظ : وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس ،وحكم باطن للعقول ،والعقل هو الحجة . (٢)

ويقول بشر بن المعتمر : (٣)

لله در العقل من رائد	وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب	قضية الشاهد للأمـــــر

لهذا كان لزاما عليهم أن يجعلوا حول مذهبهم سورا عقليا يحفظه من الضياع والهدم ،ويتكون هذا السور من الفلسفة واللغة ،وقد سبقت الإشارة إلى الفلسفة بما يكفي دليلا على اهتمامهم بها .

أما اللغة فقد قالوا فيها بحرية الارادة ،وساندوا الدعوة إليها ولا شئ عندهم أبلغ في اظهار هذه الحرية من الكلمة المعبرة عنها ؛ومن هنا كان الانطلاق في التجديد ،وبحثه على أصول غير تلك التي ورثوها عن الجاهليين ،فكان لهم الأثر الكبير في القياس في اللغة كما يظهر ذلك في

---

(١) منهج الزمخشري ص٧١

(٢) الحيوان ٦ : ٢٩١

(٣) منهج الزمخشري ص٧٠

قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لاتوقيفية ،وكما يظهر فى تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة فى تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الأعجمى ،وعلى هذا سار أيضا زعيما مدرسة القياس أبو على الفارسى ،وابن جنى ٠

ويبدو ذلك واضحا فى البحوث التى حققها الزمخشرى فى كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ،ودلالتها عن طريق المجاز ٠ (١)

كما أن له تأثيره البالغ فى بحوثه النحوية واللغوية ،والبلاغية فى كشافه وتأثير عقليته الاعتزاليه فى توجيه تفسير كثير من الآيات تأييدا لعقيدته عن طريق التأويلات البعيدة ،وأسوق بعض النماذج التى تبين مدى خدمة الزمخشرى لمذهبه الاعتزالى فى كشافه باستخدامه مقدرته الفائقة فى التأويل واعتماده على اللغة فمن ذلك :

- فى قوله تعالى : " ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون " (٢)

قال : بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم ،لابالفضل كما تقول المبطلة ٠ (٣)

وفى التصريح باء التعويض ،وتسمى باء المقابلة ٠ (٤)

وابن هشام يروى هذا فى مغنى اللبيب بشأن الباء فى قوله تعالى : " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " (٥) اذ يقول : وانما لم نقدرها باء السببية كما قال المعتزلة ٠ (٦)

---

(١) سعيد الافغانى : فى أصول النحو ص٩٣

(٢) الاعراف آية ٤٣

(٣) الكشاف ط الحلبى ١ : ٥٤٩

(٤) الأزهرى : التصريح ٢ : ١٢

(٥) النحل آية ٣٢

(٦) مغنى اللبيب على الامير ١ : ٩٧

وفى قوله تعالى : " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " (١)

قال : معنى يضلله أي يخذله ،ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من اهل اللطف .

ويرد ابن المنير بقوله : وهذا من تحريفاته للهداية ،والضلال اتباعا لمعتقده الفاسد فى أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال ،وانهما من جملة مخلوقات العباد .وكم يخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع . (٢)

وفى قوله تعالى : " سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا " (٣)

قال : فان قلت : كيف جاز له أن يستغفر للكافر ،وان يعده بذلك ؟

قلت : قالوا : اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهى الشرعية على الكفار ،والمراد اشتراط الايمان . (٤)

ورد ابن المنير : وهذه لمظ من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة التحسين والتقبيح ،والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ،ثم يحرّف الزمخشرى بها ،فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ،ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الامهات .

نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل

---

(١) الانعام آية ٣٩

(٢) الكشاف ٢ : ١٧، ١٨

(٣) مريم آية ٤٧

(٤) الكشاف ط الحلبى ٢ : ٥١٢

خلافه فلا ٠ (١)

وفى قوله تعالى : " قال رب أرنى أنظر اليك ٠٠٠ " (٢)

يقول : والتقدير أرنى نفسك انظر اليك ٠٠٠

فرد عليه ابن المنير : ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية ، لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ،ويشين بكفه وجه الغزالة ٠٠٠ ويقول : فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك على الله ٠٠٠والحديث في ذلك يطول ٠ (٣)

وفى قوله تعالى : " سبحانه بل عباد مكرمون " (٤)

قال الزمخشري : مقربون عندى مفضلون على سائر عباد الله ٠٠٠

فرد ابن المنير : وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا للرأى ،فانه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده ،وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه ، لأنه ادّعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لاعلى بعضهم ،فدعواه شاملة ودليله مطلق ٠ (٥)

— ومن صرفه صفات الله تعالى عن الحقيقة الى المجاز ،جاء في الكشاف ،فان قلت : ما معنى وصف الله بالرحمة ،ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ؟

---

(١) الانتصاف على الكشاف ط الحلبى ٢ : ٥١٢

(٢) الاعراف آية ١٤٢

(٣) انظر : الانتصاف على الكشاف ط الحلبى ٢ : ١١٢ ، ١١٣

(٤) الانبياء آية ٢٦

(٥) الانتصاف ٢ : ٥٦٩

قلت : هو مجاز عن انعامه على عباده ، لأن الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه . (١)

واستنادا الى قاعدة أن الرب منزه أن يضاف اليه شر وظلم ، وكفر ومعصية صرف الزمخشرى الآيات التى فيها اسناد الاغواء الى الله تعالى ونحو ذلك الى المجاز وعمد الى التأويل ، مثل ما جاء فى قوله تعالى :

" ختم الله على قلوبهم ... " (٢)

قال : فان قلت : فلم أسند الختم الى الله تعالى ، واسناده الية يدل على المنع من قبول الحق ؟

قلت : القصد الى صفة القلوب .

فعلق ابن المنير على هذا بقوله : هذا أول عشواء خبطها فى مهواة من الأهواء . (٣)

وذهب الزمخشرى الى أن الاسم يختلف عن المسمى ، لا كما يقول أهل السنة بأنه عين المسمى .

جاء في الكشاف فى قوله تعالى : " وعلّم آدم الاسماء كلها ".(٤)

أى اسماء المسميات ، فحذف المضاف اليه لكونه معلوما . (٥)

وجاء فى التصريح : اختلفوا فى الاسم والمسمى ، هل هما متغايران أو لا ؟

فالأول رأى المعتزلة والثانى قول الاشعرى وهو مذهب أهل السنة

---

(١) الكشاف ط الحلبى ١ : ٣٦

(٢) البقرة آية ٧

(٣) الكشاف ط الحلبى ١ : ١٢١

(٤) البقرة آية ٣١

(٥) الكشاف الحلبى ١ : ٢١٠

ثم قال الازهرى : والتحقيق أن الخلاف لفظى ،وذلك أن الاسم اذا أريد به اللفظ فغير المسمى ،وان أريد به ذات الشئ فهو عينه . (١)

هذا ولم يكن الزمخشرى مقلدا فى مذهبه الكلامى بل كان له اجتهاده فى محيط هذا المذهب ،على أساس فهمه للنص .

فقد خرج على المعتزلة فى تفسير قوله تعالى : " قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم " (٢)

قال الزمخشرى : الشئ أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ،فيقع على القديم والجرم ،والعرض والمحال . ولذلك صح أن فى الله عز وجل شئ لا كالأشياء .

قال ابن المنير : وتفسيره الشئ يخالف الفريقين ،الأشعرية فانهم فسروه بالموجود ليس الا ،والمعتزلة فانهم قالوا : المعلوم الذى يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل . (٣)

الزمخشـــرى والمذاهب الاخرى :

سبق القول بأن الزمخشرى كان معتزليا مجاهرا بعقيدته ومذهبه متعصبا لهما فكان له بذلك اعداء كثيرون من الفرق الأخرى ولكنه لم يهادن أحدا منهم بل كان صريحا كل الصراحة فى مجابهتهم فانكر ما يعتقد بطلانه من آرائهم وهاجم كل من كان فى عصره من الفرق الاسلامية

---

(١) الانعام آية ١٩
(١) الازهرى : شرح التصريح ١ : ٧
(٢) الأنعام آية ١٩

(٣) الكشاف وهامشه ط الحلبى ٢ : ٩

الأخرى ، واليك نماذج من ذلك فى ايجاز :

المعطلة : قال فى مقدمة كتابه ربيع الأبرار : " .. والصلاة والسلام على النبى المرسل رحمة للعالمين ، المنبعث قدوة للعالمين ، أدحض بآياته حجج المبطلين ، ومحق بمعجزاته شبه المعطلين ". (١)

الحشوية المجبرة : فى تفسير قوله تعالى "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (٢)

قال : على كثير ممن خلقنا ، هو ما سوى الملائكة ، وحسب بنى آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ، ومنزلتهم عند الله منزلتهم .

والعجب من المجبرة كيف عكسوا فى كل شيء ، وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التى هى تفضيل الانسان على الملك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم ، وتكثيرهم من التعظيم لذكرهم ، وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم ، وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ... ثم قال : فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة فى عداوة الملأ الأعلى ، كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط ، فتلك السخيمة لا تنحل من قلوبهم . (٣)

وهاجم المجبرة مرة أخرى فى تفسير قوله تعالى : " وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم " . (٤)

يقول : كما ركز فى الطباع أن لا أدخل فى الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل

---

(١) ربيع الأبرار ١ : ٣٥

(٢) سورة الاسراء آية ٧٠

(٣) الكشاف ٢ : ٤٥٩

(٤) سورة يوسف آية ٣١

الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب . (١)

المتصوفة : في تفسير قوله تعالى : " من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ..." (٢)

ساق بعد أن فسر هذه الآية قوله : وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله ... وهم الفرقة المفتعلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق ، والتغني على كراسيهم خربها الله ، وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور ... (٣)

وعند تفسير قوله تعالى : " ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق ..." (٤)

يقول : ومن بدع المتصوفة : الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات أفئدتهم ، والمطر بكاؤهم . (٥)

أهل السنة : كان كثير التطاول عليهم ، ويحتد في النيل منهم وكان يظهر تعصبه ضد أعلام السنة كقوله : زعم ابن قتيبة كذا وكذا ، أما اذا تعرض لأعلام المعتزلة فهو يثني عليهم كقوله في عمرو بن عبيد : فلله دره أسدا فراسا كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل

(١) الكشاف الحلبي ٢ : ٢١٧
(٢) المائدة آية ٥٤
(٣) الكشاف الحلبي ١ : ٦٢١
(٤) الرعد آية ١٣
(٥) الكشاف الحلبي ٢ : ٣٥٣

الأهواء والبدع باحتجاجه • (١)

وفى تفسير قوله تعالى : " قال رب أرنى أنظر اليك ،قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ••• (٢)

يقول :ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات أشياخهم والقول ما قاله بعض العدليين فيهم : (٣)

لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

ولم يمض هذا دون رد أهل السنة ،ومنهم القاضى أبو بكر السكونى مفندا أقوالهم • (٤)

وكان الزمخشرى فى نقده إياهم :يقول : امش فى دينك تحت راية السلطان — يعنى العقل — ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان ، فما الأسد المحتجب فى عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه وما العنز الجرباء تحت الشمال البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل • (٥)

ويقول : وجامع الروايات الكثيرة ولا حجة عنده مقوية أوقر ظهره بالحطب وأقفل زنده • (٦)

وتعريض الزمخشرى هكذا بأهل السنة ،واتهامه إياهم بالتقليد وسماع الرواية دون تثبت ، اتهام قديم عرف به المعتزلة ،وكان يسمون أهل السنة

---

(١) البلاغة القرآنية ص٣٢

(٢) الاعراف آية ١٤٣

(٣) ابو حيان : البحر المحيط ٤ : ٣٨٥

(٤) المرجع السابق

(٥) البلاغة القرآنية ص٣٢

(٦) المرجع السابق

بالعوام الذين لا ناصر لهم ٠

فقد ذكروا أن عضد الدولة لاحظ خلو مجلسه من أهل السنة ٠ فقال : هذا مجلس عامر بالعلماء ، الّا أننى لا أرى فيه واحدا من أهل الاثبات ، والحديث ، أما لهؤلاء المثبتة من ناصر ؟ فقال القاضى ابن بشر بن الحسين وكان من شياطين المعتزلة : ليس لهم ناصر ، وانما هم عامة أصحاب تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعا لا يعرفون النظر والمعتزلة فرسان الجدل والمناظرة ٠ (١)

والواقع أن هذه تهمة لا دليل عليها فكثير من علماء الاشاعرة ، والماتريدية أقدر على مقارعة الحجة من علماء المعتزلة ، ولهم منهجهم فى البحث والمناظرة . وليس الفكر الاسلامى فى هذا المجال نتاجا للفكر الاعتزالى ، وانما هو نتاج كل تلك الفرق السابق ذكرها ٠ (٢)

---

(١) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٢) لمعرفة جهود أهل السنة فى الفكر الاسلامى ، ينظر :

الفرق للبغدادى ، ومقالات الاسلاميين للأشعرى ، والملل والنحل للشهرستانى ٠٠٠ وغيرها ٠

الفصل الثالث

الزمخشري

علمه و منزلته

بين

العلماء و الحكام

علمه ومنزلته بين العلماء :

أول ما يطالعنا عن تعليم الزمخشري أنه تلقاه عن والده ،(١) ثم أخذ يتنقل في حياته الاولى تلميذا على شيوخ خوارزم ولما اشتد عوده رحل الى بخارى . (٢)

شغل الفتى منذ نعومة اظفاره بالعلم ، ووصل فيه ليله بنهاره وليس غريبا أن ينصرف عن شواغل الدنيا الى تحصيل العلم ،فقد أخلص في الطلب وذاق حلاوته ،فنمت عنده ملكة البحث ،وبرّز في علوم شتى ، فهو إمام في التفسير يعد من المفسرين الممتازين ،ونحوى بارز الرأى والاجتهاد ،هذا فضلا عن أصالته وفضله في علم البيان واللغة والأدب شعره ونثره ،لذلك وصف بالعديد من النعوت العلمية التى شاركته حياته ،كقولهم : العلّامة وعلّامة الدنيا ،والإمام وإمام وقته ،وإمام عصره وفريد عصره ووحيد دهره ،وفخر خوارزم ورأس الافاضل .

وكان كثير المطالعة للكتب ،دقيق المراجعة للمسائل فوصل الى ذروة العلوم التى درسها ،وغزارة مؤلفاته المتشعبة الجوانب تدلنا على مدى علمه واطلاعه .

لقد وفّى العلم حقه ومنحه اخلاصه فأثنى عليه العلماء ،فقال عنه ياقوت: "كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب واسع العلم كبير الفضل متفننا في علوم شتى" . (٣)

---

(١) مناقب العشرة المبشرين بالجنة المحقق ص ١٠

(٢) منهج الزمخشري ص٢٧ ــ الزمخشري ص٤٩

(٣) معجم الادباء ١٩ : ١٢٦

وقال ابن خلكان : " كان امام عصره من غير منازع تشدّ إليه الرحال في فنونه " . (١)

وفي الشذرات : " هو ابو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي ، المفسر صاحب الكشاف والمفصل ..." (٢)

ويذكر القزويني انه كان بالغا في علم العربية وعلم البيان وله تصانيف حسنة ليس لأحد مثلها في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني ، مع إيجاز في اللفظ حتى لو أن أحدا أراد أن ينقص من كلامه حرفا أو يزيد فيه حرفا لبان الخلل ، وانه كان من أهل العلم والفضل . (٣)

شيوخ الزمخشـــري :

ذكرت كتب المراجع العديد من شيوخ الزمخشري فمن هؤلاء الشيوخ

- ابن البطر نصر بن احمد بن عبد الله :

قال عنه صاحب (تاج العروس) تفرد في وقته ورحل اليه الناس ، روى عنه ابو طاهر السّلفي وأبو الفتح ابن البطي ، وشهدة الكاتبة (ت ٤٩٤ هـ) . (٤)

- قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني :

ولي القضاء ببغداد مدة وكان فقيها فاضلا حنفي المذهب ، التقى به الزمخشري في بغداد (ت ٤٩٨ هـ) . (٥)

---

(١) الوفيات ٢ : ١٠٧

(٢) الشذرات : ٤ : ١١٨

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٣٢

(٤) تاج العروس مادة بطر

(٥) الوفيات ٢ : ١٠٧

ـ وأبو مضر محمود بن جرير الضبى الاصبهانى : (١)

. بهذا الاسم ذكره : ياقوت والداودى ، وابن خلكان والذهبى والسيوطى وابن تغرى بردى ، والزركلى ، وقد خالفهم فى هذا كل من : ابن العماد ، والانبارى فقد ذكراه بأبى مضر منصور ولعل ذلك تحريف من أحد النساخ أو خطأ مطبعى . (٢)

وكان ابو مضر يلقب بفريد العصور . ويذكر أنه كان وحيد دهره فى علم اللغة ، والنحو ويضرب به المثل فى أنواع الفضائل .

أقام فى خوارزم مدة انتفع به وبعلمه الناس ، فتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء فى اللغة والنحو منهم الزمخشرى .

وقيل انه هو الذى أدخل الى خوارزم مذهب الاعتزال ولكن سبق القول بأن هذا المذهب دخل الأقاليم الشرقية مبكرا فلعله كان مجددا وباعثا للنشاط الاعتزالى .

كان لأبى مضر أعظم الأثر فى نفس الزمخشرى ، وهو مع علمه الغزير لم يعرف له مصنف مذكور الا كتاب يشتمل على نتف وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب) . (٣) (ت٥٠٧هـ) ورثاه الزمخشرى شعرا . (٤)

ـ وأبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد اليابرى الأندلسى :
من أهل يابرة من بلاد الاندلس ، نحوى ، اصولى ، فقيه ، روى عن

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ ـ طبقات المفسرين ٢ : ٣١٤ ـ الوفيات ٥ : ١٦٨ النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ ـ ٨ : ٥٥
(٢) الشذرات ٤ : ١٨ ـ نزهة الألباء ص٢٩٠
(٣) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧
(٤) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ ـ نزهة الالباء ص٢٩٠ معجم الادباء ١٩ : ١٢٧

روى عن أبي الوليد الباجى ،وشرح رسالة أبى زيد ،ورد على ابن حزم ،

قرأ عليه الزمخشرى كتاب سيبويه بمكة المكرمة . (ت٥١٨هـ) . (١)

- أبو منصور ،موهوب بن ابى طاهر الجواليقى :

كان إماما في فنون الأدب ،درّس في المدرسة النظامية بعد الخطيب التبريزى ،وهو في اللغة أمثل منه فى النحو ،وكان متواضعا من أهل السنة .

قرأعلى الخطيب التبريزى ،وكتب بخطه كثيرا من كتب الحديث والأدب وكان يصلّى بالمقتفي لأمر الله لديانته وطهارته .

قرأعليه الزمخشرى بعض كتب اللغة والادب .

وله من الكتب : كتاب الفروض ،وكتاب المختار فى بعض مسائل النحو وشرح أدب الكاتب والمعرّب من الكلام الأعجمى ،والتكملة فيما يلحن فيه العامة أكمل به درة الغواص للحريرى . (ت ٥٣٩هـ) (٢)

- وابن الشجرى هبة الله أبو السعادات :

ينتهى نسبه الى على بن أبى طالب وكان فرد زمانه فى العلوم العربية وعلم النحو سبعين عاما .

له من المؤلفات : الأمالى ،والانتصار على ابن الخشاب والحماسة ضاهى بها حماسة أبى تمام ،وكتاب ما اختلف لفظه واتفق معناه ،وشرح كتاب اللمع و (التصريف الملوكى) وهما لابن جنى وله غير ذلك من الكتب (٥٤٢هـ) . (٣)

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٢٨٤ ـ البحر المحيط ٤ : ٣٧٢ ـ طبقات المفسرين ١ : ٣١

(٢) الانباه ٣ : ٢٧٠ ـ بغية الوعاة ٢ : ٤٠١ ـ الفيروز ابادى : البلغة ص ٢٧

(٣) نزهة الألباء ص ٤٧٠ ـ الزمخشرى ص ٥٠

- وابن وهاس: ابو الحسين على بن عيسى :

كان شريفا جليلا من أهل مكة وشرفائها ، وامرائها ، وكان ذا فضل وعلم غزير ، وله تصانيف مفيدة في النظم والنثر .

لقى الزمخشرى منه ترحيبا وحفاوة ورعاية واكراما مدة جواره ، وأخذ عنه الزمخشرى كما أخذ هو عن الزمخشرى ، وقال كل منهما شعرا في الآخر . (١)

توفى ابن وهاس فى أول ولاية الأمير عيسى بن خليفة ، أمير مكة سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، وكان الناس يقولون : ما جمع الله لنا بين ولاية عيسى وبقاء على بن عيسى . (٢)

- وابو الحسن على بن المظفر النيسابورى :

ذكره بهذا الاسم معجم الادباء ، وتاج العروس ، وطبقات المفسرين للداودى . (٣)

وقال ياقوت : كان ابو الحسن كاتبا شاعرا مترسلا مؤلفا ، مؤدبا لأهل خوارزم وهو شيخ الزمخشرى قبل أبى مضر ، وله مؤلفات منها : تهذيب ديوان الأدب ، وتهذيب اصلاح المنطق ، ومحاسن من اسمه الحسن وزيادات أخبار خوارزم وديوان شعر ، وديوان رسائل . (٤)

اراد الدكتور الحوفى أن يصحح هذا الاسم إذ لم يوجد له ترجمة فاعتقد أنه خطأ وأن الصواب هو : أبو على الحسن بن المظفر ولهذا

---

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ ـ الزمخشرى شاعرا ص١
(٢) معجم الادباء ٤ : ٥٨
(٣) المرجع السابق ١٨ : ١٢٧ ـ تاج العروس مادة زمخشر
(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧

ولهذا الاسم ترجمة في معجم الأدباء ٩ : ١٩١ أما الاسم الاول ـ ابو الحسن على ـ فيوجد عنه حديث ضمن ترجمة الزمخشرى في معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ ، ولكنه لم يذكر له تاريخ وفاة ٠

وما ذهب اليه الحوفى بأن أبا على الحسن هو شيخ الزمخشرى فهو يجانبه الصواب ، فقد توفى سنة ٤٤٢ هـ والزمخشرى ولد ٤٦٧ هـ فمحال أن يكون الحسن شيخا للزمخشرى على ذلك ٠

والذى كتبه ياقوت فى تلك الصفحة والجزء : مات ابو على الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابورى ثم الخوارزمى في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٢ هـ وهو شيخ أبى القاسم الزمخشرى قبل أبى مضر وله نظم ونثر ٠ (١)

ولعل على هذا هو ابن الحسن المذكور بياقوت ٩ : ١٩١ وبذلك تتفق حياته مع وجود الزمخشرى ٠

ـ والامام ركن الدين محمود الاصولى :

أخذ من الزمخشرى وأعطاه ، فهو شيخ للزمخشرى وتلميذ له ، فكان الاصولى يقرأ عليه علم التفسير ، ويأخذ منه الزمخشرى علم الاصول ٠ (٢)

ـ وابو منصور نصر الحارثى :

ذكره السيوطى فى بغية الوعاة ٠ (٣)

ـ وابو سعد الشقانى نسبة الى شقان من قرى نيسابور ٠ (٤)

(١) معجم الأدباء ٩ : ١٩١

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشرى ص ٢٠

(٣) تاج العروس ١١ : ٤٤٩ ـ بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ ـ طبقات المفسرين للداودى ٢ : ٣١٤

تلاميـــذ الزمخشـــرى

-

كان للزمخشرى حظ وافر فى الأخذ عنه فى كل مكان حل به ، حتى يمكن أن نطلق عليه مدرسة متنقلة كانت تعلم مختلف العلوم الانسانية

يقول القفطى : ما دخل بلداً الا واجتمعوا عليه ، وتتلمذوا له ، واستفادوا منه (١)

كان لهذه المدرسة الكثير من التلاميذ المجتهدين الذين يكنون لها كل اخلاص وقد أثبت كتاب التراجم الكثير من تلاميذ الزمخشرى النوابغ ومريديه الذين وصلت الينا أخبارهم ، أو غيرهما ممن لم يبلغوا هذه الدرجة العلمية أما الذين وصلت أخبارهم الينا من تلاميذه أو من رووا عنه أو استجازوه فهم النزر اليسير ، فمن تلاميذه :

— محمد بن أبى القاسم بن بايجوك البقالى الخوارزمى :

ذكر أنه كان اماما فى الأدب ، وحجة فى لسان العرب (٢)

أخذ عن الزمخشرى اللغة والنحو وسمع منه الحديث ، وجلس بعده فى مجلسه للدرس . (٣)

وكان كثير الفوائد عزيز الجانب كريم النفس نزيه الخلق لا يدخل فيما لا يعنيه وله فى نقد الشعر جهد . (٤)

له من التصانيف : مفتاح التنزيل وتقويم اللسان فى النحو والاعجاب فى الاعراب والبداية فى المعانى والبيان ومنازل العرب ومياهها وشرح

---

(١) الانباه ٣ : ٢٧٠

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٣) طبقات النحاة لابن قاضى شهبة ص ٢٣١ ـ بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٤) المرجع السابق

أسماء الله تعالى ، والتراجم بلسان الأعاجم ، والتفسير والفتاوى والتنبيه على إعجاز القرآن • (١) (ت٥٦٢ هـ)

— والموفق بن احمد بن ابى سعيد اسحق ابو المؤيد المعروف باخطب خوارزم :

كان متمكنا في العربية غزير العلم ، فقيها فاضلا ، أديبا شاعرا ، قرأ على الزمخشري وله خطب وشعر ، (ت٥٦٨ هـ) • (٢)

أبو الحسن على بن محمد بن على بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي الموصوف بحجة الأفاضل ، وفخر المشايخ •

قرأ على الزمخشري فصار أكبر اصحابه وأوفرهم حظا من علومه المتشعبة وكان ولوعا بالسماع والكتابة وجعل فى آخر عمره أيامه مقصورة على نشر العلم وافادة طالبيه ، ففزع الناس إليه فى حل المشكلات ، وكان علما فى الدين والصلاح ، زاهدا ، يقول عنه صاحب تاريخ خوارزم : " العمراني حجة الأفاضل ، سيد الأدباء ، قدوة المشايخ ، المحيط باسرار الادب ، المطلع على غوامض كلام العرب " • (٣)

• له في التفسير واشتقاق الاسماء ، والمواضع والبلدان (٤) ، (ت٥٦٨ هـ) •

— المطرّزى ناصر بن عبد السيد بن على :

فقيه نحوى أديب ، حنفى المذهب • كانت له معرفة تامة بهذه العلوم

---

(١) الأعلام ٧ : ٢٢٧ — بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٣٠٨

(٣) معجم الأدباء ١٥ : ٦١ — بغية الوعاة ١ : ٣٥٠

(٤) بغية الوعاة ١ : ٣٥٠ — منهج الزمخشري ص٤٦

ويقال إنه كان بخوارزم خليفة الزمخشرى . (١)

له من المصنفات : شرح مقامات الحريرى ،والمعرب فى لغة الفقه ، والمغرب فى شرح المعرب ،والاقناع فى اللغة ومختصر المصباح فى النحو ومختصر الاصلاح لابن السكيت ،(ت ٦١٠هـ) . (٢)

ـ على ـ بالتصغير ـ بن حمزة بن وهاس :
قرأ على الزمخشرى بمكة وقد سبق الحديث عنه شيخا وتلميذا للزمخشرى .

ـ ركن الدين محمود الاصولى :
تلميذ وشيخ للزمخشرى ،وقد سبق الحديث عنه فى شيوخه . (٣)

ـ أبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر :
ذكر بعض كتاب التراجم أنه ابن اخت الزمخشرى . (٤)

ـ وأبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلى . (٥)

ـ وأبو يوسف يعقوب بن على بن محمد بن جعفر البلخى :
أحد الأئمة فى النحو والأدب ،لم يكتف بالأخذ عن الزمخشرى بل طالت ملازمته إياه . (٦)

وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم . (٧)

وأبو سعيد أحمد بن محمود الشاتى بسمرقند . (٨)

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٣١١ ـ التصريح على التوضيح ١ : ٣٤٣
(٢) تاج العروس مادة (طرز)
(٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص١٩
(٤) منهج الزمخشرى ص٤٦
(٥) الدراسات اللغوية والنحوية ص١٩
(٦) معجم الادباء ٢٠ : ٥٥
(٧) الدراسات اللغوية والنحوية ص١٩ ـ منهج الزمخشرى ص٤٦
(٨) المرجعان السابقان

ـ وابو المحاسن عبد الرحيم بن عبدالله البزار بابيورد .(١)

ـ ويعقوب بن شيرين : وهو الذى رثى الزمخشرى عند وفاته وقد سبق الحديث عنه عند الكلام عن وفاة الزمخشرى .

اجــازاتــه

طلب الاجازة من الزمخشرى جماعة من العلماء منهم :

ـ الحافظ أحمد بن محمد السّلفى :

كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه فى مسموعاته ،ومصنفاته وكان الزمخشرى حينئذ مجاورا بمكة ،فرد عليه ردا لا يشفى غليله فلما كان العام الثانى كتب اليه مع الحجاج استجازة أخرى بين فيها مقصوده وطلب منه فى آخرها ان لا يحوجه الى المراجعة لبعد المسافة فكتب اليه الزمخشرى يتواضع ويتصاغر ،ولم يصرح له بالاجازة ويقول ابن خلكان : "وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أو لا ؟ " (٢)

وينقل السامرّائى نص اجازة الزمخشرى له بعد أن تأبى عليه قبل ذلك ومنها : " وقد أجزت له أن يروى عنى تصانيفى ...وأنا محمود بن عمر بن محمد . بن أحمد الخوارزمى ثم الزمخشرى ومنسوب إلى قرية هى مسقط رأسى " .(٣)

وكان السلفى من الحفاظ المكثرين ارتحل فى طلب الحديث،وطاف

---

(١) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٢ ـ الوفيات ٥ : ١٧٠ ـ الشذرات ٤ : ١٢٠

(٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص ٢٢

بالبلاد ،والتقى بافاضل العلماء ، فروى عن ابى محمد جعفر بن السراج وغيره من الائمة ، وتوجه اليه الناس ليفيدوا منه علما ،فسمعوا منه وانتفعوا به ،ولم يكن آخر حياته من يعدله علما ، (ت٥٧٦هـ) . (١)

ــ زينب بنت الشعرى : وهى حرة بنت أبى القاسم (أم المؤيد) أصلها من جرجان وتسكن نيسابور ، وكان والدها يعرف بالشعرى .وكانت عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية واجازة ، فأجاز لها غير الزمخشرى ،الحافظ ابو الحسن عبدالغافر بن اسماعيل ،وأجازت هى لابن خلكان ، (ت ٦١٥هـ) . (٢)

ــ رشيد الدين الوطواط : محمد بن محمد بن عبدالجليل طلب من الزمخشرى إجازة يكتبها بخط يده لتكون شرفا يدوم له مدى الدهر (٣) .

---

(١) الوفيات ١ : ٣٧

(٢) الاعلام ٤ : ٣١ ــ الوفيات ٥ : ١٧٢

(٣) معجم الادباء ١٩ : ٢٩ ــ البغية ١ : ٢٢٦

بين العلماء والحكام

لما اشتد عود الزمخشري ، تطلعت نفسه إلى ما عليه العلماء المشهورون في زمانه من مكانة اجتماعية مرموقة وما هم عليه من صلة بالأمراء والحكام ، ونوال جوائزهم فانخرط في سلك ذلك المجتمع ، وجعل يوطد علاقاته بتلك الطبقات العلمية والاجتماعية ، فكان بينه وبين العلماء والأدباء مناظرات علمية ومنافسات للوصول الى غايته .

لقد بزّ العلماء في كثير من النواحي ولكن ناحية واحدة أخفق فيها وهي نوال غايته من الامراء فهو يرى نفسه في مكانة لا تليق به وبعلمه ، فألح في الشكوى ولم يفلح في الوصول إلى ما تطمح إليه نفسه ، ولعل ذلك راجع إلى كيد العلماء له عند الأمراء والوزراء .

من أجل ذلك شدد هجومه على العلماء وذكر نفاقهم لأمراء السو فقال :

" ما لعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودونوها ، ثم رخصوا فيها لأمراء السوء وهونوها . أكمام واسعة فيها أصلال لا سعة ، وأقلام كأنها أزلام " . (١)

وهذه الفترة التي طمحت نفسه فيها لأن يبزّ العلماء ويكتسب الجوائز كانت فترة الشباب حتى اذا ما انقضت بمرضته المنذرة والتي عاهد فيها نفسه الا يطأ عتبة سلطان كانه بذلك أفاق من غيبوبته .

لقد أفاق من غمرة الشباب ، وبدأ يبني مجدا علميا بديلا عن المجد المادي وأخذ يصلح ما بينه وبين أهل العلم فارتفعت مكانته بين العلماء ، وذاع صيته في الآفاق والتقى بجلتهم في ذلك الحين فقد التقى بالشيخ الشريف

---

(١) معجم الادباء ١٦ : ١٢٦

ابى السعادات هبة الله بن الشجرى فى بغداد اذ كان الزمخشرى فى طريقه الى الحج فجاءه ابن الشجرى مهنئا فلما جالسه مدحه الشريف متمثلا : (١)

كانت مساءلة الركبان تخبرنى عن أحمد بن دوءاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

فلما فرغ الشريف شكره الزمخشرى وعظمه وتصاغر له ، ثم قال له : إن زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحين بصر بالنبى رفع صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول الكريم : يا زيد الخيل كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة الا أنت فانك فوق ما وصفت وكذلك الشريف ودعى له وأثنى عليه . (٢)

وتبادل الزمخشرى مع ابن وهاس الود والصفاء وتبادلا المدح ومما قاله الزمخشرى فى ابن وهاس : (٣)

معاليك والسبع الطباق سواء معالى الورى أرض وهن سماء

ومدح ابن وهاس الزمخشرى بشعر نوه فيه بحلمه وفضله وذكر أنه أبعد صيت خوارزم . (٤)

والزمخشرى لا يخفى إعجابه بالعلماء السابقين عليه بقدم ثابتة فى علم ما فهو يشير فى مقدمة كتابه (المستقصى فى الامثال) الى الميدانى بالعالم المنصف وينتظر حكمه على كتابه لأن الميدانى أرسخ قدما فى هذا المجال . (٥)

---

(١) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ - نزهة الألباء ص ٤٠١ - الشذرات ٤ : ١٣٢

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٣) منهج الزمخشرى ص ٤١

(٤) البلاغة القرآنية ص ٤١

(٥) المستقصى فى الامثال مقدمة المؤلف ه

وكان يطلق على محمود بن عبد العزيز العارضي (الجاحظ الثاني) لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . (١)

وهو لا يهضم حق عالم أخذ عنه علما ممن سبقوه ، وتفسيره مشحون بأسماء أعلام العلماء واسماء شيوخه من المعتزلة ، كما يذكر أعيان النحاة والبلاغيين ، وكل من أخذ من تراثهم في مختلف مؤلفاته ولو أردنا أن نسرد أسماءهم لطال الأمر

قدم الزمخشري على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، فنظر في كتابه (الهادي للشادي) فأنكر عليه تسمية الكتاب بهذا الاسم ، وقال له : كيف سميت هذا الكتاب مع نفاسته وغموض معانيه ودقتها بهذا الاسم ؟ فان الشادي من أخذ طرفا من العلم وهذا الكتاب لا يليق الا بمن كان منتهيا لا مبتدئا .

ولما فارقه إلى خوارزم عمد إلى بعض كتبه فزاد على اسم الميداني نونا قبل الميم ، فصارت (النميداني) ومعناها : الذي لا يعرف .

فلما فارقه نظر الميداني في الكتاب فشق عليه ذلك فتتبع بعض كتب الزمخشري فغير الميم من الزمخشري نونا فصارت (الزنخشري) ومعناها كما يروى القفطي بالفارسية (بائع زوجته) ، ويذكر الأنباري في نزهة الألباء ان لها معنى آخر قبيحا (...) فلما وقف الزمخشري على ذلك كتب الى الميداني واعتذر اليه من ذلك فكتب إليه : " اذا رجعت رجعنا وقبلنا عذرك " (٢)

وهذا يبين أن للزمخشري ~~كما~~ مواقف جد مع العلماء فان له مواقف مرح وملاطفة ولكنها قد تجر عليه غضبهم كما بدا في هذه اللطيفة .

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٢) نزهة الألباء ص٢٨٨

أما الأمراء فلم يكن أسعد حظا معهم من العلماء فقد أجهد نفسه في رفع عقيرته بمدحهم منذ لقائه بنظام الملك مع شيخه أبي مضر ،ولعل الذى داعب خياله منذ الوهلة الأولى هو الوصول الى منصب يليق بغزارة علمه وعلو همته ،فهو يمدح نظام الملك ويتشكى إليه حين يرى أن من دونه قد تصدروا ورقوا فى المناصب ولم يحظ هو بطائل فهو يخاطبه فى قصيدة طويلة منها :

وكم قلت ألقى فى وزارتك المنى ... وأدراك وحدى ما ارتجى كل آمل

ولم أدر أن الارذلين يرون ما ... تمنوا وأنى لست أحظى بطائـــل

وامتدح (مؤيد الملك) بن نظام الملك وكان بليغا فى النظم والنثر ، امتدحه الزمخشرى والأمل يراوده فى المنصب . (١)

ولما وجد أن التلميح لا يغنى عن التصريح أخذ يعدد مآثر نفسه فيجهر بعلمه وفضله ويعرض مؤلفاته التى يعجز عن مثلها أساطين العلماء ،فقد مدح مجير الدولة أبا الفتح علي بن الحسين الاردستانى الذى أصبح كاتبا للرسائل فهو يعرض كتبه عليه علّه بذلك ينال آماله فيقول : (٢)

وأصبحت كالمقصوص ريش جناحه ... أنوء بركن كلما كنت جانح

نطاسى آمال عراض وجابر ... لكسر مهيضات الخطوب الفوادح

× × ×

وفي شرح ابيات الكتاب لبعضهم ما ... يرى فى صفاتى مجملا غير شارح

وأنموذجا أنفذت منه يضمـــه ... رجائى أرى فيه وجوه المناجح

أراقب عــن عيــن الوزير اطـــلاعه ... عليه وحسبى منه لمحة لامح

---

(١) منهج الزمخشرى ص٣٢

(٢) المرجع السابق ص٤ ٢١

وكان أحيانا يمدح الأمير أو الوزير من أجل عمل صالح يخدم الاسلام ولا يسأله منصبا أو جاها فى دولته ،ولعله وطد نفسه على الاخفاق فى الوصول إلى تلك الأمانى .

لقد مدح محمد بن أبى الفتح ملك شاه حينما شتت شمل الباطنية ، وخرّب ديارهم لما علم من خطرهم على الاسلام والمسلمين يتمدّحه بأصله العريق وعدالته وحسن سيرته ونصرة الحق . فيقول : (١)

ابن السلاطين من ابناء سلجوق وابن الغضارف منهم والغرانيق

لله من عادل من حق سيرته ونصرة الحق ان يدعى بفاروق

مستوجب مدح جموع الشرك مبغضة محبب فى بنى الاسلام مرموق

ونراه يمدح الحكام برعايتهم للأدب ، فقد مدح خوارزمشاه لرعايته للأدب ويبدو أن الزمخشرى نال عنده حظوة اذ أكثر من عطاياه . (٢)

ويمدح على بن أرسلان بقصيدة طويلة يصف فيها ورعه وتقواه وينعته بالبلاغة والفصاحة ،وعلو القدر والمكانة ويشير الى سخائه وكرمه ـ (٣)

وهكذا تطورت به الحال من طموح وأمل فى المناصب في سلك الدولة الى قناعة ورضى ،وتقدير للصفات الحميدة التى يلمسها فى الحكام دون أن ينتظر منهم شيئا .

وكان هناك من راسل الزمخشرى ،إعجابا به وبعلمه وفضله ،من هؤلاء : شبل الدولة أبو الهيجاء مقبل بن عطية البكرى ختن نظام الملك فقد أرسل اليه

---

(١)الكامل لابن الأثير ١٠ : ١٨٤

(٢) منهج الزمخشرى ص٣٨

(٣) الزمخشرى شاعرا ص١١

شعرا يرفع من شأنه ، ويبين فضله ،ويصفه بالبحر ،فرد عليه الزمخشرى بشعر مماثل ٠ (١)

كما راسله منتجب الملك فقد بعث اليه قصيدة وهو في مكة ،يعبر فيها له عن حبه اياه ،ويصفه بشقيق النفس ،وأنه ارتضع من در العلوم وتضيء بعلمه الدنيا ،ولعلمه فى كل ناحية من نواحى الدنيا شعاع ٠ (٢)

تراثه العلمى

ترك الزمخشرى تراثا ضخما فى علوم مختلفة من : تفسير ، وحديث ،ونحو ،ولغة ، ولم ينس حظه من الأدب شعره ونثره ٠

ومن هذا التراث ما هو مطبوع ،ومنه ما لا يزال مخطوطا ،ومنه ما هو مفقود أو فى حكم المفقود ، لذلك جعلت تراثه العلمى فى ثلاث مجموعات على الترتيب المذكور وحاولت فى كل مجموعة أن أبدأها بالمادة الدينية من

---

(١) انباه الرواة ٣ : ٢٦٦

(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٧٢

تفسير أو حديث أو فقه   ثم بالكتب النحوية فاللغوية ثم الأدبية من نثر وشعر .

اولا : فى علوم الدين .

- " الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل " وهو كتاب فى التفسير ، وأعظم مؤلفاته شأنا ، بدأ فى تأليفه فى مطلع سنة ٥٢٦هـ وانتهى منه سنة ٥٢٨هـ فى مكة المكرمة خلال جواره الثانى ، وأهداه لابن وهاس . (١)

ويبدو من مقدمته أنه كتبه مرتين :

الأولى : وهى تتمثل فيما أملاه على تلاميذه وإخوانه فى المذهب الاعتزالى وكانوا كلما رجعوا إليه فى تفسير آية ، أبرز لهم بعض الحقائق ، استطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك ، حتى اجتمعوا إليه مقترحين أن يملى عليهم ،" الكشف عن حقائق التنزيل .. " فاستجاب طلبتهم . (٢)

أما الثانية : فالمعتقد أنه هذا الذى بين أيدينا وهو يبين أن ابن وهاس كان يحدث نفسه أثناء غيبة الزمخشرى فى خوارزم ، بالوفادة عليه فى خوارزم ليتوصل إلى هذا الغرض ، فيقول الزمخشرى فى ذلك : "وقد ضاقت على المستعفى الحيل ، وعيت به العلل ، ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التى سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت فى طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن الشرائد ،

---

(١) الاحاجى النحوية المحقق ص١٦

(٢) الكشاف ١ : ١٧

خلافة (١)
ووفق الله وسدد ،ففرغ منه فى مقدار/ابى بكر الصديق رضى الله عنه ٠٠٠ "

ويذكر أن الزمخشرى كان قد افتتح كشافه بقوله : " الحمد لله الذى خلق القرآن " فقالوا له : لو تركته على هذا لزهد فيه الناس فغيرها بقوله " الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما " وقيل إن هذا من إصلاح الناس وليس من الزمخشرى نفسه ٠ (٢)

ويقول صاحب كشف الظنون إنه "رأى النسخة الأصلية التى هى بخط الزمخشرى نفسه بيده فى مدينة السلام مختبئة فى تربة ٠٠ الامام أبى حنيفة خالية من أثر الكشط والإصلاح ،وفى مقدمتها " الحمد لله الذى أنزل القرآن " ٠ (٣)

وهو يهتم فى تفسيره هذا بتوجيه الآيات الكريمة لخدمة عقيدته الاعتزالية ويعنى عناية كبيرة بابراز مواطن البلاغة ،كما يهتم بالنحو اهتماما خاصا ويسهب فى الاستشهاد بالقراءات ويعزز شرحه بشواهد شعرية كثيرة من أشعار القدماء ٠ (٤)

والزمخشرى فى تفسيره هذا شديد الإنكار على المخالفين للمعتزلة كثير التشنيع على غيرهم من الفرق لذلك نجد كثيرا من العلماء ،وخاصة أهل السنة قد نقدوا آراءه وناقشوها ،وردوا عليها ردودا تتفق واسلوبه من هوادة أو عنف ٠

ويبدو أن الزمخشرى قد اطلع على كتب التفسير التى سبقته وأفاد منها

---

(١) الكشاف ١ : ٢٠

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢ : ١٤٨٢

(٤) دائرة المعارف الاسلامية باللغة العربية ١٠ : ٤٠٤

وخاصة تفاسير المعتزلة . (١) كما ورد فى كشافه أسماء كثير من الصحابة رضى الله عنهم منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعائشة وأبو هريرة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم . وكذلك بعض أسماء التابعين من الفقهاء والمفسرين وأسماء اللغويين والنحاة والقراء وغيرهم .

وقد ظل الكشاف حتى الآن محتفظا بمكانته وحاول بعض المفسرين أن ينهج طريقه ولعل البيضاوى وهو سنى حين كتب تفسيره جعله نظيرا لتفسير الزمخشرى عند المعتزلة ، بل حاول أن يتفوق عليه فيما يتعلق بالنحو ، والاستشهاد بالقراءات المختلفة . (٢)

وقد اعتنى بالكتاب خلق كثير من نساخ وشراح ومعلقين فذكر بروكلمن أن للكتاب أكثر من خمس وتسعين مخطوطة ، واثنين وعشرين شرحا وتعليقا وتسعة مختصرات وثلاثة ردود عليه ، وما تزال نسخة الأصل الأولى التى نقلت من السواد محفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى . (٣)

ويبدو أن الزمخشرى كان يعتز بكشافه وكثيرا ما كان يفخر به . (٤)

وقد طبع الكشاف طبعات عديدة كان أولها طبعة (نسّان ليس) .. وخادم حسين وعبد الحى كلكتا ١٨٥٦ م فى مجلدين . وتلتها طبعة بولاق ١٢٩١ هـ وطبعات أخرى فى مصر ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٨ هـ . (٥)

وطبع بالمطبعة البهية المصرية ١٣٤٣ هـ ، وطبعته مطبعة مصطفى البابى

---

(١) انظر : الزمخشرى ص١٠٩ ـ ١١١

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٤

(٣) بروكلمن ٢ : ١٩٠

(٤) الزمخشرى ص٢٤٢

(٥) معجم المطبوعات العربية ص٩٧٥

الحلبي ١٨٣٥هـ ـ ١٩٦٦م، وكذلك دار الكتاب العربي ببيروت . (١)

ـ الفائق في غريب الحديث : الكتاب شبه معجم لغوي يتصل بالاحاديث الشريفة ومفرداتها الغريبة لذلك أوردته في هذا المكان .

وقد أتمه صاحبه في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٦هـ . (٢) وهو يورد الكلمات الغريبة في الأحاديث والآثار ويشرحها بطريقته الخاصة وهي أن يعرض الكلمة فيأتي بفعلها الثلاثي على طريقة المعجم مراعيا الحرف الأول والثاني فهو يذكر مثلا الهمزة مع الباء، ثم الهمزة مع التاء ثم مع الثاء، وهكذا، ولكنه وراء الحرف الثاني قد لا يلتزم الترتيب فهو مثلا يذكر (أبط) بعد أبن) ... و(جدل) قبل (جدف) . (٣)

وهو حين يفسر فيه كلمة أو يبين معنى قد يبث آراءه في النحو أو البلاغة ويستشهد بكثير من أمثال العرب وشعرهم ونثرهم . وهذه بعض الأمثلة التي توضح طريقته . :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يوطن من المسجد للصلاة والذكر رجل إلا يبشبش الله به من حين يخرج من بيته كما تبشبش أهل البيت بغائبهم إذا قدم عليهم "

قال الزمخشري : التبشبش بالانسان المسرة به والإقبال عليه، وهو من معنى البشاشة لا من لفظها عند أصحابنا البصريين، وهذا مثل لارتضاء الله فعله ووقوعه الموقع الجميل عنده .

يخرج : في موضع الجر باضافة الحين اليه والاوقات تضاف الى الجمل، ومن لابتداء الغاية والمعنى أن التبشبش يبتدئ من وقت خروجه من بيته الى

---

(١) معجم المطبوعات العربية ٩٧٥

(٢) كشف الظنون ٢: ١٢١٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٤

(٣) الفائق ١: ١٧٨

الى أن يدخل المسجد ، فترك ذكر الانتهاء ، لأنه مفهوم ، ونظيره شمت البرق من السحاب .

ولا يجوز أن يفتح حين كما فتحه فى قوله :

« على حين عاتبت المشيب على الصبا »

لانه مضاف الى معرب ، وذاك الى مبنى . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : "ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها " .

قال : ينضوى اليه وينضم ، ومنه الأروز للبخيل المتقبض .

وعن أبى الأسود الدؤلى : أن فلانا اذا سئل أرز واذا دعى انتهز . (٢) وأتى النبى صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فخفق بالنعال ويهز بالأيدى " .

قال الزمخشرى : البهز : الدفع بالأيدى العنيف ، وقيل لأولاد العلات ــ بنو العلات : أبوهم واحد وأمهاتهم شتى ــ بنو بهز لتدلفعهم وقلة ترافدهم ، وبه سمى ابن حكيم بهزا . (٣)

وقد أثنى ابن حجر على الفائق بقوله : " والفائق فى غريب الحديث من أنفس الكتب ، لجمعه المتفرق فى مكان واحد ، مع حسن الاختيار وصحة النقل " (٤)

طبع الكتاب فى حيدر أباد الدكن فى جزأين سنة ١٣٢٤هـ ثم

---

(١) الفائق ١ : ٩٢

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢

(٣) المصدر نفسه ١ : ٩٠

(٤) الزمخشرى ص ٢٦٠

ثم طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٥م .

— وخصائص العشرة الكرام البررة :

كتاب في ترجمة الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ، وكان الدافع الى تأليفه نزول البركة ، والرحمة عند ذكر الصالحين .

والكتاب يتحدث في مزايا كل واحد من هؤلاء السادة التي لم يشاركه أحد في مزية منها . (١) وقد رتبهم حسب مراتبهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ورد ذكرهم في حديث شريف يقول عليه الصلاة والسلام : " ابو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد بن نفيل في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة " (٢)

ومما جاء في الكتاب بشأن العشرة البيتان التاليان : (٣)

لقد بشرت بعد النبي محمد بجنة عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر وطلحة والزهري والخلفاء

والكتاب نشر ببغداد سنة ١٩٦٨ م .

ثانيا : كتب الزمخشري التي طبعت في النحو .

---

(١) خصائص العشرة المبشرين بالجنة ص ١٦

(٢) رياض الصالحين ١ : ٢١

(٣) خصائص العشرة ص ٢٠١

— المفصل فى صنعة الاعراب :

هو أشهر كتب الزمخشرى فى النحو • شرع فى تأليفه فى غرة رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ،وفرغ منه فى غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة • (١)

وقد بلغ الكتاب مكانة عالية عند علماء النحو ،وتناوله كثرة من الشراح بالدرس والتعليق ،ويعده النحاة اللاحقون ثانى كتاب فى النحو بعد كتاب سيبويه • (٢)

ذكر ابن يعيش فى مقدمة شرحه (للمفصل) أنه نابه ذكره ،جليل قدره ،جمع أصول هذا العلم ،وفصوله ،وأوجز لفظه ،فتيسر على الطالب تحصيله • (٣)

ويقول عنه صاحب كشف الظنون : " هوكتاب عظيم القدر ،وذكر فيه شعرا جعله ندّا لكتاب سيبويه • (٤)

فكما أنهم أطلقوا على (الكتاب) قرآن النحو فهو يجعل (المفصل) كأنه سور من ذلك الكتاب ،ويخصها بطوال المفصل •

وقد اهتم ابن العبرى (٥) بالمفصل ،ورآه غاية ما يمكن الوصول إليه فى التأليف النحوى ،فانتفع بــه ،وقصد التعريف بمحتواه لأصحاب اللغات الأخرى للسير على نهجه • (٦)

ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافى أن جماعة المتأخرين جاءوا بمذهبهم فى

---

(١) وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٥

(٢) سركيس المعاجم العربية ص ١٢٩

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ١ : ٢

(٤) كشف الظنون ٢ : ١٧٧٤

(٥) هو : بارهبريوس ابو الفرج مؤرخ عربى توفى سنة ١٢٨٦ م • انظر : دائرة المعارف ١٠ : ٢٢٦

(٦) تطور الدرس النحوى ص ٨٢

والاستيعاب لجميع ابواب العلم ، ووضعوا أعم كتب النحو والصرف ، واكملها ، وأدقها ، وأكثرها تهذيبا ، ومن أشهرهم الزمخشري ، صاحب المفصل في النحو . (١)

ويقول الاستاذ عبدالحميد حسن : إنه ليس في الكتب التي بين المفصل وكتاب سيبويه مما وصل الينا كتاب عالج المباحث النحوية علاجا كاملا شاملا . فانما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة ، أو في مباحث صرفية هي أقرب إلى الصيغة اللغوية وكتاب المفصل يعتبر مرحلة تامة النمو ، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث النحوية . (٢)

فللمفصل كما أشرنا مكانته المرموقة في عصر تأليفه وما تلاه من عصور وظهر ذلك في اهتمام الناس به ، وانكباب العلماء والطلاب على درسه حتى أن الملك عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق (ت٦٢٤هـ) جعل لمن يحفظ كتاب المفصل من الطلاب مكافأة مالية تقدر بمائة دينار وخلعة . (٣)

والزمخشري يبين الغاية من تأليف مفصله ، وهي ما بالمسلمين من الأرب الى معرفة كلام العرب وقد أخذته الشفقة على أشياعه من الادباء . (٤)

ويرى الدكتور حسن عون في شيء من المبالغة أن الباعث الحقيقي لتأليف المفصل هو أن الزمخشري لما رأى أن المؤلفات النحوية ، وعلى رأسها كتاب سيبويه مضطربة في منهجها ، وفي أبوابها ، وفي أحكامها ، حيث يظهر الخلط والتكرار ، والاستطراد ، ويغلب عليها عدم الوضوح ، أراد أن يخلص النحو

---

(١) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص١٦٩

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية ص١٠١

(٣) محمد الطنطاوي : نشأة النحو ص١٧٥

(٤) المفصل مع ابن يعيش المقدمة ١ : ١٧ ــ المفرد والمؤلف ص٩

من كل ذلك ،ويجعله خالصا فى مادته سهلا فى تناوله ،فألف لذلك كتابه المفصل ، (١)

وقد اهتم بالمفصل طائفة كبيرة من العلماء والباحثين فمنهم من شرحه او شرح شواهده ،ومنهم من نظمه أو اختصره أو قلده ،وسأبدأبهم على هذا الترتيب ثم نشره وطبعه .

ا ـ طائفة الشارحين له أو لشواهده :

شرح المفصل الزمخشري نفسه ،ويوجد من ذلك الشرح نسخة بليدن ١٦٤ و وفينا ١٥٤ . (٢)

وشرحه الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى (ت٦٠٦هـ) . (٣)

وشرحه ابو البقاء العكبرى (ت٦١٦ هـ) منه نسخة بالقاهرة الفهرست ط٢ جـ٢ ـ ١٢٧، ١٥٧ ومختصر منه بعنوان المسترشد لنفس ابى البقاء . (٤)

وشرحه ابو محمد مجد الدين القاسم بن الحسين المعروف بصدر الأفاضل الخوارزمى (ت٦١٧هـ) وله عليه ثلاثة شروح ،واسمه التخمير منه نسخة فى المتحف البريطانى ٩٢٧ ودمشق فى الظاهرية ٦٧ ،وعمومية ٧٥ . وسيط ومختصر ،وفى بغية الوعاة انه صنف المجمرة فى شرح المفصل وهو بسيط ، والسبيكة فى شرحه وهو متوسط ،والمجمرة وهو صغير . (٥)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن أبى بكر الخارانى (ت٦٢٠هـ) (٦)

---

(١) حسن عون : تطور الدرس النحوى ص٨٢

(٢) بروكلمن ٢ : ١٩١ ـ الدراسات النحوية واللغوية ص١٠٢

(٣) المرجع السابق

(٤) بروكلمن ٢ : ١٩١ ـ بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٥) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٢

(٦) المرجع السابق

وشرحه على بن يعيش، (ت ٦٤٣ هـ) ،وهو أهم شروحه كلها ، لأنه اشبه بدائرة معارف فى استقصاء آراء النحويين .

طبع هذا الشرح فى ليبسك سنة ١٨٧٩م ، ١٨٨٢م وطبع فى عشرة أجزاء نشرتها إدارة المطبعة المنيرية ،ونشرته مكتبة المتنبى فى القاهرة بالاشتراك مع عالم الكتب ببيروت . (١)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن محمد العكبرى (ت ٦٠١ هـ) . (٢)

وشرحه مجيب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى (ت ٦٤٣ هـ) . (٣)

وشرحه المنتخب بن أبى العز بن رشيد أبي يوسف الهمذانى المقرئ (ت ٦٤٣ هـ) (٤)

وشرحه أبو الحسن على بن محمد بن عبدالصمد النحوى (ت ٦٤٣ هـ) (٥)

وقام بشرحه على بن محمد السخاوى (ت ٦٤٣ هـ) من نحاة العصر الأيوبى ، له شرحان على المفصل ،الاول فى أربعة مجلدات ،ومنه نسخة فى ليدن ١٦٥ باريس ٤٠٠٤ ،وقطعة منه باسكوريال ٦١ والآخر (سفر السعادة وسفير الافادة) منه نسخة فى برلين ٧٠٤٩ وفى دمشق عمومية ٨٦ والظاهرية ٧٠ . (٦)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٣) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٣

(٤) المرجع السابق

(٥) حاشية السجاعى على قطر الندى ص ٣٢

(٦) بروكلمن ٢ : ١٠ ـ بغية الوعاة ٢ : ٢٨٨

وشرحه من أئمة النحو ابن الصائغ (ت٦٤٣هـ) . (١)

وشرحه الشيخ أبو عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) وسماه الايضاح ، منه مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم ١٠٦٥ ،وميونخ ٦٩٣ والاسكندرية ٤نحو . (٢)

وشرحه جمال الدين على بن يوسف القفطى (ت٦٤٦هـ) (٣)

وشرحه محمد بن محمد المعروف بابن عمرون الحلبى (ت٦٤٩هـ) (٤)

وشرحه عبدالواحد بن عبدالكريم الانصارى (ت٦٥١هـ) وسماه المفضل ، منه نسخة فى الاسكريال ٦١ . (٥)

وشرحه الامام مظهر الدين محمد ،فرغ منه (٦٥٩هـ) وسماه المكمل منه نسخة فى الاسكريال ٦٠ ،والجزائر ٤٣ وباريس ٦٤٣٨ والمتحف البريطانى ٦٥٢ . (٦)

وشرحه علم الدين قاسم بن أحمد الاندلسى (ت٦٦١هـ) وسماه الموصل وهو فى أربعة أجزاء ،وذكر أن من شرحه نسخة فى مكتبة سليم اغا ١١١٧ (٧)

وشرحه الشيخ ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك (ت٦٧٢هـ) منه نسخة فى المكتبة الظاهرية بدمشق ٦٤ . (٨)

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٤ : ٤٧٢

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص١٠٤

(٣) المرجع السابق

(٤) نفس المرجع

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٦) بروكلمن ٢ : ١٩١ ــ بغية الوعاة ٢ : ٢٨٨

(٧) المرجعان السابقان

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

وشرحه الشيخ ابو عاصم على بن عمر بن الخليل الفقيهي (ت٦٨٩هـ)

وسماه (المقتبس في توضيح ما التبس) . (١)

وشرحه حسام الدين حسين بن على الشقانى (ت ٧١٠هـ)وسماه الوصل (٢)

وشرحه ابن أم قاسم ،الحسن بن قاسم المرادى (ت٧٤٩هـ) . (٣)

وشرحه يحى بن حمزة بن رسول الله (ت٧٤٩هـ) وسماه (المحصل لكشف أسرار المفصل) منه نسخة في برلين ٦٥٢١ ،وأخرى في الفاتيكان ١٠٢١ (٤)

وشرحه المهدى لدين الله أحمد بن أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ (ت٨٤٠هـ) منه نسخة فى المتحف البريطانى ملحق ٩٢٨ وسماه (التاج المكلل) .(٥)

وشرحه محمد سعد المروزى وسماه (المحصل) . (٦)

وشرحه محمد عبدالغنى / وسماه ،(المؤول في شرح المفصل) طبع فى كلكتا ١٣٢٢هـ (٧)

وشرحه محمد بن محمد الخطيب الفرخانى . منه نسخة فى المتحف البريطاني فهرس المخطوطات الشرقية رقم ٧٤٧٢ . رقم ٥٠ (٨)

وشرحه عبدالله العمادى ،وطبع فى لكنهو ١٣٢٣هـ ."(٩)

---

(١) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٥
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع نفسه
(٤) نفس المرجع
(٥) المرجع السابق
(٦) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣
(٧) المرجع السابق
(٨) المرجع نفسه
(٩) نفس المرجع

وشرحه أبو القاسم أحمد الأندلسى . منه نسخة فى استانبول مكتبة سليم أغا رقم ١١٥٧ ، (١)

وشرحه محمد الطيب المكى الهندى وسماه (الوشاح الحامدى المفصل على مخدرات المفصل) طبع بالهند ١٨١٨م .(٢)

وشرحه الامام المحقق نجم الدين عثمان بن الموفق الاذكانى وسماه (العقارب) . (٣)

وشرحه تاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندى توفى فى القرن الثامن ،وسماه (الاقليد) منه نسخة فى الاسكوريال ٦٢ وباريس ٤٠٠٣ ، وامبروزيا ١٠٥ (٣)

وشرحه (مجهول) منه قطعة فى المتحف البريطانى رقم ١٠٣١ (٣)

وشرح أبياته رضا الدين حسن بن محمد الصغانى (ت ٦٥٠هـ) (٣)

وشرح أبياته أبو البركات مبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الأربلى (ت ٦٣٨هـ) وسماه اثبات المحصل فى نسبة ابيات المفصل . (٣)

وشرح أبياته بدر الدين أبو فارس النعسانى طبع على الهامش ، بالقاهرة ١٣٢٤هـ وسماه (المفضل فى شرح شواهد المفصل) (٣)

وشرح أبياته فخر الدين الخوارزمى منه نسخة فى الظاهرية ٨٦ (٣)

طائفـــة الناظمين للمفصل :

نظمه أبو نصر فتح بن موسى الخضراوى القصرى (ت ٦٦٣هـ) (٣)
ونظمه الشيخ أبوشامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقى (ت ٦٦٥هـ) (٣)
ونظمه ابن مالك وسماه (الموصل في نظم المفصل للزمخشرى) (٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ :٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٦

(٣) المرجع السابق

طائفة المختصـــرين للمفصـــل :

اختصر المفصـــل الشيخ عبدالرحمن بن عـــطاء الله الاسكندرى (ت٦١٢هـ) . (١)

واختصره شمس الدين محمد بن يوســف القونوى (ت٧٨٨هـ) (٢)

وأما من قلد المفصل :

أحمد بيك بهرام بن محمود (ت ٦٧٠هـ) في كتاب سماه بنفس الاسم . (٣)

طائفـــة الناشرين للمفصـــل :

طبع المفصل لأول مرة في كرستيانا سنة ١٨٥٩م باعتناء بروخ ، وطبعه مرة اخرى ١٨٧٩م (٤) وترجم الى الألمانية وطبع ١٨٧٢م (٥)
ونشره مع حواشي وذيول مولوى محمد يعقوب راسبورى ١٨٩١م (٦)

ونشره حمزة فتح الله بالاسكندرية ١٢٩١هـ وفى القاهرة ١٣٢٣هـ (٦)

ونشره مع شرح الشواهد محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبى القاهرة (١٣٢٤هـ) وسماه المفضل فى شرح شواهد المفصل . (٦)

هؤلاء بعض الباحثين والعلماء الذين أقبلوا على المفصل يقرأونه ويشرحون نصوصه ويعلقون على ما جاء فيه .

---

(١) الدراسات النحوية واللغوية ص١٠٦
(٢) المرجع السابق ص١٠٧
(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٣
(٤) بروكلمن ١: ٢٩٠
(٥) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣: ٤٧
(٦) دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٣

- مقدمة الأدب :

كتاب فى النحو رتبه الزمخشرى فى خمسة أبواب هى : باب الأسماء، باب الأفعال ، باب الحروف ،باب تصريف الأسماء ،وباب تصريف الأفعال .

وهو يورد فى كل باب مفرداته العربية مع شروحها بالفارسية .

وقد ألفه الزمخشرى لتعليم أولاد الفرس واهداه إلى الامير اتسز.(١)

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٠٠ لغة (٢)

وهناك أيضا قسم آخر مخطوط يتضمن الأفعال والحروف وتصريف الأسماء رقم ٢٧٢ (٣) ،ومنه قطعة ضمن مجموعة تحتوى الأفعال فقط رقم ٥٨ مجاميع لغة.

طبع الكتاب فى (ليبسك) سنة ١٨٤٣م وقد جعله العالم الألمانى (وتشتاين) فى قسمين : الأول منه هو الأصلى سابق الذكر .

والثانى : معجم عربى لاتينى رتبه على حروف الهجاء وأدرج تحت .. الأصل مشتقاته مع الاهتمام بالعبارات والتراكيب اللغوية .يعطى بعد .. المقابل اللاتينى رقمين يدلان على الصفحة والسطر حيث ذكرت اللفظة العربية فى القسم العربى الفارسى .(٤)

وطبع الكتاب فى طهران سنة ١٩٦٣م باهتمام سيد محمد كاظم إمام . وترجمه إلى التركية اسحق أفندى بن خير الدين وسماه أقصى الأرب فى ترجمة مقدمة الأدب . (٥)

---

(١) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٢

(٢) البلاغة القرآنية ص٤٧

(٣) المرجع السابق

(٤) وجدى رزق : المعجمات العربية ص٩٩

(٥) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٢

— الأنمـــوذج :

الكتاب اختصار لقواعد النحو وحين يقارن بالمفصل نجد الكتابين يسيران على منهج واحد ، ولكن (الأنموذج) أشد إيجازا ، فهو يومئ إلى مسائل النحو إيماء .

وقد أهدى الزمخشرى هذا الكتاب الى مجير الدولة أبى الفتح على ابن الحسين الأردستاني . (١)

للكتاب مخطوطة بالمتحف البريطاني فهرس المخطوطات الشرقية رقم ٦٢٦٠ . (٢)

ونسخه بروخ بخطه فى كريستيانا ١٨٦٧ .

طبع الكتاب فى كريستيانا سنة ١٨٦٧م ، وفى طهران ١٢٦٨هـ وتبريز ١٢٧٥هـ . وفى مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩هـ ، وفى استانبول ١٢٨٠هـ . (٣)

وللكتاب شروح عديدة أشهرها :

شرح جمال الدين محمد بن عبد الغنى الأردبيلى (ت ٦٤٧) وطبع هذا الشرح فى بولاق ١٢٦٩هـ وطبع فى مجموعة فارسية ١٢٧٩هـ .

وشرحه الشيخ محمد عيسى وسمى شرحه الفيروزج) .
وطبع فى مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩هـ . (٤)

---

(١) الزمخشرى : المفرد والمؤلف المحقق ص٧
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣
(٣) المرجع السابق
(٤) المفرد والمؤلف المحقق ص٧ — ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٠

، ٢ : الأحاجـــى النحوية :

لهذا الكتاب أسماء عدة منها : " المحاجاة ومتم مهام أرباب الحاجات فى الأحاجى والألغاز " و " المحاجات ومتم مهام أرباب الحاجات فى الأحاجى والأغلوطات فى النحو " و " المحاجات بالمسائل النحوية " و "الأحاجى " وذكره حاجى خليفة " بالمحاجات " ٠ (١)وأما اسم " الأحاجى النحوية " وهو عنوان النسخة التى وقعت فى يدى ،فهو يبدو فيه الاختصار والوضوح ٠

ألفه الزمخشرى فى مكة بعد تأليف " الكشاف " وأهداه إلى ابن وهاس ،ويصفه الزمخشرى فى المقدمة بقوله : " مسائل نحوية مسوقة فى مسالك المحاجاة ،منسوقة فى سلوك المعايا ة ،لا تستحلى منها مسألة إلا سقطت على أملوحة من الأماليح العلمية ،وأفكوهة من الأفاكيه الحكمية ،وذلك لترويض الأذهان بعد جموحها حتى تعود سلسة القياد " (٢)

جعل الزمخشرى فى هذا الكتاب خمسين أحجية من أحاجى النحو ومسائله التى تبحث فى فلسفة النحو ويتعرض لمسائل دقيقة ثم يأتى بالحل ٠

شرح الكتاب علم الدين السخاوى (ت٦٤٣هـ) باسم تنوير الدياجى) وقد عقب فيه على أحاجى الزمخشرى، بأخرى من نظمه هو والتزم أن يعقب كل أحجيتين بلغزين من نظم نفسه ٠ (٣) وذكر بعضها السيوطى فى الأشباه والنظائر ٠

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٣٥ ـ ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٣

(٢) الأحاجى النحوية ص١٨

(٣) المفرد والموءلف المحقق ص٩

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨ نحو ١١٦، مجاميع ،وهو فى ٢٧ ورقة فى مخطوطة الشنقيطى و ٢٥ فى المجاميع(١) طبع كتاب (الأحاجى النحوية) فى دمشق ١٩٦٩م ،وفى بغداد سنة ١٩٧٣م .

ـ المفرد والمؤلف :

كتيب فى النحو ألفه الزمخشرى لأهل مكة ،(٢) وجعله فى بابين اثنين هما :

باب المفرد ،ويتحدث فيه عن الكلمة وأحكامها وأنواعها .
وباب المؤلف ،ويتحدث فيه عن التركيب وأنواعه وأحكامه .

يوجد للكتاب مخطوطة فى استانبول كوبريللى ١٢٩٣هـ . (٣)

نشر الكتاب فى المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٦٧م . ثم قامت الدكتورة بهيجة الحسنى بطبعه مستقلا ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

ـ مسألة فى كلمة الشهادة :

هى محاضرة أملاها الزمخشرى على تلاميذه ،وتتعلق بإعراب كلمة الشهادة .

وموضوعها حذف خبر لا النافية للجنس فى كلمة " لا اله الا الله "

---

(١) الزمخشرى ص ٦٠ ٦١

(٢) الزمخشرى : المفرد والمؤلف ص ١٦

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٤٠٣

وهى بالقاهرة أحد تلاميذه الذين حضروا هذا الدرس . وقد ذكر محقق المسألة أنه مكتوب على النسخة التى حققها " هذه عبارة بعض تلامذته ، تلقنها منه وأثبتها بعبارته " واسم التلميذ وتاريخ النسخ مجهولان (١) . وقد أشار إليها بروكلمن . (٢) وذكر أنها المخطوطة الفريدة فى مكتبة جامعة (توبنكن) ، ولم يزد على ذكر اسمها شيئا .

وذكر المرحوم أمين الخولى سهوا أنها رسالة فى العقائد . (٣)

نشرت المسألة فى المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى ، وقامت بتحقيقها الدكتورة بهيجة الحسنى ، وأرفقتها برسالة المفرد والمؤلف ليطلع القارئ على ماهيتها . (٤)

ثالثا : مجموعة اللغة والأدب .

ا ـ اللغة :

ـ أساس البلاغة :

معجم فى اللغة العربية عرض فيه صاحبه بشكل واضح لبحث الدلالة البيانية ، ومعانى المفردات من ناحية الحقيقة والمجاز ، وتعبيرات الأدباء والبلغاء ، كما يبحث فى استعمال الألفاظ ومواضعها من الجمل ، وافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح . (٥)

---

(١) الزمخشرى : مسألة فى كلمة الشهادة

(٢) بروكلمن : تاريخ الادب العربى = ٥ : ٢٨٩

(٣) مقال عن الكشاف فى مجلة تراث الانسانية مجلد ٤ العدد ٢ سنة ٦٦

(٤) مسألة فى كلمة الشهادة مقدمة المحقق ص ١٠

(٥) مقدمة الأساس للمحقق ه

والدافع إلى تأليفه كما يبدو من مقدمته ،التوصل إلى بيان مراسم البلغاء والمخايرة بين ألفاظهم ،ومتعاورات أقوالهم وليكون الناظر فى اعجاز كتاب الله اعرف باسراره ولطائفه ٠ (١)

والزمخشرى يردنا إلى مراجعه التى استقى منها مادة هذا الكتاب ،فيقول : إنه قلى له العربية وسمع من الاعراب فى بواديها ومن صعاليك نجد فى مراتعها ومن سماسرة تهامة فى أسواقها وما تزاجر السقاة على أفواه آبارها ،وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات المفاخرة والمغالبة كما رجع فيه إلى بطون الكتب فأخذ من روائع ألفاظها وجوامع كلمها ٠ (٢)

ويبين نوع الألفاظ التى اختارها لمادة الكتاب ، فهى مما انتقوا وانتخلوا ومما استفصحوا واستجزلوا ،ومن أسباب هذا الاختيار التوصل إلى وجوه الاعجاز والقدرة على تقديم الحجة ٠ (٣)

وطريقة الكتاب هى : أن الزمخشرى ألفه على ترتيب حروف الهجاء ، فعقد بابا للهمزة بداه بالهمزة مع الباء ،ثم الحرف الذى يليه ان وجدت مادة بذلك ،ثم الهمزة مع التاء ثم الثاء ٠٠٠

ثم شرح المعانى الحقيقية للكلمات ،فالمعانى المجازية مثال ذلك : قال فى مادة حلف : حلف بالله على كذا حلفا وهو حلّاف وحلّافة وحلف حلفة فاجر واحلوفة كاذبة وحالفه على كذا وتحالفوا عليه واحتلفوا وحلّف خصمه وأحلفه واستحلفه ٠

---

(١) مقدمة الاساس للمحقق هـ

(٢) اساس البلاغة المقدمة ك

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر نفسه مادة (حلف)

ومن المجاز : بينهم حلف أى عهد ، وهم حلفاء بنى فلان وأحلافهم وهذا حليفى وهو حليف الندى وحليف السهر وفلان محالف لفلان لازم له وسنان حليف ورجل حليف اللسان يوافق صاحبه على ما يريد ... (١)

وقد لاحق ابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ) (اساس البلاغة) وجمع مجازاته فى كتاب خاص بها سماه (غراس الاساس) (٢)

ويقول فيه : " فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة فى اللغة من تبيين الحقيقة من المجاز والتمكن من اجتناب الاسهاب وارتكاب الايجاز (٣)

والكتاب مع سمو مكانته بين كتب اللغة ، نرى هناك من يبدى تحفظه فى دقته ويستدل بكتاب ابن حجر سابق الذكر وهو يستند هذا إلى أن المعنى الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى لم يكن قد بلغ مداه عندما كتب جارالله كتابه (الأساس) .

ثم يشير إلى شىء من اختلاف الفهم للمجاز اللغوى عند الزمخشرى فى أواخر القرن السادس (أساسه) وعند ابن حجر فى منتصف القرن التاسع فى غراس الاساس) فى مدة زمنية تمتد ثلاثة قرون بعد استقرار الاصطلاح على معنى المجاز اللغوى المعروف فى كتب البلاغة .

فابن حجر يجمع فى كتابه (غراس الأساس) المجازات اللغوية مستقصيا إياها ، متحريا الدقة فيها حتى قال فى مقدمة كتابه : " فرأيت الاقتصار

---

(١) الاساس مادة (حلف)

(٢) منه نسخة خطية فى مكتبة طلعت المودعة بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٣ل

(٣) [illegible]

منه ـ الأساس ـ على ما يجزم بأنه وضع على سبيل المجاز ، مكتفيا بالكتب المصنفة فى اللغة ، فإنها أوعب لها من هذا الأساس فمن لم يجد فى هذا المختصر شيئا فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة معتمدا على هذا الإمام البليغ المطلع " . (١)

ففى هذه العبارة إشارة إلى أن غراسه لا يشمل من (أساس البلاغة) الّا المجاز وما تركه فهو على الحقيقة وهناك ما هو مجاز ولم يصرح الزمخشرى بذلك :

إن ابن حجر أسقط ما صرّح به الزمخشرى أنه مجاز وذلك فى مادة (ا ث ب) إذ يقول فى الأساس : " ومن المجاز : هذا غلام قد تأثب السلاح أى لبسه وتأثب القوس إذا أخرج منكبيه من حمالة القوس فصارت على كتفه " . وسبب إسقاط هذه المادة أن ابن حجر لم يرها مجازا ، وهو ما يشير إليه فى مقدمته بقوله : " فمن لم يجد فى هذا المختصر شيئا فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة " (٢)

وأما إيراد ابن حجر لما يعده الزمخشرى من المجاز ففى مادة (أ ت ى) فالزمخشرى لم يذكر شيئا من معانيها على أنه من المجاز لكن ابن حجر لايلبث أن يختار من هذه المادة معانى يوردها فى (غراسه) على أنها مجاز فيقول : " تأتى له الأمر إذا تسهلت له طريقه . وتأتى له أمره حتى انجبر . وأدى اتاوة أرضه : أى خراجها ، وضرب عليهم الاتاوة : اى الجباية " . (٣)

---

(١) الاساس مقدمة المحقق و

(٢) المرجع السابق و ، ز

(٣) المصدر نفسه ز

يتبين من هذا أن ابن حجر يعدها من المجاز وإن لم يعدها منه الزمخشري في أساس البلاغة .

طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة في مجلدين سنة ١٢٩٩ هـ بمطبعة مصطفى وهبي وفي لكنهو سنة ١٣١١هـ وبمطبعة محمد مصطفى بمصر ١٣٢٧هـ ثم بمطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ في مجلدين (١) وطبع بالفوتواوفست ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م . (٢) وطبع بمطابع الشعب في مصر ١٩٦٠م وطبع بدار صادر بيروت ١٩٦٥م . (٣)

— أعجب العجب في شرح لامية العرب :

كتاب يشرح فيه الزمخشري قصيدة الشنفرى التي مطلعها :

أقيموا بني أمي مطايا صدوركم   فاني إلى قوم سواكم لأميل

وشرحه هذا يتسم بالاسهاب والاستطراد في المسائل النحوية حتى كأن النحو مقصودا بهذه الدراسة وقد اقتصر في اللغة على شرح المفردات ويستشهد بالآيات القرآنية وبالكثير من الأبيات الشعرية .

للكتاب نسخ مخطوطة في : الأسكوريال ثاني ٤، ٤٦٢ وباريس أول ٣٠٧٧ ،وليبزج أول ٤٩٨ القاهرة: ١٧٠ الف ،والاسكندرية أدب ٣٥الف وبرلين ٧٤٧٠ . (٤)

طبع الكتاب بمطبعة الجوائب في الآستانة سنة ١٣٠٠هـ وطبع في القاهرة ومعه مجموعة شروح : شرح للمقصورة الدريدية ،ومقامات عمر بن الوردي ،

---

(١) المعجمات العربية ص٢٨ - اساس البلاغة المقدمة س

(٢) اساس البلاغة الغلاف

(٣) المعجمات العربية ص٢٨

(٤) بروكلمن ١ : ١٠٧

وديوان ابن الخشاب سنة ١٣٢٨هـ . (١)

وطبع في مجموعة أخرى بمصر أيضا ١٣٢٤هـ يليه شرحان لابن زاكور المغربى ولابن أحمد المالكى . (٢)

— الجبال والامكنة والمياه :

كتاب أشبه ما يكون بمعجم جغرافى ، يذكر فيه أسماء الجبال والأمكنة والمياه وما يتعلق بها من أخبار أدبية .

والكتاب بلا مقدمة سوى سطر واحد بعد التسمية يقول فيه : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين .

ويرتب الكتاب ترتيبا هجائيا يقوم فيه بتعريف موجز لكل جبل أو مكان أو ماء على هذا الترتيب إلى نهاية الكتاب فيبدأ بأبى قبيس فيقول : الجبل المشرف على الصفا ، يسمى برجل من مذحج كان يكنى بابى قبيس لانه أول من بنى فيه ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين لأن الركن كان مستودعا فيه ، وهو أحد الأخشبين . ويتبعه بباقى الجبال ثم الأمكنة ، ثم المياه .

وينهى الكتاب بالمياه التى بين مكة وينبع يبدأها بالعذيبة والخشرمة وهما قليبان وينهيها بسرف ، وهى بئر .

وقد رجع الزمخشرى فى مادة الكتاب إلى : كتب اللغة ، وأشعار المتقدمين من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وقد أفاد مما وجده فى شعر العباسيين كابى نواس . (٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٨ص ٤٠ ـ بروكلمن ١ : ١٠٧

(٢) معجم المطبوعات العربية ص٩٧٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٣) الجبال والامكنة والمياه ص٨

وأفاد من الأصمعى ونقل عن علي بن وهاس .

ترجم الكتاب إلى اللاتينية (١) ونشره المستشرق سافودى جراف بليدن سنة ١٨٥٦م ، ١٨٨٥م وطبع بالنجف سنة ١٩٦٢م وبغداد ١٩٦٨م .

— لباب اللغـــــة :

وهو شرح لمقامات الزمخشرى طبع مع المقامات فى المطبعة العباسية بمصر ١٣١٢هـ ثم ١٣٢٥هـ ولم يرد ذكر هذا الكتاب بذلك الاسم فى المراجع التى حصلت عليها ، ولكن أشار إليه ياقوت بقوله (شرح مقاماته)(٢) . وقد ألفيت الزمخشرى يسميه هذه التسمية فى خاتمة شرحه لمقاماته .

ب ـ الأدب :

— ربيـــع الابرار :

صنفه الزمخشرى بعد كتابه (الكشاف) وكان الدافع الى تأليفه إجمام خواطر الناظرين فى الكشاف وترويح قلوبهم التى ارهقها اعمال الفكر فى استخدام ودائع علمه وخباياه كما أن تكون مطالعته ترفيها لمن أصابه الملل . (٣)

والكتاب مرتب على اثنين وتسعين بابا ، ويفهم مما أورده حاجى خليفة فى كشف الظنون "إن هذا ليس ترتيب المؤلف . فهو يقول : " ورتبه بعضهم إلى اثنين وتسعين بابا " ويقول المحقق : "إن جميع النسخ التى صارت إلى مرتبة هذه الابواب متفقة فيها ونسق الكتاب يقتضى هذا الترتيب(٤)

---

(١) البلاغة القرآنية ص٥٧

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٤

(٣) ربيع الابرار ١ : ٣٦

(٤) المرجع السابق

والزمخشري يذكر في كل باب ما يتصل به من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما ورد من أقوال الصحابة ، ثم يتبعه بأقوال التابعين ، والزهاد ، والنساك والحكماء والفلاسفة ، ومشاهير الرجال من الادباء ، والشعراء والحكام من العرب واليونان وممن ذكرهم بعد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين : جابر الصحابي وأبو سفيان وسفيان الثوري ، والحسن البصري ويحى بن أكثم وابراهيم بن المهدي وعمرو بن عبيد وخالد بن صفوان وقتيبة بن مسلم الباهلي ومعاوية البرمكي والمهدي وزبيدة وأفلاطون ، وسقراط ، وجالينوس والاسكندر ... وغيرهم وهو يكثر فيه من الروايات الطريفة.

والكتاب في جملته يشبه الكتب التي ألفت قبل زمن الزمخشري في مثل موضوعه كعيون الاخبار والعقد الفريد . ومن أمثلته :

(١) في معاشرة الناس وملاقاتهم ومصافحتهم ومراسلتهم وذكرهم وزيارتهم :

قال : جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، : من اخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا والزائر في الله حق على المزور اكرامه .

وذكر في هذا الموضوع سبع عشرة حكاية واحدة منها غير مسندة وأما أصحاب الحكايات الاخرى غير جابر فهم : القعقاع بن ثور الهذلي ، وابو خليفة الجمحي ، وابو تمام والمعري وابن عباس والخليل بن احمد ، وهشام بن عبد الملك والمنصور والشافعي ، واردشير وقباذ وبهرام جور ، ومعاوية ، ولبيد ، وعلى هذا النسق يسير حتى نهاية الكتاب .

---

(١) ربيع الابرار

الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٥ أدب ، (١)
وله مختصرات كثيرة وطبع بالقاهرة ،وبغداد ١٩٧٦م .

- المستقصى فى أمثال العرب :

كتاب فى الأمثال العربية رتبه الزمخشرى على حروف الهجاء حسب أوائل الأمثال ،وقد أشار فى مقدمته إلى القيمة الادبية لهذا النوع من الأدب ، وأن الأمثال قصارى فصاحة العرب وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبلاغتها التى أعربت بها عن القرائح السليمة . (٢)

ويضم الكتاب ثلاثة آلاف وأربعمائة وواحدا وستين مثلا ،وفرغ من تأليفه فى شهر رمضان ٤٩٩هـ . (٣)

وطريقته أنه يأتى بالمثل ثم يأخذ فى شرحه ويسنده لقائله . مثال :

أنجز حر ما وعد .

قال : نجز الوعد اذا نفذ وأنجزته قاله الحارث بن حجر الكندى لصخر بن نهشل ،وكان له مرباع بنى حنظلة فجعل للحارث الخمس منه ان دله على غنيمة ففعل ،ووفى هو بوعده يضرب فى استنجاز المواعيد . (٤)

للكتاب مخطوطة فى خزانة السيد حسنى عبدالوهاب بتونس وله مخطوطات عدة فى استانبول زيادة على المخطوطات التى ذكرها بروكلمن .

وهناك مختارات من هذا الكتاب اسمها زبدة الأمثال جمعها مصطفى بن

---

(١) الزمخشرى ص٦٢

(٢) الزمخشرى : المستقصى المقدمة - الوفيات ٥ : ١٦٨ ...

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٢

(٤) المستقصى ١ : ٣٨٤

ابن ابراهيم الغاليبولي (ت ١٠٢٤هـ) مع شرح فارسي وحواشٍ تركية .(١)

طبع المستقصى في مجلدين كبيرين بحيدر أباد سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م . (٢)

ـ مقامات الزمخشـــــرى :

هى مجموعة من الرسائل الخلقية ، بدأ مقدمتها بالدعاء لقارئها واستهل كل مقامة مخاطبا نفسه بقوله : (يا أبا القاسم) . وسميت بالمقامات أو . (النصائح الكبار) وهى خمسون مقامة فى النصح والارشاد وجهها إلى نفسه ولكل منها عنوان وكأنه اختار تلك العناوين لتكون الشعاب التى يسلكها فى حياته الجديدة بعد مرضته التى سماها المنذرة ، فمن هذه العناوين : مقامة التقوى ، ومقامة الرضوان ، ومقامة الزهد ، ومقامة الصمت ، ومقامة القناعة ، ومقامة العفة ومقامة التوحيد ، ومقامة الشهامة ، ومقامة العزم ... وقد ألفها فى سنة ٥١٢هـ بعد شفائه من مرضته (المنذرة) .

وقيل إنه زاد عليها بعض رسائل من موضوعات مختلفة ، كالنحو والعروض وأيام العرب . (٣) وقد شرحها الزمخشرى نفسه شرحا مفصلا ، تعرض فيه للغة والنحو واستشهد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب من شعر ونثر .

طبعت المقامات مع شرحها فى المطبعة العباسية بمصر .

---

(١) بروكلمن ٢ : ٤٢٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٢) الزمخشرى ص٥٩

(٣) درويش الجندى : النظم القرآنى فى تفسير الزمخشرى ص٤

— النصائح الصغـــار أو (أطواق الذهب) :

ضمنها مائة مقالة كلا منها فى بضعة أسطر بغير عنوان ،وهى فى المواعظ ، ألفها بمكة المكرمة ليتقرب بها الى الله ،ويضرع إليه أن يفيض عليها من البركة والقبول وأن يحفظ منها ما أوجب للجار من حق الذمام والذمار ، لأنها وجدت فى حرمه المطهر ،وقيل إنه كان يطوف ببيت الله فاذا فرغ من الطواف ألّف مقالة ،ثم يقوم ويطوف وينشىء بعد الفراغ مقالة أخرى ، وما زال على ذلك حتى بلغت مائة مقالة . (١)

والكتاب مؤلف قبل تفسير الكشاف فقد ورد نص منه فيه يقول : وفى النصائح الصغار : "املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجملها فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبّرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر .. (٢)

شرح الكتاب الشيخ يوسف افندى الأسير (٣)وشرحه الميرزا يوسف خان وسمى شرحه (قلائد الأدب فى شرح أطواق الذهب)

وسار على نهج أطواق الذهب شرف الدين عبدالمؤمن بن هبة الله . المغربى فى تأليف كتابه (اطباق الذهب) وقال : إنه حذى حذوه واقتفى أثره وخطاه . (٤)

---

(١) الزمخشرى للحوفى ص٢٨٠ (٢)

(٢) الكشاف ١ : ١٨١

(٣) ولد فى صيدا وتعلم بالازهر ،والاسير لقب جده كان الافرنجة قد اسروه بمالطة ولما عاد الى صيدا عرف بالاسير . من كتبه رائد الفرائد ،وشرح اطواق الذهب (ت١٣٠٧هـ)

(٤) الزمخشرى ص١٨١

كما حاكاه السيد توفيق البكرى فى كتابه صهاريج اللؤلؤ . ثم أحمد شوقى في كتابه أسواق الذهب ، مع اختلاف الموضوعات وتفاوت العبارات . (١)

طبع الكتاب مع ترجمة المانية بفينا سنة ١٨٣٥م ونشره (فلايشر) فى نفس السنة فى ليبسك ونشره (باربيه دى ميثار) مع ترجمة فرنسية فى باريس ١٨٧٦م ، (٢) وطبع مع ترجمة تركية فى استانبول ١٢٨٨هـ ، وطبع بشرح الشيخ يوسف الاسير ببيروت ١٣١٤ هـ وطبع بشرح الميرزا يوسف خان بمطبعة التمدن بمصر ١٣٢١ هـ . (٣) وطبع بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ ، وبمطبعة المحمودية بالقاهرة ١٩٢٥م . (٤)

ـ نوابغ الكلـــم :

كتاب فى الادب الانشائى يأخذ طابع التنسك وهو حكم قصار مسجوعة سجعا ملتزما .

وقد ألف الكتاب قبل الكشاف فهو يقول فيه : " وفى نوابغ الكلم ، صنوان من منح سائله ومنّ ومن منح نائله وضنّ . " (٥)

شرح نوابغ الكلم سعد الدين التفتازاني وشرحه أبو الحسن بن عبد الوهاب (ت ٧٠١هـ) (٦) للكتاب مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧٨ ز (٧)

---

(١) الزمخشرى ص ١٨١

(٢) البلاغة القرآنية ص ٥٧

(٣) الزمخشرى ص ٨٣

(٤) الزمخشرى ص ٨٣

(٥) الكشاف ١ : ١٨١

(٦) البلاغة القرآنية ص ٥٥

(٧) الزمخشرى ص ١٢

طبع الكتاب سنة ١٧٧٢م بعناية المستشرق الهولندى (شلتز) مع ترجمة إلى اللاتينية وطبعه المستشرق الفرنسى (مينار) مع ترجمة فرنسية ١٨٧١م وطبع فى بيروت ١٣٠٦هـ ،وطبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م وطبعة أخرى ١٩٢٧ ،(١)

- الدر الدائر ،المنتخب فى كنايات واستعارات وتشبيهات العرب ؟ رسالة صغيرة منتخبة من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب والغرض من تاليفها بيان أن العربية تنقسم إلى ظاهر لايخفى على سامعيه • ومشتمل على الكنايات والاشارات والتجوز •

والقسم الثانى هو المستحلى عندنا ،ثم أخذ يضرب الأمثال العربية من شعر ونثر ويتبعها بنظائرها من الأيات القرآنية الكريمة •

ذكر بروكلمن عن (الدر الدائر) أنها الرسالة الوحيدة وهى محفوظة اليوم فى مكتبة جامعة كارل ماركس لايبزك تحت رقم ١ـ٨٧٣ وهى تتألف من عشر ورقات • (٢)

وفى دائرة المعارف أنه لم يبق من موءلفه إلا قطعة موجودة فى ليبسك رقم ٨٧٣ و١ (٣)

نشرت مجلة المجمع العلمى العراقى هذه الرسالة فى المجلد السادس عشر ثم نقلته الدكتورة بهيجة الحسنى فى رسالة صغيرة •

- القصيدة البعوضية : (٤)

لها مخطوطة ببرلين ونشرت فى مجلة الاستاذ المصرية سنة ١٩٦٧م •

---

(١) البلاغة القرآنية ص٥٥

(٢) الزمخشرى : الدر الدائر المحقق ص٣

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٣ ـ البلاغة القرآنية ص٥٦

ـ قصيدة رثاء :

رثى فيها شيخه أبا مضر وهي من القصائد التي جمعت في ديوان الفهرست الطبعة الثانية ،بالقاهرة الجزء الثالث ص١٣١ ، ونشرت في الجزء مضمون طبعة يهودا ص١٦ وما بعدها . (١)

في العروض

جـ

ـ القسطاس المستقيم :

للكتاب مخطوطة ببرلين وطبع في مطبعة النعمان في النجف ١٩٧٠م (٢) هذا ثبت بالكتب التي طبعت للزمخشري فظهرت للوجود ،والتي أمكن الحكم على مادتها العلمية ،أما التي لم تظهر للوجود ولا ندري على وجه اليقين في أي فرع هي من فروع الدراسات العربية والدينية ،ولذلك لم أعمد الى تعيينها وتقسيمها حسب نوعها .

وقصارى ما جهدت فيه أني جمعت الأشباه والنظائر التي يبدو من اسمها وجود نوع من التفاوت وذلك من باب التسديد والتقريب وقد أتبعت ذلك في المخطوطات والمفقودات على سواء .

المخطـــــوطات :

ـ المنهاج في أصول الدين :

سماه ابن خلكان " المنهاج في الأصول " .

توجد منه نسخة خطية في مكتبة برلين تحت رقم ٦١٥ . (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٢) البلاغة القرآنية ص٥٠ ـ ربيع الابرار ١ : ٢٤

(٣) وفيات الأعيان ٥ : ١٦٨

رؤوس المسائل :

وسماه ابن خلكان ،وابن العماد (رسالة فى الفقه) .

له مخطوطة فى مكتبة جستر بيتى برقم ٣٦٠٠ . (١)

- مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة :

وكتاب الموافقة هذا تأليف أبى سعيد الرازى . توجد منه من هذا المختصر مخطوطة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . (٢)

- الكشف فى القراءات العشر :

ذكر فى مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد الثامن ص٧٥٨ ، وهو مخطوط بالمدينة المنورة . (٣)

- قصيدة فى مسائلة الغزالى ،كيف يجلس الله - عز وجل - على العرش :

لها نسخة خطية ، فى مكتبة برلين رقم ٦٨٨ط . (٤)

- رسالة فى قوله تعالى : " ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك " :

منها مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم عام ٨٥٦٢ . (٥)

- شرح شواهد كتاب سيبويه :

يوجد منه نسخة خطية فى مكتبة أحمد الثالث فى استانبول . (٦)

- شرح المفصل :

وسماه السيوطى (شرح بعض مشكلات المفصل)وذكره ياقوت باسم

---

(١) الشذرات ٤ : ١١٨ - الوفيات ٥ : ١٦٨

(٢) ربيع الابرار ١ : ٢٤

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٧

(٤) البلاغة القرآنية ص٥٦ - ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٥) الأحاجى النحوية ا لمحقق ص٦

(٦) المفرد والمؤلف المحقق ص٨

(حاشية على المفصل)وذكره طاش كبرى زادة باسم (شرح بعض مشكلات المفصل

للكتاب مخطوطة فى مكتبة ليدن برقم ١٦٤ وأخرى بفينا تحت رقم١٤٥ ،

وثالثة فى مكتبة جستر بيتى برقم ٣٦٥٥ تاريخ نسخها سنة ٧٩٤هـ(١)

- نكت الاعراب فى غريب الاعراب :

ذكره ياقوت والزركلى • توجد له مخطوطة فى دار الكتب المصرية ،

تتألف من خمس وستين ورقة تحت رقم ٢٥١٠٢ ب • (٢)

- تعليم المبتدى وارشاد المقتدى :

توجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم

٤٢٥٤ س،• (٣)

- نزهة المؤتنس ونهزة المقتبس :

ذكرته دائرة المعارف الاسلامية وتذكر أنه يدخل فى باب الادب ،

ويمكن أن نعده ضربا من أدب فقهاء اللغة ،وذكره ياقوت باسم "نزهة

المستأنس" وهو مخطوط في أياصوفيا برقم ٤٣٣١• (٤)

ولكننى وجدت هذا الاسم فى مقدمة كتاب ربيع الابرار ويعنى به الزمخشرى

كتاب ربيع الابرار نفسه ،فلا أظن أن هناك كتابا مستقلا بهذا الاسم،ا

كما أظن أن اختيار هذا العنوان هو فعل النساخ بعد ضياع العنوان

الحقيقى لربيع الأبرار من بعض المخطوطات ولعل النسخه المخطوطة فى
أيا صوفيا لو حققت لانجلت الحقيقة •

---

(١)معجم الادباء ١٩: ١٣٣ ـ ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ ـ الزركلى الأعلام ٨: ٥٥

(٣) ربيع الابرار المحقق ١: ٢٤

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٨

- المنتقى :

وهو كتاب انتقاه من شرح شعر المتنبى للواحدى .

يوجد منه نسخة خطية في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة رقم ٩٥ . كتبت سنة ٦٣٣ هـ . في ١٣٦ ورقة تحدث عنه الزركلى في المستدرك . (١)

- ديوان شعر :

مبوب على نظام حروف الهجاء للقوافي والواضح أن الذى دفع الزمخشرى لجمع نتاج قريحته ، هو ابن وهاس إذ طلب منه ذلك (٢) ورجع الدكتور الحوفى في كتابه (الزمخشرى) إلى نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية كما رجع الجوينى في كتابه (منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن) إلى نسخة أخرى بمكتبة الاسكندرية وذكرت الدكتورة بهيجة الحسنى أنها عثرت على نسختين لديوانه من عائلتين مختلفتين . (٣)

- ديوان المنظوم :

وهو غير ديوان شعره فديوان المنظوم مجموعة مختارة من شعر العرب ضمن الكثير منه كتابه (ربيع الابرار) .

وقد أطلق على بعض نسخه اسم (ديوان الادب) وأطلق على نسخة منه ذكرت فى فهرس مخطوطات مكتبة آل حميد الدين بصنعاء اسم (بستان العقلاء وديوان الأدباء) نسخت فى سنة ١١٧٩ هـ . (٤)

---

(١) الاعلام ٧ : ١٧٨ ط ٤ ١٩٧٩ م

(٢) الزمخشرى شاعرا ص ١

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

- أما الكتب المفقودة من كتب الزمخشري ، أو مجهولة المكان فأهمها ما يلى :

الرائض في علم الفرائض ، شقائق النعمان في حقائق النعمان ، شافي العيي في كلام الشافعي ، متشابه أسامي الرواة . (١)

الأمالي في النحو ، المفرد والمركب في اللغة . (٢)
صميم العربية ، جواهر اللغة ، الاسماء في اللغة ، شرح المقصورة الدريدية ، مقدمة الادب في اللغة . (٣)

ديوان التمثيل ، ديوان خطب ، ديوان رسائل ، ديوان المنثور . (٤)

رسالة الاسرار ، رسالة المسأمة ، الرسالة الناصحة ، تسلية الضرير ، سوائر الامثال ضالة الناشد . (٥)

المختلف والمؤتلف روح المسائل البدور السافرة في الأمثال السائرة ، معجم الحدود كتاب الأجناس كتاب عقل الكل ، ثلاث مجاميع من الحكم . (٦)

---

(١) معجم الادباء ٩ : ١٣٤ ـ الوفيات ٥ : ١٦٨ ـ الكشاف ٤ : ٣٠٧

(٢) معجم الادباء ٩ : ١٣٣ ـ الوفيات ٥ : ١٦٨ الكشاف ٤ : ٣٠٧

(٣) معجم الادباء ٩ : ١٣٤ ـ الشذرات ٤ : ١١٨ ـ بوكلمن ٢ : ١٧٩

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٣٤ ـ الوفيات ٥ : ١٦٨ ـ ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٦

(٥) المراجع السابقة

(٦) معجم الادباء ١٩ : ١٣٤ ـ دائرة المعارف ١٠ : ٣٠٨ ـ ربيع الابرار ١ : ٦

الفصـــــل الرابـــع

الزمخشـــــــري و النحـــــــو

الزمخشري والنحـــو

مذهبـــه النحـــوى :

يعتبر الزمخشرى من النحويين المتأخرين ،وقد درس النحو على فحول العلماء فى عصره ،حتى تفوق على معاصريه منهم ٠

وقد أدت به دراسة النحو وتعمقه فيه أنه كان يرى أن عامة العلوم الاسلامية من تفسير ،وفقه وغيرها تحتاج فى تفهمها إلى النحو ،وهو يلمح أن معظم أبواب أصول الفقه ومسائله مبنية على علم الاعراب ،وأن التفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه ،والأخفش ،والكسائي والفراء وغيرهم من الكوفيين.(١)

ويتمثل ذلك فى الكتب السابقة عليه مثل : (معانى القرآن) للفراء (٢٠٧هـ) و(معانى القرآن واعرابه) للزجاج (٣١١هـ) و (تفسير القرآن) للطبرى (ت٣١٠هـ) ٠٠٠وغيرها ٠

فلعل الدافع الاسلامى ،والروح الدينى ،جعلاه يتعمق فى مسائل النحو ودقائقها حتى أصبح صاحب منهج فى النحو له اجتهاده ومذهبه ، حتى أنه ليعتبر بعض النحاة كتابه (المفصل) هو القاعدة الثانية بعد كتاب سيبويه ٠ (٢)لمن جاء بعده من الدارسين ،ويعتبر الزمخشرى نفسه من كبار النحاة وأئمتهم ٠ هذا بجانب كونه مبرّزا فى الدراسات البلاغية واللغوية والتفسير ٠

لهذا ينبغى أن نعرف مذهبه النحوى ،حتى نرى موقفه بالنسبة لمن سبقه من هؤلاء الأئمة من تأييد ومخالفة ،وبذلك نستطيع أن نتخذ موقفا نحكم

---

(١)المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨

(٢) تطور الدرس النحوى ص٩٩

من خلاله على شخصيته العلمية عامة ،ومنهجه النحوى بخاصة ٠

ولنتعرف على مذهبه يجب علينا التعرف على الأسس التى اعتمدها فى بحثه ،والمصطلحات التى استعملها ،والتى يمكن من خلالها أن نعرف اتجاهه ومذهبه ٠

فلو تتبعنا مصطلحاته التى يستعملها نجدها بصرية كما نراه يعد نفسه بصريا ويعبر عن البصريين باسم أصحابنا كما فعل أبو على الفارسى وابن جنى قبله ٠ وهذه بعض الأمثلة التى تثبت انتماءه للمدرسة البصرية ،وأنه اختار هذا الانتماء :

جاء فى الفائق : إن التبشبش بالانسان المسرة به ،والاقبال عليه وهو من معنى البشاشة لامن لفظه عند أصحابنا البصريين ٠ (١)

وجاء في المفصل : أن خبر إنّ ارتفاعه عند أصحابنا بالحرف ،وعند الكوفيين هو مرتفع بما كان مرتفعا به ٠ (٢) وكرر كلمة أصحابنا فى أكثر من موضع فى المفصل ٠ (٣) كما كرره فى غيره من كتبه الاخرى ٠

بهذا يتبين مدى تقديره للبصريين ،وللمذهب البصرى الذى نستطيع القول بانتمائه إليه باقتناع ٠

ومع هذا نجد للزمخشرى اجتهاده الخاص فهو لا يعترف بالتقليد حتى لمذهبه الذى انتمى إليه راضيا ٠

---

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ : ١١٠

(٢) المفصل مع شرح ابن يعيش ١ : ١٠١

(٣) انظر المفصل مع ابن يعيش ١ : ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ـ ٢ : ٤٥ ، ١٠٠ ،

يقول في مقامة النحو : " ولا تكن فى الترجيح بين مذهبين كالهمزة الواقعة بين بين " . (١)

فقد يؤديه اجتهاده إلى موافقة البصريين أو الكوفيين ، أو غيرهما من العلماء النحويين ، وقد يخالف الجميع لرأى رآه صوابا ، واجتزىء بعض الأمثلة من الكثرة الكاثرة التى وافق فيها البصريين :

مما وافق فيه ... البصريين :

— يرى الكوفيون أن توكيد النكرة بغير لفظها جائز إذا كانت موقتة ، نحو قولك : قعدت يوما كله .

وقال البصريون : إن توكيدها بغير لفظها غير جائز إطلاقا ، وأجمعوا على جواز تأكيدها بلفظها نحو جائنى رجل رجل . ووافق الزمخشرى البصريين على أن توكيد النكرة بغير لفظها غير جائز . (٢)

— ويرى الزمخشرى رأى البصريين فى الاسم الواقع بعد لولا على أنه مرتفع بالابتداء . فهي داخلة على اسم مبتدأ كقولك : لولا على لهلك عمر . (٣)

ويرى الكوفيون أن المرتفع بعد لولا ، بها نفسها ، لنيابتها عن الفعل فى مثل قولك : لولا زيد لأكرمتك معناه لولا منع زيد . (٤)

— ويذهب كأصحابه من البصريين أن (هلم) مركبة من حرف التنبيه مع لم محذوفة من هاء الفها ، وعند الكوفيين من هل مع أم محذوفة

(١) مقامات الزمخشرى ص ١٩٨

(٢) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٤٤ ـ الانصاف ٢ : ٦٥ : ٢

(٣) المفصل ٨ : ١٤٥

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ١٤٦

همزتها . (١)

ـ ويذهب مذهب البصريين في نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد خمسة أحرف هي : حتى ،ولام كي ، أو بمعنى إلى ،و واو الجمع ،والفاء في جواب الأشياء الستة :الأمر ،والنهي ،والنفي ،والاستفهام ،والتمني ،والعرض .

ويذهب الكوفيون إلى أن النصب بالحرف ففي قولك جئت لأكرمك فالنصب يكون " باللام . (٢)

ـ ويوافق البصريين في اسم لا النافية للجنس المفرد على أنه مبني وليس معربا ،يقول : " فاذا كان مفردا فهو مفتوح ،وخبره مرفوع ،كقولك لا رجل أفضل منك ،ولا أحد خير منك ،ويقول المستفتح ولا اله غيرك " (٣) وعلى خلاف هذا الكوفيون .

ـ ويوافق الزمخشري البصريين على جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف . يقول في المفصل : " ويجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في الشعر " . (٤) ويجيز الكوفيون ذلك بغير الظرف .

ـ ويرى رأي البصريين في أن " كل " و "أجمعون " لا تقع تأكيدا للنكرات ،خلافا للكوفيين ،يقول في المفصل : " ولا يقع كل وأجمعون تأكيدا للنكرات ،لا تقول : رأيت قوما كلهم ولا أجمعين ،وقد أجاز ذلك الكوفيون فيما كان محدودا كقوله :

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ٤١

(٢) شرح المفصل ٧ : ١٩

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ ـ الانصاف مسألة ٩

(٤) المفصل ٣ : ١٩ ـ الانصاف مسألة ٦٠

قد صرّت البكرة يوما أجمعا . (١)

— ويذهب مذهب البصريين كذلك في أن (رب) حرف جر ، وليست اسما كما ذهب اليه الكوفيون . (٢)

يقول في المفصل : " ورب للتقليل ، ومن خصائصها أن لا تدخل إلا على نكرة ظاهرة أو مضمرة ، فالظاهرة يلزمها أن تكون موصوفة بمفرد أو جملة كقولك : رب رجل جواد ، ورب رجل جاءني ، ورب رجل أبوه قائم " (٣)

— ويذهب مذهب البصريين في صوغ اسم التفضيل على شروطهم وهي : أن يصاغ من الثلاثي غير المزيد ، ومما ليس بلون ولا عيب ، فلا تقول في أجاب هو أجوب ، ولا في انطلق هو أطلق . ولا في سمر هو أسمر منه — اللون — ولا في عور هو أعور . ولكن يتوصل إلى التفضيل في نحو هذه الافعال بصياغة أفعل من فعل مستوف للشروط السابقة ثم يميز بمصادر الأفعال الممنوعة مثل : هو أجود منه جوابا ، وأسرع انطلاقا ، وأشد سمرة وأقبح عورا . (٤)

ويجيز الكوفيون التعجب من السواد والبياض لأنهما أصلان للألوان واستشهدوا بقوله :

اذا الرجال شتوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سربال طباخ

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٤٤ — الانصاف م ٦٣

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ٢٧ — الانصاف م ١٢١

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ٢٦ — الانصاف م ١٢١

(٤) المفصل ٦ : ٩١

وقول الآخر :

يا ليتني مثلك في البياض أبيض من أخت بني إباض (١)

ـ ويرى ما يراه البصريون من ارتفاع الفعل المضارع لوقوعه موقع الاسم وارتفاعه بعامل معنوي نظير المبتدأ وخبره كقولك زيد يضرب ،فارتفاعه بعد المبتدأ لأن ما بعد المبتدأ من مظان صحة وقوع الاسماء . (٢) وعند الكوفيين أن ارتفاعه لتجرده من العوامل الناصبة أو الجازمة .

ـ ويذكر أن أفعل التعجب في(ما أفعله)فعل وهذا رأي بصري يقول : " ومعنى ما أكرم زيدا " ، شيء جعله كريما كقولك أمر أقعده عن الخروج ،ومهم أشخصه عن مكانه ،تريد أن قعوده وشخوصه لم يكونا إلا لأمر (٣) ويذهب الكوفيون إلى أنه اسم .

ـ ويرى الزمخشري رأي البصريين في أن نون التوكيد الخفيفة تؤكد جميع ما تؤكده النون الثقيلة إلا فعل الاثنين وفعل جماعة الاناث . (٤)

ويرى الكوفيون أن النون المخففة تؤكدهما ،لأن النون الخفيفة أصلها الشديدة خففت كما خففت أن ولكن . (٥)

ـ ويذهب مذهب أصحابه البصريين في أن خبر إن واخواتها مرفوع بالحرف لانه أشبه الفعل في لزوم الاسماء . (٦)

---

(١) شرح المفصل الهامش ٦ : ٩٣

(٢) المفصل ٧ : ١٢ ـ الانصاف م ٧٤

(٣) المفصل ٧ : ١٤٦ ـ الانصاف م ١٥

(٤) المفصل ٩ : ٣٧

(٥) ابن يعيش ٩ : ٣٨

(٦) المفصل ١ : ١٠١

ويرى الكوفيون أنه يرتفع بما كان مرتفعا به ولا عمل للحرف فيه .

— ويذكر ما يراه البصريون في أن الميم فى (اللهم) وقعت خلفا من ياء النداء . (١) وعند الكوفيين يجتمع الميم مع ياء النداء في الشعر واستدلوا بقوله : (٢)

إنى إذا ما حدث ألما دعوت ياللهم ياللهم

— ويرى رأى البصريين فى أن السبب الواحد لا يمنع من الصرف ، ويرى الكوفيون إجازة منعه في الشعر . (٣)

ما وافق فيه الكوفيين :

— وافق الكوفيين فى أن تكون جملة البسملة متعلقة بفعل محذوف تقديره أقرأ ، لا باسم كما ذهب إليه البصريون ، إلا أنه يقدر الفعل مؤخرا ومناسبا لما جعلت البسملة مبتدأ له فيقدر باسم الله آكل بسم الله أرتحل ، ويزيده الحديث باسمك ربى وضعت جنبى . (٤)

— جاء فى المفصل أن (ما) في كيمه اختلف في إعرابها فهى عند البصريين مجرورة ، وعند الكوفيين منصوبة بفعل مضمر . كأنك قلت : كى تفعل ماذا ؟ وما أرى هذا القول بعيدا عن الصواب . (٥)

— وقال فى الفائق : وما أدرى من تكثر التقاء مضاعف الثلاثى والرباعي

(١) المفصل ٢ : ٦٦

(٢) ابن يعيش ٢ : ١٦

(٣) المفصل ١ : ٦٨

(٤) الكشاف ط الحلبى ١ : ٢٢ = مغنى اللبيب على الامير ٢ : ٤٤

(٥) المفصل ٩ : ١٤

يكاد يستهوينى إلى الايمان بمذهب الكوفيين ،لولا تنمر أصحابنا وتشددهم .(١)

وذهب إلى أن (ال) فى قوله تعالى " تجرى من تحتها الأنهار " أن المراد أنهارها فحوز التعريف باللام من تعريف الاضافة ،كقوله تعالى " واشتعل الرأس شيبا "

قال أبو حيان : وهذا الذى ذكره الزمخشرى وهو أن الألف واللام تكون عوضا عن الاضافة ،ليس مذهب البصريين بل شئ ذهب اليه الكوفيون .(٢)

ـ وجاء فى الكشاف فى قوله تعالى : " وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا " فان قلت : بم تعلق قوله فى أنفسهم ؟ قلت : بقوله تعالى بليغا ،اى قل لهم قولا بليغا فى انفسهم . (٣)

وقال ابو حيان : وتعليقه فى أنفسهم بقوله بليغا لايجوز على مذهب البصريين لأن معمول الصفة لا يتقدم عندهم على الموصوف ،وأجاز ذلك الكوفيون . (٤)

ـ وجاء فى الكشاف فى قوله تعالى : " فتقعد مذموما مخذولا " (٥) أن فتقعد بمعنى فتصير فيكون اسمها ضمير المخاطب ،وخبرها مذموما .

وهذا رأى شيوخ الكوفيين كالفراء والكسائى . أما البصريون فلا يثبتون (قعد) بمعنى صار الا في المثل " شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة " (٦)

---

(١) الفائق ٣ : ١٩٦

(٢) ابو حيان : البحر المحيط ١ : ١١٣ ـ البقرة آية ٢٥ ـ مريم آية ٤

(٣) الكشاف ١ : ٤٠٤

(٤) البحر المحيط ٣ : ١٨١

(٥) الكشاف ٣ : ٢٨٨ ـ الاسراء آية ٢٢

(٦) الاشمونى . وحاشية الصبان ١ : ٢٩٩

ــ وفي الكشاف أيضا في قوله تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى " (١) قال : ويجوز أن تكون (تلك) اسما موصولا ، صلته بيمينك وهذا مذهب الكوفيين . وليس ذلك في مذهب البصريين الا في (ذا) وحدها اذا سبقت بما أو مَنْ الاستفهاميتين . (٢)

موافقاته لبعض النحاة :

اذا كان فيما سبق من موقفه من المدرستين النحويتين فان له مواقف خاصة مع بعض النحاة ولا سيما بعض البارزين من ائمتهم ، والخص ذلك فيما يلى :

الزمخشرى والخليل بن احمد :

ــ وافق الزمخشرى الخليل على إضمار فعل في قول الشاعر :

. ألا رجلا جزاه الله خيرا .

قال : على إضمار فعل ، كأنه قال : ولا أرى خلّة . (٣)

ــ ووافقه على حذف العائد من جملة الصلة ــ وقد سماه الراجع ــ قال : "وقد يحذف الراجع كما ذكرنا ، وسمع الخليل عربيا يقول : ما أنا بالذى قائل لك شيئا ، وقرىء (تماما على الذى أحسن) . بحذف صدر الجملة . (٤)

ــ ووافق الزمخشرى الخليل على تصغير (فعل التعجب) على غير قياس. (٥)

---

(١) الكشاف ٢ : ٢٩٨ ــ طه ١٧ الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٢) الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ ــ مغنى اللبيب تحقيق المبارك ص ٦٦٥

(٤) المفصل على ابن يعيش ٣ : ١٥٢

(٥) المفصل ٥ : ١٣٤

فالقياس يأبى تصغير الفعل ،لأن الغرض من التصغير وصف الاسم بالصغر.(١)

وأما قولهم ماأميلحه ،فينقل رأى الخليل قائلا : وانما يعنون الذى تصفه بالملاحة كأنك قلت زيد مليح . (٢)

ـ وأخذ برأى الخليل فى حروف العطف (الواو ،والفاء ،وثم) ؛ (٣) بين أن تدخل المعطوف في حكم المعطوف عليه وتشركه في معناه ،أو أن تقطعه وتستأنف ،واستشهد بقول الخليل فى بيت عروة العذرى :

وما هو الا ان أراها فجاءة فابهت حتى ما أكاد أجيب

اذ خيّر الخليل بين النصب والرفع فى فأبهت .

ومما جاء منقطعا قول أبى اللجام التغلبى :

على الحكم المأتى يوما اذا قضى قضيته أن لا يجور ويقصد

اى عليه غير الجور ،وهو يقصد .(٤)

مما وافق عليه سيبويه :

ـ ذهب الزمخشرى مذهب سيبويه فى أن الفاعل قد يجىء ورافعه مضمر ،كما فى قوله تعالى : " يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال " فيمن قرأها مفتوحة الباء أى يسبح له رجال ،واستدل ببيت الكتاب : (٥)

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط فيما تطيح الطوائح

---

(١)ابن يعيش ٥ : ١٣٥
(٢) المفصل ٥ : ١٣٤
(٣)المفصل عن ابن يعيش ٧ : ٣٨
(٤) ابن يعيش ٧ : ٣٩
(٥) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٠

– ورأى رأيه في أن المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط ودخلت عليه ان يجوز دخول الفاا على خبرها ،كما في قوله تعالى : "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وقوله تعالى : " قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ." وقوله تعالى : " ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ... فبشرهم بعذاب أليم ". (١)

– ورأى رأيه في أن اسم الاشارة لا يوصف الا بما فيه الألف واللام ، مثل : ياهذا الرجل ، وياهؤلاء الرجال ،واستشهد ببيت الكتاب : (٢)

. يا صاح ياذا الضامر العنس .

– وفي الكشاف ،في قوله تعالى : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (٣)

قال : "صبغة الله " مصدر مؤكد منتصب على قوله " آمنا بالله " كما انتصب و(وعد الله) ... " ونحن له عابدون " عطف على (آمنا بالله) وهذا العطف يرد قول من زعم أن " صبغة الله " بدل من (ملة ابراهيم) أو نصب على الاغراء ،بمعنى عليكم صبغة الله ،لما فيها من فك النظم عن انتظامه واتساقه ، وانتصابها على مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه ، والقول ما قالت حزام . (٤)

---

(١) المفصل ا ض ٩٩ – ابن يعيش ١ : ١٠١ – الاحقاف آية ١٣ الجمعة آية ٩ – آل عمران آية ٢١
(٢) المفصل مع ابن يعيش ٢ : ٧
(٣) البقرة آية ١٣٨
(٤) الكشاف ١ : ١٤٧ – النحو وكتب التفسير ١ : ٧١٥

مما وافق فيه الفراء :

ـ في قوله تعالى : ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون "(١)

قال ابن هشام : ومن العجب أن الفراء والزمخشري قدروا العطف المذكورولم يقدروا المضاف المحذوف ، ولا يصح العطف إلا به . (٢)

ـ وفي قولك زيد ضرب في الدار اخوه أن يكون فاعلا بالظرف لاعتماده على ذي الحال وهو ضمير زيد المقدر في ضرب وأن يكون نائبا عن فاعل ضرب على تقديره خاليا من الضمير ، وان يكون مبتدأ وخبره الظرف والجملة حال والفراء والزمخشري يريان هذا الوجه شاذا رديئا . (٣)

ـ ووافق الزمخشري الفراء على الجزم في جواب هل ، في قوله تعالى "يايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ... إلى قوله يغفرْ لكم ذنوبكم "(٤)

جعل الفراء (يغفر لكم) مجزوما في جواب هل أدلكم قال : وقوله (يغفر لكم . جزمت في قراءتنا في هل ، وتأويل هل أدلكم) أمر في المعنى كقولك للرجل : هل أنت ساكت ، معناه اسكت ، . (٥)

وقال الزمخشري : " فان قلت : هل لقول الفراء أنه جواب (هل أدلكم) وجه ؟

قلت : وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان

---

(١) النحل آية ١٦

(٢) مغني اللبيب ـ المبارك ص ٤٤٣

(٣) المرجع السابق ص ٦١٥، ٦١٦

(٤) الصف آية ١٠ـ١٢

(٥) الدكتور رفيدة : النحو وكتب التفسير ١ : ٧٣٢

والجهاد ، فكأنه قيل : هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم . (١)

ـ وأخذ برأى الفراء فى أن حرف الصلة (ان) اذا دخل على ما النافية أكد معنى النفى .

قال : ودخول ان صلة أكدت معنى النفى . واستشهد بقول دريد (٢)

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هانىء أينق جرب

وذهب الفراء الى أن ما وان جميعا للنفى ، كأنها تزاد (ما) ههنا على النفى تأكيدا للنفى ، كما تزاد اللام تأكيدا للايجاب فى قولك ان زيدا لقائم . (٣)

ـ قال ابن هشام : وأجاز الفراء والزمخشرى أن تقطع (كل) المؤكد بها من الاضافة لفظا ، تمسكا بقراءة بعضهم (انا كلا فيها) . (٤)

ورد عليهما قائلا : والأجود أن تقدر كلا بدلا من اسم ان وانما جاز ابدال الظاهر من الضمير بدل كل ، لأنه مفيد للاحاطة . (٥)

مما وافق فيه الأخفش :

ـ وافق الزمخشرى الأخفش فى أن الكاف تأتى كثيرا فى النثر مرادفة لمثل ، فتعرب اعرابها ، وتخرج من حرفيتها الى الاسمية ، وذلك أن يعرب فى مثل : زيد كالأسد أن تكون الكاف فى موضع رفع ، والأسد مخفوضا بالاضافة ومثله قوله : (٦)

* يضحكن عن كالبرد المنهم *

---

(١) الكشاف ٤ : ٤٢١ ـ النحو وكتب التفسير ١ : ٧٣٣

(٢) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ١٢٨

(٣) ابن يعيش ٨ : ١٢٩

(٤) مغنى اللبيب مع الأمير = ١٥٦١

(٥) المرجع السابق

(٦) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ٤٢ ـ مغنى اللبيب مع الأمير ١ : ١٥٤

ـ ووافقه على الأفعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل ، وهى منقولة بالهمزة عن الأفعال المنقولة الى مفعولين ، وهما فعلان : أعلمت وأريت ، وكان الأخفش يقيس عليهما سائر أخواتهما . فيجيز أظن زيد عمرا أخاك قائما ، وأزعم بكر محمدا جعفرا منطلقا . (١)

ـ وأخذ برأيه فى ابدال التاء من واو القسم فى تالله خاصة واستشهد بقول الأخفش (ترب الكعبة) (٢) فالتاء تدخل على طريق الاختصاص بالاسم الذى يكون القسم به أكثر ، وقد يكون فيها معنى التعجب ، فى قوله تعالى : " تالله تفتأ تذكر يوسف " على طريق التعجب ، وقال تعالى " وتالله لأكيدن أصنامكم " (٣)

ـ وذهب مذهب الأخفش فى أن لعل فيها معنى التمنى .

قال : وقد لمح فيها معنى التمنى من قرأ (فأطلع) بالنصب ...

وقد أجاز الأخفش لعل أن زيدا قائم قاسها على ليت . (٤)

مما وافق فيه المبرد :

ـ وافق المبرد في قولـــه تعالى : " لاحول ولا قوة الا بالله " على رفع الأول ، بأن تكون لا نافية وما بعدها مبتدأ . وهو المذهب الضعيف عند سيبويه . (٥)

وأخذ برأيه فى وقوع المصدر (حالا) فى كل ما دل عليه افعل تقول :

---

(١) المفصل ٧ : ٦٥ ـ ابن يعيش ٧ : ٦٦

(٢) المفصل ٨ : ٣٢ ـ ابن يعيش ٨ : ٣٤

(٣) سورة الأنبياء آية ٥٨

(٤) المفصل ٨ : ٨٦ ـ مغنى اللبيب ١ : ٣٣

(٥) المفصل ٢ : ١١٢ ـ ابن يعيش ٢ : ١١٣

قم قائما ، وقوله :

• ولا خارجا من فيّ زور كلام •

وكذلك قتلته صبرا ، ولقيته فجاءة وعيانا وكلمته مشافهة ، وأتيته ركضا وعدوا ومشيا • (١)

وهذا عند سيبويه ليس بقياس ، ويرى ابن يعيش أن مذهب سيبويه هو الصحيح • (٢)

ـ وذهب مذهبه في نسبة (فعول) فَعُولي ، كقولك في عدو عدوى •

وفرق سيبويه بين فعول وفعولة ، فقال في عدوة عَدَوِى كما قالوا في شنوءة شنئى ، ولم يفرق المبرد وقال فيهما فعولى • (٣)

ـ ووافقه في إمالة (عسى) قال المبرد " وامالة عسى جيدة " لأنها فعل وألفها منقلبة عن ياء لقولك عسيت وعسينا • (٤)

مما وافق فيه الزجاج :

ـ وافق الزمخشرى الزجاج في أن أكرم بزيد أمر على حقيقته لكل أحد يريد أن يصف زيدا بالكرم ، والباء زائدة لتأكيد الاختصار ، وكان سيبويه يذهب إلى أن الفعل في مثل هذه الصيغة ماض أخرج بلفظ الأمر • ووصف الزمخشرى هذا الرأى بضرب من التعسف • (٥)

ـ وذهب مذهبه في (سنين) من قوله تعالى : " ثلاثمائة سنين "

---

(١) المفصل ٢ : ٥٩

(٢) ابن يعيش ٢ : ٥٩

(٣) المفصل ٥ : ١٤٨

(٤) المفصل ـ وابن يعيش ٩ : ٦٥ ، ٦٦

(٥) المفصل ٧ : ١٤٧ ـ ابن يعيش ٧ : ١٤٨

أن تنصب على البدل من ثلاثمائة وليس على التمييز ، قال الزجاج ولو انتصب سنين على التمييز لوجب أن يكونوا قد لبثوا تسعمائة سنة . (١)

— ووافقه في العطف على موضع لكن بالرفع بعد تمام الجملة ، كما جاز ذلك في (ان) تقول : لكن زيدا قائم وعمرو .

قال في المفصل : ولكن تشابه إن في ذلك دون سائر أخواتها ، وقد أجرى الزجاج الصفة مجرى المعطوف وحمل عليه قوله تعالى : "قل إن ربي يقذف بالحق علّامُ الغيوب " (٢) وإنما يصح الحمل على المحل بعد مضي الجملة ، فان لم تمض لزمك أن تقول إن زيدا وعمرا قائمان بنصب عمرو لا غيره

— ووافقه على أن (كلا) حرف ردع وتنبيه .

قال : وقال الزجاج : "كلا ردع وتنبيه ، وذلك قولك : كلا لمن قال لك شيئا تنكره ، قال تعالى بعد قوله : " ربي أهانن كلا " أي ليس الأمر كذلك لانه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار ، وقد يضيق على الأنبياء والصالحين للاستصلاح . (٣)

مما وافق فيه أبا على الفارسى :

— ذكر ابن هشام في تقسيم الجملة أنها : اسمية ، وفعلية ، وظرفية ، ثم قال : " وزاد الزمخشرى وغيره الجملة الشرطية ، والصواب أنها من قبيل الفعلية " . (٤)

ويبدو أن هذه القسمة لأبى على الفارسى ووافقه عليها الزمخشرى . (٥)

---

(١) المفصل ٦ : ٢١

(٢) المفصل ٨ : ٦٧ سبأ آية ٤٨

(٣) المفصل ٩ : ١٦

(٤) مغنى اللبيب للامير ٢ : ٤٣

(٥) المفصل ١ : ٨٨ — شرح المفصل ١ : ٨٨

وليس كما قال ابن هشام قال ابن يعيش فى شرح المفصل : وهذه قسمة أبى على الفارسى وهى قسمة لفظية ،والشرطية فى التحقيق مركبة من جملتين فعليتين الشرط فعل وفاعل ، والجزاء فعل وفاعل . (١)

ـ ووافق الزمخشرى أبا على فى قول القائل : " أول قولى إنى أحمد الله ان الجملة فى محل نصب بالقول ،وقدّر الخبر .

ويرى ابن هشام أن الجملة خبر وليس مفعولا . (٢)

ـ ووافقه على أن (ما) فى مثل نعمّا محمد ،انها نكرة تامة منصوبة على التمييز . (٣)

الزمخشرى وابن جنـــى :

ـ وافق ابن جنى فى مجىء أنْ ظرفية ،على غرار ما الزمانية،مثل جئتك أن تصلى العصر ،أى زمن صلاة العصر وخرّج الزمخشرى على ذلك قوله جل شأنه : "أن آتاه الله الملك " أى وقت أن آتاه .

ـ ووافقه فى أن الجملة تبدل من المفرد ،كما جاء فى قول بعض الشعراء :

إلى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان

فكيف يلتقيان بدل من حاجة كأنه قال : أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما . (٤)

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٨ ـ شرح المفصل ١ : ٨٨

(٢) مغنى اللبيب الامير ٢ : ٦٤

(٣) همع الهوامع ١ : ٨٢ ـ البقرة آية ٢٥٨

(٤) المرجع السابق

مما وافق فيه أبو حيان الزمخشرى

ــ يثنى أبو حيان على الزمخشرى ويقدمه على ابن عطية فى تفسيره

فهو يقول عند قوله تعالى : " هذا رحمة من ربى " (١)

يقول فى المشار اليه : "أما الزمخشرى ،فقال إنه إشارة إلى السد أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده ، وهو يلتقى مع ابن عطية غير أن الزمخشرى ، كان أبرع من ابن عطية ،حيث سدد الاشارة الى السد نفسه ،وهو مذكور بلفظه فى الآية الكريمة .

أما ابن عطية فيقول : إنه يعود على الرّدم ،أى ردم السد المذكور . ففى رأى الزمخشرى ذكر بلفظه ،بخلاف الرّدم ، فانه ذكر بالمعنى لما بين السد والردم من التلازم " (٢)

ــ انتصر أبو حيان للزمخشرى من ابن مالك فى (حتى) .

يقول الزمخشرى : يلزم أن يكون مجرورها خاصا بذى أجزاء، وهو أن يكون آخر جزء أو ملاق آخر جزء .

فمثال كونه آخر جزء : أكلت السمكة حتى رأسها ،ومثال كونه ملاق آخر جزء سرت النهار حتى الليل ،ولو قلت : أكلت السمكة حتى نصفها أو ثلثها لم يجز .

وقال ابن مالك : هذا لا يلزم ،واستدل بقول الشاعر :

عينت ليلة فما زلت حتى نصفها راجيا فعدت يؤسا

---

(١) الكهف آية ٩٨

(٢) البحر المحيط ٦: ١٦٥

قال أبو حيان : ولا حجة في هذا البيت لأنه لم يتقدم (حتى) ما يكون ما بعدها جزء منه ، ولا ملاقيا لآخر جزء منه ، فلو صرّح في الجملة ، بذكر الليلة ، فقال : فما زلت راجيا وصلها تلك الليلة حتى نصفها ، كان حجة . (١)

ـ في قوله تعالى : " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائةَ جلدة " (٢)

قال أبو حيان : إعراب سيبويه أن خبر الزانية محذوف تقديره فيما يتلى عليك : الزانية والزاني ، أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني .

أمّا جملة فاجلدوا ، فاعرابها أنها مستأنفة ، ولا يصح أن تكون خبرا .

ويرد أبو حيان : فانظر اليه رحمه الله كيف تتحكم فيه الصنعة فيرفض الاعراب الذى يساير الفطرة ، كما يساير اللغة العربية ، فماذا عليه لو أجاز هذا الاعراب كما أجازه الزمخشري . (٣)

والاعراب الذى أجازه الزمخشري ، هو أن تعرب الزانية مبتدأ وخبره جملة (فاجلدوا) وهذا قال به بعض العلماء الأجلّاء من المدرستين . (٤)

ـ فى قوله تعالى : " وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين " (٥)

يقول أبو حيان عن قول ابن مالك : وهذا الذى أنكره الزمخشري من

---

(١) الجنى الداني ٢٤٢ ـ المغني مع الأمير ١ : ١١١

(٢) النور آية ٢

(٣) البحر المحيط ٦ : ٤٢٦

(٤) المرجع السابق ٦ : ٤٢٧

(٥) الاعراف آية ١٣٢

من أن مهما لا تأتي ظرف زمان ،وقد ذهب إليه ابن مالك في التسهيل وغيره من تصانيفه الا أنه لم يقصر مدلولها على أنها ظرف زمان بل قال :

قد ترد ما ومهما ظرفي زمان ،وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية :

وقد أتت مهما وما ظرفين في شواهد من يعتضد بها كفى

وقال في شرح هذا البيت جميع النحويين يجعلون "ما" مثل مهما في لزوم التجرد عن الظرف مع أن استعمالهما ظرفين ثابت في استعمال ا .. الفصحاء من العرب وأنشد أبياتا عن العرب . زعم فيها أن (ما) و(مهما) ظرفا زمان .

ثم قال : وكفانا الرد عليه فيها ابنه الشيخ بدرالدين محمد .

أما رأي الامام الزمخشري الذي أيده الشيخ أبو حيان ،فقد ورد في الكشاف : وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية ، ويضعها في غير موضعها .(١) ويحسب مهما بمعنى (متى ما) ،ويقول : مهما جئتني أعطيتك ،وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شئ ،ثم يذهب فيفسر " مهما تأتنا به من آية " بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله،وهو لا يشعر .

هذه بعض الآراء التي وافق فيها أبو حيان الزمخشري ،وهي قليلة بالقياس إلى ما خالفه فيها ،فهذه المخالفات مستفيضة وأسوق بعضها وهي قسمان : الأول في القراءات ،والثاني في المسائل النحوية .

---

(١) الكشاف ٢ : ١٠٧ ـ الأعراف آية ١٣٢

مما خالفه فيه من القراءات :

– فى قوله تعالى : " فقاتلوا أئمة إنهم لا أَيمانَ لهم لعلهم ينتهون" (١)
بقلب الهمزة الثانية من (أئمة) ياء .

قال الزمخشرى : وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ، ولا يجوز أن تكون ، ومن صرح بها فهو لاحن محرف .

وقال أبو حيان : وقرأ الحرميان (٢) وأبو عمرو بن العلاء ، بإبدال ... الهمزة الثانية ياء .

ثم يقول معرضا بالزمخشرى : وذلك دأبه فى تلحين المقرئين ، وكيف يكون ذلك لحنا ، وقد قرأ به رأس البصريين النحاة ، أبو عمرو بن العلاء ، وقارئ مكة ابن كثير . (٣)

– وفي قوله تعالى : " سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون " (٤)

القراءة بتحقيق الهمزة الأولى ، وتسهيل الثانية ، فى قوله تعالى (أأنذرتهم) وقد أنكر هذه القراءة الزمخشرى ، وقال : إن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب لوجهين :

الأول : الجمع بين ساكنين على غير حده .

الثانى : إن طريقة تخفيف الهمزة المتحركة ، المفتوح ما قبلها هو

(١) التوبة آية ١٢

(٢) هما : نافع وابن كثير – النحو وكتب التفسير ١٢٨٦

(٣) البحر المحيط ٥ : ١٥

(٤) البقرة آية ٦

بالتسهيل بين بين ، لا بالقلب ألفا ، لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة

وقال أبو حيان : فى دفاعه عن تسهيل الهمزة : وأهل الحجاز ، لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف ، فقرأ الحرميان وأبو عمرو ، وهشام ، بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ، إلا أن أبا عمرو وقالون واسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفا ، وابن كثير لا يدخل .

وروى تخفيفا عن هشام ، وإدخال ألف بينهما ، وهى قراءة ابن عباس وابن أبى اسحاق وروى [illegible] عن ورش كابن كثير وقالون وابدال الهمزة الثانية الفا فيلتقى ساكنان على غير حدهما عند البصريين .

وقد قال أبو حيان ، وما قال الزمخشرى هو مذهب البصريين خلافا للكوفيين ، وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ، ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ، ونقلة القرآن . (١)

— وفى قوله تعالى : "فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء " (٢) [illegible] بادغام الراء فى اللام .

يقول الزمخشرى : ومدغم الراء فى اللام لاحن ، مخطىء خطأ فاحشا وراويه عن ابى عمرو مخطىء مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس . بالعربية مما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، والسبب في قلة الضبط قلة ضبط الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو . (٣)

---

(١) البحر المحيط ٢ : ٤٧

(٢) البقرة آية ٢٨٤

(٣) الكشاف ١ : ٣٣٠

ويرد أبو حيان على هذا بقوله : وذاك على عادته فى الطعن على القراء . وأما ما ذكره أن مدغم الراء فى اللام لاحن مخطىء خطأ فاحشا ... الى آخره ، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون .

ثم يقول من قبيل التنديد : عقد هذا الرجل – يعنى الزمخشرى – بابا قال فيه : " هذا باب يذكر فيه ما أدغمت القراء مما ذكر أنه لا يجوز ادغامه . "

وهذا لا ينبغى فان لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط والقراءات لا تجىء على ما علمه البصريون ونقلوه ، وقد اتفق على نقل ادغام الراء فى اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمى . وكبراء أهل الكوفة الرؤاسى والفراء ، وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم ونقلهم ، اذ من علم حجة على من لم يعلم .

ثم يدافع عن راوى هذه القراءة فيقول : وأما ما رواه الزمخشرى أن راوى ذلك عن أبى عمرو مخطىء مرتين ، فقد تبين أن ذلك صواب وقد روى ذلك عنه الرواة ومنهم : أبو محمد اليزيدى وهو امام فى القراءات امام فى النحو وامام فى اللغات . (١)

– وفى قوله تعالى : "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم " (٢)

يقول الزمخشرى : وقرىء (زَيّن) على البناء للفاعل الذى هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم ، وزُيّن على البناء للمفعول الذى هو القتل

---

(١) البحر المحيط ١: ٢٦١ ، ٢٦٢

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧

ورفع (شركاؤهم) باضمار فعل دل عليه زين ، كأنه قيل (زين لهم قتل أولادهم) من زينه ؟ فقيل : زينه لهم شركاؤهم .

وأما قراءة ابن عامر " قتلُ أولادَهم شركائهم " برفع القتل ، ونصب الاولاد ، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان فى مكان الضرورة وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج وردّ :

• زج القلوص أبى مزادة •

فكيف به فى الكلام المنثور ؛ فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟ . (١)

فيرد عليه أبو حيان فى قوله : هى مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور البصرين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازوها وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربى المحض ابن عامر ، الآخذ بالقرآن الكريم عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضا فى لسان العرب في عدة أبيات ...

ويقول : ولا التفات الى قول ابن عطية : وهذه قراءة ضعيفة فى استعمال العرب ، ولا التفات الى قول الزمخشري ؟: ان الفصل بينهما يعني بين المضاف والمضاف اليه فشيء لو كان في مكان الضرورة ، وهو الشعر لكان سمجا مردودا فكيف به فى الكلام المعجز لحسن نظمه وجزالته .

---

(١) الكشاف ط الحلبى ٢ : ٥٤

وهنا يوجه أبو حيان كعادته نقده اللاذع لجار الله ،ويدافع عن ابن عامر فيقول : " وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت . وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ،وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم . (١)

بعد هذه الرحلة السريعة حول القراءات وموقف هذين الامامين منها أعود لأدرج بعض النماذج النحوية التي اختلف فيها الامام أبو حيان مع جار الله الزمخشري .

مما خالف فيه أبو حيان فيه الزمخشري في المسائل النحوية :

ـ قد : قال الزمخشري انها حرف تقريب ،وهو يقرب الماضي من الحال اذا قلت قد فعل ،ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة ،ولا بد فيه من معنى التوقع . (٢)

وقال أبو حيان : والذي تلقناه من أفواه الشيوخ بالأندلس أنها حرف تحقيق ،اذا دخلت على الماضي ،وحرف توقع اذا دخلت على المستقبل (٣) .

ـ الفاء : في قوله تعالى : " أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين " . (٤)

---

(١) البحر المحيط ٤ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(٢) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ١٤٧

(٣) الجنى الداني ص ٢٥٥

(٤) سورة الزخرف آية ٥

قال الزمخشري : الفاء للعطف على محذوف تقديره :أنهملكم فنضرب عنكم الذكر ؟ انكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب ، قرآنا عربيا لتعقلوه وتعملوا بموجبه ٠

ويرد أبو حيان ، قائلا : إن المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين إن الفاء والواو منوى بهما التقديم لعطف ما بعدهما على ما قبلهما ،وإن الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ،ولا خلاف بين الهمزة والحرف ٠(١)

ويعلق في البحر المحيط بقوله : " وهذا الذي ذكره الزمخشري من أن حرف العطف الذي بعد همزة الاستفهام هو عاطف ما بعده على ما قبل الهمزة من الجمل رجوع إلى مذهب الجماعة في ذلك ،وتخريج لهذه الآية على خلاف ما قرر هو من مذهبه في غير آية ..٠(٢)

ـ إذا الفجائية :ذكر الزمخشري في الكشاف أن التحقيق في (إذا) الفجائية أنها بمعنى الوقت ، وأنها طالبة ناصبا لها ،وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا ،وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير ٠

وذكر أن التقدير في قوله تعالى : " فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى " ٠(٣) ففاجأ موسى تخييل سعى حبالهم وعصيهم ،وهذا تمثيل ،والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي

---

(١) البحر المحيط ٢ : ٣

(٢) مغنى اللبيب على الامير ١ : ١٤ ، ١٥

(٣) طه آية ٦٦

وقال فى قوله تعالى : " ثم إذا أنتم بشر تنتشرون " (١) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين • (٢)

وقال فى قوله تعالى : " فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون "

فان قلت : كيف جاز أن تجاب (لما) باذا المفاجأة ؟

قلت : لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها ،

كأنه قيل : فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم • (٣)

فرد أبو حيان قائلا : ولا نعلم نحويا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل من أن اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ ،بل هى منصوبة بالخبر ، أو خبر على ما تقدم تقديره ،وليست مضافة إلى الجملة كما سبق • ثم إن المفاجأة التى ادعاها لا يدل المعنى على أنها . ، تكون من الكلام السابق ،بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذى فيه إذا • تقول : خرجت فاذا الأسد ،فالمعنى ففاجأنى الأسد ،وليس المعنى ففاجأت الأسد • (٤)

ـ ألا الاستفتاحية : اختلف في ألا الاستفتاحية هل هى مركبة أو بسيطة ؟

فقيل مركبة من همزة الاستفهام و لا النافية ،واليه ذهب الزمخشرى وقيل بسيطة ،وإليه ذهب ابن مالك •

---

(١) الروم آية ٢٠

(٢) الزخرف آية ٤٧

(٣) الكشاف ٣ : ٤٩٠ ، ٤٩١

(٤) الجنى الدانى ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

ورد الشيخ أبو حيان دعوى التركيب بأن الأصل عدمه ،وبأنها قد وقعت مثل (ءن) و (رب) و (ليت) و (النداء) ولا يصلح النفى قبل شيء من ذلك .

ـ الباء : في قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الّا أن يوءذن لكم إلى طعام غيرَ ناظرين إناه " (١)

لم يقدر الزمخشرى حرفا فى هذه الآية بل قال : " أن يوءذنَ " فى معنى الظرف أى وقت أن يوءذن .

وقدر أبو حيان (باء) مقدرة ،وقال : إنها للسببية ،ورد على الزمخشرى بأن المصدر لا يكون في معنى الظرف الموءول وانما ذلك فى المصدر الصريح نحو " أجيئك صياح الديك " ويمتنع من جهة المعنى أن يكون (غير ناظرين) حالا من يوءذن ،وان صح من جهة الصناعة . (٢)

ـ ليس : قال الزمخشرى انها لمطلق النفى ،ولكنها لا تنفي الاستقبال ، قال : " ولا تقول : ليس زيد قائما غدا " (٣)

وذهب أبو حيان إلى انها لنفى الحال فى الجملة غير المقيدة بزمان والمقيدة بزمان تنفيها حسب القيد . (٤)

ـ كلا : في قوله تعالى : "كلا سيكفرون بعبادتهم ..." (٥)

---

(١) الاحزاب آية ٥٣

(٢) أبو حيان ص٥٣٧

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٧ : ١١١

(٤) النجار منهج السالك ص٥٦

(٥) مريم آية ٨٢

بتنوين (كلا) على أنها مصدر من الكل بمعنى الاعياء ، أو الثقل ، أي (حملوا كلّا) .

وجوز الزمخشري أن تكون (كلا) في القراءة هي نفسها حرف الردع ، ونّون كما نوّنت (سلاسلا " في آية " إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا " (١)

ورد أبو حيان قائلا : إن ذلك إنما صح في سلاسلا ، لأنه اسم أصله التنوين ، فرجع به إلى أصله للتناسب ، وعلى لغة من يصرف ما لا ينصرف . (٢)

— أم : ذهب الزمخشري إلى أن (أم) في الآية الكريمة "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت" (٣) متصلة ويقدر ما قبلها محذوفا .

ويرد أبو حيان بقوله : لا نعلم أحدا أجاز حذف هذه الجملة ولا يحفظ ذلك في شعر ولا غيره ، فلا يجوز أم زيد ، وأنت تريد أقام عمرو أم زيد (٤)

— في قوله تعالى : " ان نظن إلّا ظنا " (٥)

قال الزمخشري : إن أصله (نظن ظنا) ومعناه إثبات الظن فحسب ، فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه ، وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا لقوله : " وما نحن بمستيقنين "

ويرد على ذلك أبو حيان بقوله : هذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره

---

(١) الانسان آية ٤

(٢) مغني اللبيب على الأمير ١ : ٦٢

(٣) البقرة آية ١٣٣

(٤) البحر المحيط ١ : ٤٠٠

(٥) الجاثية آية ٣٢

إلا المصدر المؤكد لا يكون فيه . (١)

- وفي قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٢)

قال الزمخشري : ان الجملة موضع خبر عن الذين يؤمنون بالغيب ، وذهب به مذهب الاستئناف ،وذلك لوضوح تعلقه بما قبله . (٣)

ويرد أبو حيان قائلا : "ان هذا الاعراب منكر ، والمختار في الاعراب الجر على النعت والقطع ،إما الى النصب ،وإما إلى الرفع . (٤)

- وفي قوله تعالى : " لا ريب فيه "

قال الزمخشري : إن فيه خبر . ثم يقول :

فان قلت : هلّا قدّم الظرف على الريب ،كما قدم على (القول) في قوله تعالى : " لا فيها غول " (٥)

قلت : حرف النفي نفى الريب عنه ، واثبات أنه حق وصدق ،لا باطل وكذب ، ولو قدم الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد ،وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه . (٦)

ويعلق أبو حيان ،بأن الزمخشري انتقل من دعوى الاختصاص بتقديم المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر ،ولا نعلم أحدا يفرق بين ليس في الدار رجل ،وليس رجل في الدار ،وأبعد من ذلك ذهب إلى أن قوله : لا ريب صيغة خبر ومعناه النهي عن الريب . (٧)

(١) البحر المحيط ٨: ٥٢
(٢) البقرة آية ٥
(٣) الكشاف ط الحلبي = ١ : ٩٣
(٤) البحر المحيط ١ : ٤٠
(٥) الصافات آية ٤٧
(٦) الكشاف ط الحلبي ١ : ٨٧
(٧) البحر المحيط ١ : ٣٣

مؤيدون للزمخشري

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثرا في نفوس بعض العلماء ، وهذا جعلهم يوازنون بين العالمين ويتتبعون خلافاتهما ، فبعضهم أيد أبا حيان والآخر انتصر للزمخشري ،حتى الفت الكتب في ذلك ،مثل ما كتبه الشيخ يحيى الشاوى المغربى ،اذ كتب كتابا سماه " بين أبى حيان وابن عطية والزمخشري " جمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري وابن عطية ،وقصد به بيان وجه الحق في هذه المناقشات . (١)

وكتب ابن مكتوم كتابا سماه " الدر اللقيط من البحر المحيط " قصره صاحبه على مناقشة أبى حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما ،ونقل ردودهما عليهما .

ومن أهم من تابع الخلاف بين هذين العالمين ابن هشام والسمين وقد قام ابن هشام بالرد على أبى حيان دفاعا عن جار الله الزمخشري .

ولسوف أسوق بعض النماذج للرد على أبى حيان من مختلف العلماء سوى ابن هشام اذ جعلت له وللزمخشري مبحثا يخصهما ،واليكم نماذج توضح موقف بعض العلماء من الزمخشري وأبى حيان .

- في تفسير قوله تعالى : " قائما بالقسط " (٢)

قال الزمخشري : وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه ، كقوله تعالى : "وهو الحقُّ مصدقا " (٣)

قال أبو حيان : ليس من : باب الحال المؤكدة ،لأنه ليس من باب ويوم أبعث حيا " . (٤)

---

(١) خديجة الحديثي : أبو حيان ٥٣٥
(٢) البحر المحيط آل عمران آية ١٨
(٣) البقرة اية ٩١
(٤) مريم آية ١٥

ولا من باب "أنا عبدالله شجاعا " و"هو زيد شجاعا " لكن هذا التخريج قلق في التركيب إذ يصير كقوله : " أكل زيد طعاما وعائشة وفاطمة جائعا فيفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول ، وبين الحال ورب الحال بالمفعول ،والمعطوف ،لكن يشبه كونها كلها معمولة لعامل واحد .

ثم يعرض بالزمخشري ،ويتهمه بالعجمة وعدم الامعان في تراكيب كلام العرب وحفظ آشعارها . (١)

ويرد عليه السمين قائلا : ان مؤآخذته له في قوله مؤكدة غير ظاهرة وذلك أن الحال قسمين : إما مؤكدة ،وإما مبينة وهي الأصل فالمبينة لا يجوز أن تكون ههنا لأن المبينة تكون متنقلة والانتقال ههنا محال ،اذ عد عدل الله لا يتغير .

ثم يوجه لومه إلى استاذه لتعريضه بالزمخشري ،وينكر عليه اعتداده بنفسه وأنه مطلع على ما لم يطلع عليه هؤلاء ،وينكر عليه أيضا هجومه على علمه وأنه لا يعرف مواقع النظم ،وهو المسلم له في علم المعاني والبيان والبديع ولا يشك أحد أنه لا بد لمن يتعرض لعلم التفسير أن يعرف جملة صالحة من هذه العلوم . (٢)

- في تفسير قوله تعالى "أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير..." (٣)

قال الزمخشري : : فان قلت ! علام عطف (يوبقهن) ؟

قلت : على (يسكن) لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيغرقن !

---

(١) أبو حيان ص٢٣:٥

(٢) المرجع السابق

(٣) الشورى آية ٣٤

قال أبو حيان : لايتعين أن يكون التقدير ،أو بعصفها ،لأن اهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح ،بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح ،كنزول سطحها بكثرة الحمل ،أو انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها ،أو يعرض عدو يهلك أهلها .

فرد ابن مكتوم معلقا على هذا الكلام : بأن الذى ذكره الزمخشرى فيه مناسبة تكاد تعينه ،وان كان اهلاكها قد يكون بغيره ،كما ذكره أبو حيان ،الا أن نجاة السفن ،لما كانت باجراء الريح طيبة ،وكان اسكانها سببا لركودها كان المناسب لتقدير سبب الهلاك هو العصف كما قدره الزمخشرى (١)

ــ أن : ذكر الزمخشرى أن خبر (أن) الواقعة بعد لو يلزم كونه فعلا ونقل بعضهم ذلك عن السيرافى .

فقال أبو حيان : وهو وهم ،وخطأ فاحش ،قال تعالى : " ولو أن ما فى الارض جميعا من شجرة أقلام " (٢) وقال جرير :

لو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وأزنما

وقد دافع المرادى عن جار الله ،بأن الذى ينبغى أن يحمل عليه كلام الزمخشرى أنه منع كون خبرها اسما مشتقا ،والتزم الفعل حينئذ ، لامكان صوغه قضاء لحق طلبها للفعل . ألا ترى قوله فى المفصل ،لو قلت : لو أن زيدا حاضر لأكرمته لم يجز . (٣)

---

(١) أبو حيان ٢ ٥٠٢

(٢) لقمان آية ٢٧

(٣) شرح المفصل ٩ : ٩ ١١

ولم يتعرض لغير المشتق ،واذا حمل على هذا لم يرد عليه قوله تعالى:
" ولو أن ما في الأرض جميعا من شجرةٍ أقلام " ولا نحو :
• ولو أنها عصفورة •••
وانما يرد عليه :
• ولو أن حيا مدرك الفلاح • (١)

— فى قوله تعالى : " فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ ابراهيمَ " (٢)
قال الزمخشرى : مقام ابراهيم ،عطف بيان لقوله تعالى : " آيات بينات"
وقد رده أبو حيان • وعلق الشاوى على بعض قوله بما يرجح كلام الـ
الزمخشرى على أبى حيان • (٣)

---

(١) الجنى الدانى ص ٢٨١ ، ٢٨٢

(٢) آل عمران آية ٩٧

(٣) النحو وكتب التفسير ٢ : ٩٩٠

مما وافق فيه ابن هشام الزمخشرى

تتبع ابن هشام في كتابه مغني اللبيب الزمخشرى ،فوافقه في بعض آرائه ،واختلف معه في بعضها ،واليكم بعض الأمثلة لما وافقه فيه :

- أما : يرى الزمخشرى أنها تعطى الكلام فضل توكيد .

قال ابن هشام : ولم أر من أحكم شرحها غير الزمخشرى . فانه قال : أما في الكلام تعطيه فضل توكيد .

تقول : زيد ذاهب . فاذا قصدت توكيد ذلك ،وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب ،وانه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب .

ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيئ فزيد ذاهب ،وهذا التفسير مدل بفائدتين : بيان كونه توكيدا ،وأنه في معنى الشرط . (١)

- أن : في قوله تعالى : " ما قلت لهم إلّا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ..." (٢)

قال الزمخشرى : لايجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر،أى ما أمرتهم إلّا بما أمرتنى ،بأن اعبدوا الله .

فقال ابن هشام تعليقا على ذلك : وهو حسن . (٣)

- السين : في قوله تعالى : " أولئك سيرحمهم الله ..." (٤)

---

(١) مغنى اللبيب على الأمير ١ : ٥٤
(٢) المائدة آية ١١٧
(٣) مغنى اللبيب . الأمير ١ : ٣١
(٤) التوبة آية ٧١

قال الزمخشري : ان السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ،فهي مؤكدة للوعد ، ولما قال قوم : إن وجود الرحمة مستفاد من الفعل لا من السين ،وبأن الوجوب المشار اليه بقوله لا محالة لا اشعار للسين .

وقال ابن هشام : ان السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخير وبتحقيق الوقوع يصل إلى درجة الوجوب . (١)

ثم قال في معناها : ومعنى قول المعربين فيها حرف تنفيس : حرف توسع ،وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال وأوضح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره حرف استقبال الاستقبال . (٢)

(٣)
- من : في قوله تعالى : " ما فرطنا في الكتاب من شيء ... "

قال أبو البقاء : من زائدة ،وشيء في موضع المصدر ،أي تفريطا ، مثل " لايضركم كيدهم شيئا " (٤)

فرد ابن هشام قائلا : ولا حجة في الآية لمن ظن أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شيء صريحا وكذا لا حجة فيها لو كان شيء مفعولا به، لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى : "ولا رطبٍ ولا يابس الّا في كتاب مبين " (٥) وهو رأى الزمخشري والسياق يقتضيه . (٦)

---

(١) مغني اللبيب . الامير ٢ : ١٨٣
(٢) المرجع السابق ١ : ١٢٢
(٣) الأنعام آية ٣٨
(٤) آل عمران آية ١٢٠
(٥) الأنعام آية ٥٩
(٦) مغنى اللبيب الأمير ٢ : ١٧

- في : يضرب ابن هشام مثلا لها هو قول الشاعر :

ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلى

ثم يقول : وليس منه عندي قوله تعالى : "ويذرؤكم فيه " (١) خلافا لزاعمه، بل هي للسببية ،أى يكثركم بسبب هذا الجعل • والأظهر قول الزمخشرى أنها للظرفية المجازية •

- عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة :

في قوله تعالى "إن هى الّا حياتُنا الدنيا ..." (٢)

قال الزمخشرى : أصله ان الحياةُ الّا حياتنا الدنيا ،ثم وضع هى موضع الحياة لأن الخبر لا يدل عليها ويبينها ،ومنه :

- هي النفس تحمل ما حمّلت •

و • هي العرب تقول ما شاءت •

ويرد عليه ابن مالك في تمثيله (هي النفس ،هي العرب)بأن فيها ضعفا •

ويعقب ابن هشام بأن الضعف في كلام ابن مالك وحده • (٣)

---

(١) الشورى آية ==١١

(٢) المؤمنون آية ٣٧

(٣) مغنى اللبيب ـ الأمير ٢ : ١٠٢

مما عارض ابن هشام فيه الزمخشري

وأمثلة هذا الباب كثيرة جداً ، أسوق منها ما يأتي :

- أن : في قوله تعالى "أن اتخذي من الجبال بيوتا ..." (١)

قال ابن هشام : زعم الزمخشري أنها مفسرة ، ورده أبو عبد الله الرازي بأن قبله " وأوحى ربك الى النحل ..." (١) والوحى الهام باتفاق ، وليس في الالهام معنى القول .

ثم قال : وانما هي مصدرية ، أي باتخاذ الجبال بيوتا . (٢)

- لام الابتداء : في تفسير قوله تعالى : " ولسوف يعطيك ربك فترضى" (٣)

قال الزمخشري : لام الابتداء لا تدخل الا على المبتدأ والخبر .

وفي قوله تعالى : " لا أقسم ..." هي لام الابتداء ، دخلت على مبتدأ محذوف .

ويقول ابن هشام : ولم يقدرها لام القسم لأنها عنده ملازمة للنون

وكذا زعم في " ولسوف يعطيك ربك ..." أن المبتدأ مقدر ، أي لأنت سوف يعطيك ... ثم يقول : وانما يضعف كلام الزمخشري ، أن فيه تكلفين لغير ضرورة ، وهما : تقدير محذوف ، وخلع اللام عن معنى الحال ، لئلا يجتمع دليلا الحال والاستقبال . (٤)

- هل : في قوله تعالى : " هل أتى على الانسان حين من الدهر" (٥)

(١) النحل آية ٦٨

(٢) مغنى اللبيب ـ الأمير ١ : ٣١

(٣) الضحى آية ٥

(٤) مغنى اللبيب الأمير ١ : ١٩٠

(٥) الانسان آية ١

قال الزمخشرى : هل بمعنى قد أبدا .

وعارض ابن هشام ذلك بقوله : إن هل حرف موضوع لطلب التصديق الايجابى ،دون التصور ،ودون التصديق السلبى . (١) ثم قال : وقد عكس قوم ما قاله الزمخشرى ،فقالوا إن هل لا تأتى بمعنى قد أصلا ،وهذا هو الصواب عندى . (٢)

– الواو : قال الزمخشرى : تكون بمعنى أو في الاباحة ،ورأى أنه يقال : جالس الحسن وابن سيرين ،أى أحدهما .

ورد ابن هشام بقوله : والمعروف من كلام النحويين أنه لو قيل جالس الحسن وابن سيرين كان أمرا بمجالسة كل منهما فذلك فرق بين العطف بالواو والعطف بأو . (٣)

– نعت الضمير : قال ابن هشام : كما أن الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عطف بيان ،ووهم الزمخشرى فاجاز ذلك ذهولا عن هذه النكتة ، وممن نص عليها من المتأخرين ،أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسى ، وابن مالك ،والقياس معهما في ذلك . (٤)

– الضمير : في قوله تعالى : "إنه يراكم هو وقبيله ..." (٥)

قال الزمخشرى : ان اسم (أن) ضمير الشأن .

---

(١)مغنى اللبيب الأمير ٢ : ٢٩

(٢)المرجع السابق ٢ : ٣٠

(٣) المرجع نفسه ٢ : ٣٣

(٤)المرجع السابق ١ : ٣١

(٥) الأعراف آية ٢٧

ورد ابن هشام بأن هذا ضعيف ، والأولى كونه ضمير الشيطان، ويؤيد ذلك أن قرئ (وقبيله) بالنصب ،وضمير الشأن لا يعطف عليه . (١)

- وفي قوله تعالى : " بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين " . (٢)

رأى الزمخشري أن الرابط في الآية عموم المتقين .

ورد ابن هشام : والظاهر أنه لا عموم فيها ،وأن المتقين مساوون لمن تقدم ، وانما الجواب محذوف تقديره يحبه الله . (٣)

- وفي قوله تعالى : " يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي " . (٤)

قال الزمخشري : ان انتصاب أواري في جواب الاستفهام .

ويرى ابن هشام أن هذا قول فاسد ، وجه فساده أن جواب الشئ سبب عنه ،والمواراة لا تتسبب عن العجز وانما انتصابه بالعطف على أكون . (٥)

- وفي قوله تعالى : " ادخلوا في السلم كافة ..." (٦)

جوز الزمخشري مجئ الحال من الفاعل والمفعول به في هذه الآية .

ورد ابن هشام بأن هذا وهم ،لأن كافة مختص بمن يعقل .

ثم يقول : ووهم - الزمخشري - في قوله تعالى : " وما أرسلناك الا

(١) مغنى اللبيب ٢: ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٧٦

(٣) مغنى اللبيب ٢: ١١٠

(٤) سورة المائدة آية ٣١

(٥) مغنى اللبيب ٢: ١٢٣

(٦) سورة البقرة آية ٢٠٨

كافة للناس " • (١) إذ قدّر كافة نعتا لمصدر محذوف ، أى إرساله كافة •

ويرى أن وَهْم الزمخشرى هنا أشد لأنه أضاف إلى استعماله فيما لا يعقل إخراجه عما التزم فيه من الحالية •

ويراه كذلك وهم في خطبة المفصل إذ قال : محيط بكافة الأبواب ، ووهمه في ذلك أشد وأشد لاخراجه إياه عن النصب البتة • (٢)

---

(١) سبأ آية ٢٨

(٢) مغنى اللبيب ٢ : ١٣٦

من آراء الزمخشري التي انفرد بها في النحو

جاء الزمخشري بعد عصر المذاهب النحوية ولا سيما المذهبين البصري والكوفي فكان يرجع في دراساته إلى ما أمامه من شتى الآراء النحوية ، فيختار منها ما يتفق واجتهاده ، وقد يؤديه ذلك الاجتهاد إلى ما لم يسبقه اليه أحد من النحاة ، واليكم بعض ما انفرد به من آراء . :

- انفرد الزمخشري بان (من) بمعنى بعض تكون اسما ويجري عليها ما يجري على الأسماء ، (١) وأخذ بهذا الرأي بعض النحويين بعد الزمخشري حتى أعرب بعضهم بيت الفية ابن مالك الذي يقول فيه :

. والاسم منه معرب ومبني .

أن (منه) مبتدأ ومعرب خبره . (٢)

- ورأى ان (أن) حين تدخل على المضارع تحول معناه الى الاستقبال وبهذا قرر أن خبر عسى يجب أن يقترن ب (أن) لأن عسى للرجاء وهو يتجه الى المستقبل ، وعند اكثر النحاة ان يقترن خبر عسى (بأن) وليس ذلك ملزما . (٣)

- وذهب إلى أن (ألا) حرف تنبيه ، وأنه مركب من همزة الاستفهام ، ولا النافية لتدل على تحقيق ما بعدها ، والاستفهام اذا دخل على النفي عند الزمخشري أفاد تحقيقا . (٤)

---

(١) المفصل ٨ : ١٠

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ١٢ ـ حاشية الصبان على الاشموني ١ : ٥٠

(٣) المفصل ٨ : ١٤٨ ـ ابن يعيش ٨ : ١٤٩

(٤) المفصل ٨ : ١١٤ ـ ابن يعيش ٨ : ١١٥ ـ مغني اللبيب للامير ١ : ٦٤

- وقال إنه قد يلي آلا نعت لما قبلها مفرد او جملة فالمفرد مثل : ما مررت برجل آلاشجاع ، والجملة : ما مررت باحد آلا زيد خير منه . (١)

- أجاز الزمخشري وحده حذف ما عطفت عليه أم فقال في قوله تعالى : " ام كنتم شهداء ... " يجوز كون أم متصلة على أن الخطاب لليهود ، وحذف معادلها اى اتدعون علي الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء . (٢)

- وقال إن الباء أصل حرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفي التاء زيادة معنى التعجب ، قال في قوله تعالى " وتا الله لأكيدن أصنامكم " وكانه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه مع عتو نمرود وقهره . (٣)

- وقال في (اذا) ان عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ جوابها المفاجأة قال في قوله تعالى "ثم اذا دعاكم دعوة " إن التقدير إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت قال ابن هشام : ولا يعرف هذا لغيره . (٤)

- قال ابن هشام : وأفاد الزمخشري أن السين اذا دخلت على فعل محبوب او مكروه افادت انه واقع لا محالة .

---

(١) ابن يعيش على المفصل ٢ : ٩٣ ـ همع الهوامع ١ : ٢٣٠

(٢) مغني اللبيب ـ الامير ١ : ٤٣ ـ الكشاف ط طهران ١ : ٣١٣ ـ المفصل ٨ : ٩٧

(٣) المغنى ١ : ١٠٦ ـ الانبياء ٥٧

(٤) المغنى ١ : ٨٠ ـ الروم ٢٥

وقال : ولم أر من فهم وجه ذلك ، ووجهها أنها تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضٍ لتوكيده ، وتثبيت معناه ، وقد أومأ إلى ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى " فسيكفيكهم الله " معنى السين أن ذلك كائن لامحالة وان تأخر إلى حين ، وصرح به في سورة براءة فقال في قوله تعالى " أولئك سيرحمهم الله " السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : ساتنتقم منك (١)

- جعل الجملة بعد (إلا) في مثل قوله تعالى : "وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم " (٢) صفة لقرية ، وقال : إن الواو للصوق الصفة وجعلها غيره واو الحال ، وتابعه أبو البقاء العكبرى على هذا الرأى . (٣)

- وقال : إن الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات تدل على ترتيب معانيها مثل قوله :

يالهف زيابة للحارث الـــ ـــصابح فالغانم فالآيب

كانه قال : الذى صبح فغنم فآب .

او تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك : خذ الاكمل فالافضل .

او تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك نحو : رحم الله المحلقين فالمقصرين . (٤)

---

(١) انظر : الكشاف ١ : ٣١٥ البقرة آية ١٣٧ ، الكشاف ٢ : ٢٠٢ التوبة ٧١

(٢) مغنى اللبيب المبارك ٢ : ٤٨٣ ـ الحجر آية ٤

(٣) المرجع السابق

(٤) الجنى الدانى ص٦٣ ـ مغنى اللبيب الامير ١ : ١٤٠

- وذهب إلى أن (حاشا) تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء ، و (حاشا) التنزيهية غير الاشتثنائية عند النحاة . (١)

- وقال: إن (الباء) في قوله تعالى " عينا يشرب بها عبادُ الله" (٢) هي كالباء في شربت الماء بالعسل ، والمعنى يشرب بها عباد الله الخمر ، ولم يقل به غيره .

- في قوله تعالى " ما انت بنعمة ربك بمجنون "

قال : ان الباء تتعلق بمجنون منفيا ، كما تتعلق بعاقل مثبتا ، كأنه قيل : أنت بنعمة الله عاقل . (٣)

- وذهب الزمخشري إلى أن (أما) في قولك : امّا زيد فذاهب تعطى الكلام فضل توكيد .

قال ابن هشام في مغنى اللبيب : " وأما التوكيد ، فقلّ من ذكره ، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري ، فانه قال : فائدة أما في الكلام أنْ تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فاذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت ؟ أمّا زيد فذاهب (٤) "

ولعل الزمخشري أخذ هذا الرأي من قول سيبويه في تفسيره ، مهما يكن من شيء ، فزيد ذاهب .

- وذكر أن من معاني الواو الاباحة ، قال ابن هشام في المغني :

---

(١) المفصل ٨ : ٣٧ ـ النهر الماد على البحر المحيط ٥ : ٣٠١

(٢) الجنى الداني ص٤٤ ـ مغنى اللبيب الامير ١ : ٩٨ ـ الانسان آية ٩

(٣) الكشاف ٤ : ٥٨٤ القلم آية ٢

(٤) المغنى الامير ١ : ٥٤ ـ المفصل ٩ : ١١

وزعم أنه يقال : جالس الحسن وابن سيرين أى أحدهما ولهذا قيل " تلك عشرة كاملة " بعد ذكر ثلاثة وسبعة لئلا يتوهم إرادة الاباحة .

وأردف ابن هشام هذا بقوله : " والمعروف من كلام النحويين أنه لو قيل جالس الحسن وابن سيرين كان امرا بمجالسة كلا منهما وجعلي ذلك فرقا بين العطف بالواو والعطف بأو . (١)

ويشير الصبان فى حاشيته على الاشمونى إلى أن ابن مالك وافق الزمخشرى في قوله هذا ، كما وافقه ابن هشام فى حواشيه على التسهيل أيضا . (٢)

- وذهب إلى أن (إذ) قد تقع مبتدأ ، وخرّج على ذلك قراءة بعض بعضهم " لقد من الله على المؤمنين : إذ بعث فيهم رسولا " (٣) بقوله : يجوز ان يكون التقدير منه اذ بعث وأن تكون إذ فى محل رفع كاذا فى قولك : أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما أى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه . (٣)

ويعلق ابن هشام بقوله : "فمقتضى هذا الوجه أن إذ مبتدأ ولا نعلم لذلك قائلا ثم تنظيره بالمثال غير مناسب لأن الكلام فى إذ لا فى إذا .

• وقال : ان (الباء) في صيغة التعجب (افعل به) مزيدة للتأكيد والاختصاص ، أو هى للتعدية وعند جمهور النحاة أنها مزيدة للفاعل . (٤)

---

(١) مغنى اللبيب الامير ٢ : ٣٣ ـ الاشمونى ٣ : ١٠٨

(٢) حاشية الصبان على الاشموني ٣ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) المغنى الامير ١ : ٧٥ ـ آل عمران آية ١٦٤

(٤) المفصل ٧ : ١٤٧

الفصل الخامس

منهج الزمخشري النحوي

الزمخشرى والأصول النحوية

باستقراء قواعد اللغة نجد أنها تقوم على السماع والقياس .

والسماع يستقى من نبعين أصيلين فى العربية هما : القرآن الكريم ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم واللغة العربية شعرها ونثرها بحيث تؤخذ عمّن يوثق بفصاحتهم ولهذا نجد النحاة الأوائل قد رحلوا إلى أعماق الجزيرة العربية يشافهون أهلها ، ويأخذون عنهم اللغة والشعر .

وقد استشهد النحاة بصريهم وكوفيهم بالقراءات على تفاوت بينهم فى ذلك .

أما حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فقد سكت النحاة المتقدمون مثل : ابو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه والكسائى والفراء ، وادرابهم عن الاحتجاج به ، ولكن المتأخرين انقسموا إلى طوائف أجاز بعضها الاستشهاد بحديث الرسول عليه السلام بشروط معينة . (١)

كما اعتمد النحاة الأوائل القياس أصلا من الأصول النحوية إذ أحسوا بضرورة الحاجة إليه لتنمية الحصيلة اللغوية فكان عبدالله بن أبى اسحق كما قيل : شديد التجريد بالقياس . (٢)

وقد نسب إلى الخليل وسيبويه أنهما يريان : "أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم . (٣) سار على نهجهم كثير من الخالفين

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٣ : ١٩٩ مقال للخضر حسين

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ١٤

(٣) المخزومى : الخليل بن احمد ص ٢٥٢ ــ المنصف ١ : ١٨٠

بعدهم ولا سيما البصريين .

فجاء الزمخشري مقتفيا أثر هؤلاء النحاة في الاعتماد على هذين الاصلين ولكنه كان ذا رأي واجتهاد ، فكان له رأيه واجتهاده فيما نقل عن العرب من شعر ونثر ، وكتبه النحوية واللغوية مليئة بهذه النماذج .

ولما كان لعلماء اللغة رأي في التحديد الزماني والمكاني لنقل اللغة وسماعها كان الزمخشري متبعا لهم ، مقتفيا أثرهم ، ولكنه يتميز في هذا بأنه مجتهد غير مقلد ، فقد وجد في نفسه الكفاية لمخالفتهم فيما يراه صوابا ، فهو مثلا ينقد اللغة التي يراها ضعيفة لعدم ورودها من فصحاء العرب ولا ممن يوثق بعربيتهم كما سيأتي عند الكلام في شواهده .

أما القياس : فقد كان الزمخشري يستعمله في النحو كثيرا وهو يسلك فيه المنهج الفكري للمعتزلة ، ويتضح موقف الزمخشري من القياس فيما يلي :

- إن أعلى شيء في اللغة هو ما تعاون على ثبوته القياس الصحيح والرواية الفصيحة . (١)

فهو يجمع بين القياس وأقوال فصحاء اللغة ويعتبر اللغة الموسومة بهذه السمة من أعلى اللغات وأصحها عنده ، ولا يرد القياس عنده الا الرواية التي يثبت وثوقها .

وعنده كذلك أن الاستعمال المستفيض أقوى من القياس الحسن

---

(١) الفائق ١ : ٣٧٢

فقد ورد في كشافه أمثلة تفيد ذلك ومنها ما ختمه بقوله : هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر ، تتضاءل إليه القياسات . (١)

ولا يصح عنده القياس على القليل . (٢) ولا على اللغات الضعيفة . (٣)

ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمعزل عن استعمال الفصحاء وعن القياس فهو لحن .

---

(١) الكشاف ط الحلبي ٢ : ٥٥١

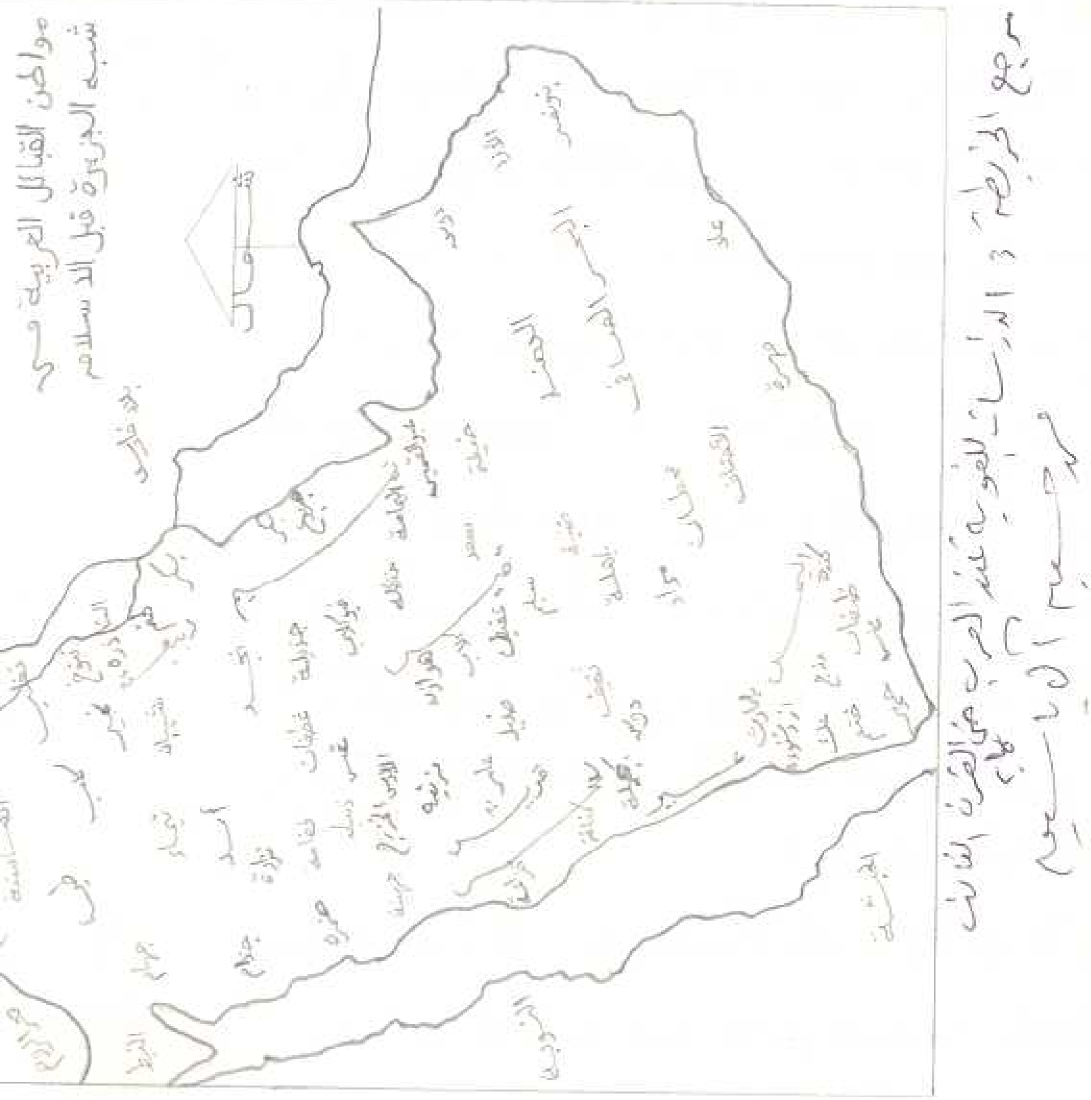
(٢) الكشاف ٤ : ١٦٤ ـ المفصل ٣ : ٩٨

(٣) المفصل ٩ : ٢٧

منهجه فى التأليف النحوى

منهجه فى تأليف المفصل :

تقدم الحديث في هذا البحث عن مختلف الثقافات التى سبقت الزمخشرى ، ولا ريب أنه اطلع على معظم الكتب النحوية واللغوية قبل ...



واكتسابه منهم قد فتحت بصيرته للحكم على تلك الكتب بأنها لاتجارى ...

منهجه فى التأليف النحوى

منهجه فى تأليف المفصل :

تقدم الحديث في هذا البحث عن مختلف الثقافات التى سبقت الزمخشرى ،ولا ريب أنه اطلع على معظم الكتب النحوية واللغوية قبل تأليف مفصله . ويظهر هذا واضحا فى نقوله عن هؤلاء السابقين .

وكان أكثر نقله عن سيبويه ثم الأخفش والخليل والمبرد ،وأبي عمرو ابن العلاء واتجهت نقوله بعد هذا نحو القلة كما يتضح من هذا البيان وهو موجز بمن نقل عنهم وعدد مرات النقل عن كل منهم :

سيبويه ٩١ مرة ،الأخفش ٣٤ مرة ،الخليل بن أحمد ٢٦ مرة ، المبرد ١٠ مرات ، أبو عمرو بن العلاء ٩ مرات ،يونس بن حبيب ٩مرات الفراء ٦ مرات ،الكسائى ٥مرات ،الزجاج ٥ مرات ،أبو زيد ٤ مرات ، الأصمعى ٤ مرات ،اليزيدى ٤ مرات ،قطرب مرتين ،ثعلب مرتين ،أبو عبيدة مرتين ، المازنى مرتين ،أبو علي مرتين ،أبو الاسود مرة واحدة ، النضر بن شميل مرة واحدة ،عيسى بن عمر مرة واحدة ،ابن السكيت مرة واحدة ،ابن الأعرابي مرة واحدة .

وهكذا نرى أنه نقل أكثر ما نقل عن شيخ النحاة ،وكان يكثر من ترديد اسمه في المسائل ،ويستشهد بشواهد كتابه ،ويكن له كل احترام وتقدير .

ولعل متابعة الزمخشرى لتلك المؤلفات ، ... وأولئك العلماء ، واكتسابه منهم قد فتحت بصيرته للحكم على تلك الكتب بأنها لاتجارى .

العصر والتطور الثقافى فى وقته ،بل لعله لمس ما ينقصها من ترتيب وتنسيق لأبوابها وفصولها ،نلمس هذا من توجيهه فى مقدمة مفصله (١) .

لهذا نرى أن الزمخشرى نهج نهجا جديدا فى تبويب كتابه وتفصيله فللمصنف أن يطبق ما يراه صوابا فى ترتيب مادة كتابه ،ولو خالف في ذلك غيره من العلماء .

وهكذا فعل الزمخشرى ،فهو يفصح فى مقدمة كتابه (المفصل) عن خطة سيره بقوله : "فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب ، المفصل فى صنعة الاعراب " مقسوما أربعة أقسام : الأول فى الاسماء ،والثانى فى الأفعال ،والثالث فى الحروف ،والرابع فى المشترك . وصنفت كلا من هذه الاقسام تصنيفا وفصلت كل صنف منها تفصيلا ..." (٢)

فنراه حصر مادة كتابه فى أربعة أقسام رئيسة كما يتضح من هذا العرض فتحدث فى قسم الاسماء عن الاسم وخصائصه من جنس وعلم ، وذكر من أصنافه الاسم المعرب المتصرف وغيره ، ثم ذكر وجوه إعراب الاسم ،فبدأ بالمرفوعات ،بحث فيها الفاعل ،ثم المبتدأ والخبر ،وخبر إن ولا النافية للجنس ،واسم ما ولا المشبهتين بليس ،ولم يذكر نائب الفاعل لأنه لايفرق بينه وبين الفاعل .

ثم تحدث عن المنصوبات ،وبدأ بالمفعول المطلق ،فالمفعول به فالمنادى فالتحذير ،والمضمر على شريطة التفسير ،فالمفعول فيه ، فالمفعول معه فالمفعول له فالحال ،فالتمييز ،فالاستثناء ،فخبر كان ،

---

(١) مقدمة المفصل ١ : ١٧

(٢) المصدر السابق

فاسم أن

فاسم ان ،فاسم لا النافية للجنس ،فخبر ما ولا المشبهتين بليس .

ثم بحث المجرورات والاضافة ثم بحث التوابع ،فالاسم المبني ،وبحث فيه الضمير ،والاشارة ، فالموصولات ،فأسماء الافعال ،فالأصوات ،فالظروف المبنية فالمركبات ،فالكنايات .

ثم عرض للمثنى ،فالجمع ،فالمعرفة والنكرة ،فالمذكر والمؤنث فالمصغر والمنسوب ،فالعدد فالمقصور والممدود ،فالاسماء المتصلة بالأفعال وهى :

اسم الفاعل ،واسم المفعول ،والصفة المشبهة ،وأفعل التفضيل ، والزمان والمكان والآلة .

ثم بدأ فى قسم الافعال : الماضى والمضارع والأمر ،فالفعل المتعدى وغير المتعدى ،فالمبنى للمفعول ، ثم أفعال القلوب ،فالافعال الناقصة ،فافعال المقاربة ،وفعلا المدح والذم ،فالفعل الثلاثى المجرد والمزيد ،فالفعل الرباعى من مجرد ومزيد .

وعرض فى قسم الحروف لمعنى الحرف ،فحروف الاضافة ،فحروف العطف فالنفى فالتنبيه ،فالنداء ،فالتصديق والإيجاب فالاستثناء ...

ثم أنهى الكتاب بالقسم المشترك ،فتحدث عن الامالة ،معناها وأسبابها فالوقف وبيان لغاته الأربع ،فالقسم والغرض منه ومعناه ، وأدواته ،فتخفيف الهمزة وحذفها ،وعلة حذفها ،ثم التقاء الساكنين ، ومتى يجوز .

ثم تحدث عن زيادة الحروف ،ومعنى زيادتها ،ثم إبدال الحروف وتحريف الابدال والقلب ،ثم الاعتلال معناه وحروفه .

ومن أصناف المشترك : الادغام ،معناه والعلة فيه ،فمخارج الحروف ، فصفات الحروف ،ثم تفصيل الادغام فى الحروف ،يبدأ بالهمزة وينتهى بالنون .

منهجه النحوى فى الكشاف

باستقصاء خطى الزمخشرى فى كشافه يلاحظ الباحث ما يلى :

— يتحرى لكثير من أوجه الاعراب اذا كان فى ذلك توضيح للمعنى المقصود .

وذلك كما فى قوله تعالى : " وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين " (١)

يقول : ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة ، إما لأن أنذر وذكر متقاربان .. فكأنه قيل : مذكرون تذكرة . وإما لأنها حال من الضمير فى منذرون أى ينذرونهم ذوى تذكرة . وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة ، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه تذكرة ، والجملة اعتراضية ، أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها .

ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ، والمعنى : وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين ، الا بعد أن الزمناهم الحجة ، بارسال .. المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة ، وعبرة لغيرهم فلا يعصون مثل عصيانهم . (٢)

— يجعل للنحو وظيفة معنوية وهى الإبانة عن معانى الكلام ووجوه فهمه ، ويضفي على النحو أهمية خاصة فى تفهم القرآن الكريم ، فهو يرى

---

(١) الشعراء آية ٢٠٨

(٢) الكشاف ط الحلبى ٣ : ١٣٠

أن المفسر يجب أن يكون فارسا فى علم الاعراب ، له حظ وافر منه ، مقدما فى معرفة كتاب سيبويه . (١) كما فى قوله تعالى :

" أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ...(٢)

يقول : والفاء والواو فى أفأمن و أو أمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار .

فان قلت : ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو ؟

قلت: المعطوف عليه قوله : فأخذناهم بغتة ، وقوله : ـ ولو أن أهل القرى ...الى يكسبون ـ وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه ، وانما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة ، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا ، وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى . (٣)

ـ ينظر من خلال الدراسة النحوية الى الذوق الأدبى والأسلوب البلاغى ،بغض النظر عن تقديرات النحاة .كما فى قوله تعالى :

" هدى للمتقين " (٤)

يقول : ومحل هدى للمتقين الرفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو

---

(١) الكشاف المقدمة ١ : ٨

(٢) سورة الأعراف آية ٩٧ ، ٩٨

(٣) الكشاف ٢ : ٩٨

(٤) الكشاف ١ : ١٢١ـ البقرة آية ٢

خبر مع " لاريب فيه " لـ (ذلك) . أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ، ويجوز أن ينتصب على الحال ، والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف .

ثم قال : والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا ، وأن يقال إن قوله : (الم) جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و(ذلك الكتاب) جملة ثانية و(لاريب فيه) ثالثة و(هدى للمتقين) رابعة .

وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذ بعضها بتلابيب بعض . (١)

ـ يسرد آراء النحاة ثم يبدى رأيه ، كما فى قوله تعالى : " ثم لننزعن من كل شيعة أيُّهم أشدُّ ... " (٢)

يقول : واختلف في إعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد ، وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته ، حتى ولو جئ به لأعرب .

وقيل : أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على (من كل شيعة) كقوله سبحانه " ووهبنا له من رحمتنا ... " (٣) أى لننزعن بعض

---

(١) الكشاف الحلبى ١ : ١٢١

(٢) مريم آية ٦٩

(٣) مريم آية ٥٣

كل شيعة ،فكأن قائلا قال : من هم ؟ " فقيل أيهم أشد عتيّا " ..

وأيهم أشد بالنصب ،عن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء . (١)

- ويستدل لما يراه صحيحا من آراء النحاة البصريين أو الكوفيين مع جنوحه للمذهب البصرى ،واجلاله المطلق لسيبويه .

فى قوله تعالى : " صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغةً ونحن له عابدون " (٢) يقول : (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله ،وهذا العطف يرد قول من زعم أن (صبغة) بدل من (ملة ابراهيم) أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيها من فك النظم ،وإخراج الكلام التئامه واتساقه ،وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه ،والقول ما قالت حزام . (٣)

- ويستشهد بالحديث الشريف في النحو ، كما استشهد به في كتبه الاخرى .

يقول فى الكشاف : وقد فسر بعضهم أمرنا "بكثرتنا " وجعل باب أمرته فامر من باب فعلته ففعل ، كثبرته فثبر ،وفي الحديث : " خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة " أى كثيرة النتاج .

---

(١) الكشاف ٢ : ٥١٦ _ مريم آية ٦٩

(٢) الكشاف ١ : ١٩٦ _ البقرة آية ١٣٨

(٣) المصدر السابق

التجديد فى منهج الزمخشرى

لأول مرة يعرض المؤلف منهجه في مقدمة الكتاب ،ولم يكن هذا محهودا عند المؤلفين السابقين له ،والمؤلف جعل منهج كتابه شاملا كل الأحكام النحوية والصرفية .

فالجانب النحوى عنده يقوم على الأحكام المتصلة بالكلمة من حيث بنيتها وضبطها ،ووظيفتها في التركيب اللغوى ،وعلى هذا وضع المنهج وفصّل عليها الأحكام .

فالتطور النحوى حدث على يد الزمخشرى فتناول المنهج النحوى أكثر من تناوله للمادة النحوية نفسها من حيث ما تشتمل عليه من قضايا وأحكام . (١)

ويرجع فضل ذلك إلى متابعته للدراسة النحوية وتعمقه في تفاصيلها وجزئياتها ومعايشته إياها .

وبحكم ثقافته الاعتزالية وميله إلى الانطلاق الفكرى ،أحس إحساسا قويا بأن للنحو غاية وهى :تقويم اللسان وفهم النص اللغوى ،ولذلك رأى النحو فى حاجة إلى منهج جديد ،فاتجه اتجاها فاق به من سبقوه ، ومن عاصروه .

اتجه إلى المادة النحوية بمنهجية أعمل فيها عقله ،فابتدع خطة سهلة شاملة ،ثم ظهرت شخصيته فى بعض المسائل شأنه شأن العلماء المتخصصين الذين يسهمون في بناء الثقافة ،ويضيفون إليها الجديد من أعمالهم .

---

(١) تطور الدرس النحوى ص٨٨

لقد عالج الزمخشري قضية النحو في اتجاهين مهمين لا يستغني أحدهما عن الآخر، وهما: اللفظ المفرد، والتركيب اللغوي.

وفي كل قضية نهج نهجا خاصا به لم يسبق إليه، فجعل في كتبه الخاصة بالنحو ما عالج به قضايا النحو الكلية، فجمع كل المتشابهات في العمل، وفي الجنس في باب واحد، وحدا به هذا الى أن يؤلف كتابه كتابه المفصل في تلك الأبواب الأربعة المشار إليها، ولم يكتف بذلك بل اختصره مرة أخرى في كتاب سماه (الأنموذج).

فكتاب الأنموذج اختصار شديد لقواعد النحو وأصوله، وترتيبه يسير على وفق ترتيب المفصل.

فالكتابان يسيران على منهج واحد، فقد رتب الانموذج على أربعة أقسام هي: الأسماء والأفعال، والحروف، والمشترك، شأنه شأن المفصل، ولكن الأنموذج أكثر تركيزا وأشد إيجازا، فهو يومئ إلى مسائل النحو إيماء، لأنه متن ضيق لأصول هذا العلم.

فباب التمييز لا يزيد فيه عن أن يقول: والتمييز هو رفع الإبهام عن الجملة في قولك: عندي راقود خمرا، ومنوان سمنا، وعشرون درهما، وملوءه عسلا. (١)

وفي كتاب المفصل يذكر هذه الأصول مع شيء من الشرح الوجيز، ولا يخرج مع هذا عن عداد المتون.

واختصارا للقول نرى أن المفصل والأنموذج عالج فيهما القضية الكلية للنحو.

---

(١) الانموذج مطبعة الجوائب — عن البلاغة القرآنية ص٤٦

ولما أراد أن يسهل حفظ القواعد على طلاب النحو ، قام باختصار ذلك كله في عجالة صغيرة جعلها في بابين شاملين لأبواب النحو هما : المفرد والمركب وسمى تلك العجالة (المفرد والمؤلف) .

فتحدث فيها عن أحوال اللفظ المفرد ، وأحوال التركيب اللغوي ، وعن أحكامها النحوية دون أن يغرق القارئ في الاستطرادات والاستشهادات والاستشهادات ، والتعليلات ، ويمكن أن يعتبر الكتاب بداية ينتفع بها المبتدئون .

فهو يبدأ بالقول في المفرد ويقسمه إلى : اسم ، وفعل ، وحرف ويعرف كلا منها مع ضرب مثال واحد لكل ، ثم يتحدث عن أحوال الاسم من إعراب وبناء ويأخذ في التحدث عن أحوال الفعل فيقسمه إلى ماض ومضارع وأمر ، مع تعريف كل منها ثم يتطرق إلى ما يتصل بها من إعراب وبناء ومن تعدّ ولزوم ، وتمام ونقصان .

ثم يعرّج على الحرف فيقسمه إلى حروف عاملة : وهي حروف الجر ويذكرها ، وعوامل النصب قبل الرفع في المبتدأ والخبر ، وعوامل الرفع قبل النصب فيهما ، ونواصب الفعل وجوازمه .

وحروف غير عاملة وهي : حروف العطف ، وحروف الاستفهام .

ثم يتحدث عن المؤلَّف ، وهو الباب الثاني في الكتاب فيقول :

المؤلَّف على ضروب : المبتدأ مع المبني عليه ، والمضاف مع المضاف اليه والصفة مع الموصوف والمبدل منه مع البدل ، والمؤكد مع التوكيد ، والمعطوف مع المعطوف عليه ، وذو الحال مع الحال والمقدار مع تمييزه

والمستثنى مع المستثنى منه والصفة والمصدر مع فاعليهما أو مفعوليهما .

ومنه المؤلف مع الفعل والاسم وهى : الفعل مع الفاعل والفعل مع المفعول به والفعل مع الحال والتمييز ، والمستثنى .

ومنه المؤلف من الحرف والاسم وهى : حرف التعريف مع المعرّف ، وحرف النداء مع المنادى .

ومنه الحرف المؤلف مع الفعل وهى : قد مع الماضى ، والمضارع .

ومنه المؤلف من حرفين نحو : لولا ، لوما هلّا ، لمّا ألا أمّا .

ومنه المؤلف مع المفرد والمؤلف : وهو على ضروب ثم يذكرها . (١)

والكتاب فى منهجه موجز أشد الايجاز فهو لا يزيد على عشرين صفحة من القطع الصغير وكأنه هيأه للحفظ كي يستفسد به الطالب .

ثم انه يستعمل كفايته لخدمة ابناء العربية ، فيحاول أن ينهج نهجا يقودهم إلى أغوار اللغة ، ودقائق النحو ، يمدهم بسيل دافق من ... المسائل النحوية المعقدة ليفيد بها المتخصصين .

فقد ألّف كتابه (الأحاجى النحوية) وهو ليس كتاب الغاز ، فبينه وبين الألغاز بون شاسع فهو كتاب في خمسين أحجية لجأ فيها إلى دقائق النحو وكان هذا المنهج كفيلا بأن يسهل على الطالب حفظ الأحجية والالمام بمحتواها ، وما بها من شوارد النحو وقد هيأها فى أسلوب سلس يسهل تناوله وسأسوق بعض النماذج للاطلاع على منهجه ، وما يرمى إليه فيها من إفادة المتخصصين فى النحو والصرف .

---

(١) الزمخشرى : المفرد والمؤلف ص ١٧ـ٣٦

يقول فى إحدى أحاجيه : " أخبرنى عن فاعل جمع على (فُعَلة) ــ بضم الفاء وفتح العين ــ وعن فعيل جمع على (فَعَلة) بفتح الفاء والعين ــ " . (١)

ويرد بقوله : فاعل المجموع على فُعلة ، باب قاض ، وداع ، قياس مثلئب وذلك قولك : (قضاة) و (دعاة) خالف بضمة فاءه جمع الصحيح ، والمعتل العين حيث جاء على (فَعَلة) بفتحتين ، وذلك نحو (الكفرة) و (الفجرة) و (الحوكة) فيمن أتى به على الأصل .

وأما فَعيل المجموع على (فَعَلة) فقولهم : (سراة) ويدل على هذا قولهم (سروات) يعنى لو كان تكسيرا نحو (كتبة) لما قيل ذلك ، كما لايقال : كتبات وكفرات .

ويقول فى أحجية أخرى : "أخبرنى عن نسب بغير يائه ودن تأنيث بتاء غير تائه " . (٢)

ويجيب عن هذه الأحجية بقوله : النسب بغير يائه ما دل عليه بالصيغة نحو (عواج) و (بتار) و (دراع) و (لابن) ونظير دلالتى العلامة والصيغة قولك : ليضرب واضرب ، والفرق بين البنائين أن (فعّالا) مصوغ لما هو صنعة و (فاعلا) لمباشرة الفعل .

فان قلت : أهو قياس كالنسب بالعلامة ، أم يقصر على السماع ؟

قلت : بل يقصر على السماع . قال سيبويه : وليس فى كل شىء قيل هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة

---

(١) الأحاجى النحوية مسألة ١ ص١٩

(٢) المصدر السابق م٨ ص٢٧

فكاه ولا لصاحب الشعر (شعار) ولا لصاحب الدقيق (دقاق) ؟

فان قلت : فهل جاء (فعّال) للمباشرة و (فاعل) لما هو صنعة ؟

قلت : نعم قد قالوا : بغّال ونبّال وسيّاف لذوى هذه الأشياء

قال امرؤ القيس :

وليس بذى رمح فيطعنني به وليس بذى سيف وليس بنبّال بنبّال

يريد وليس بذى نبل ، كما قال : وليس بذى رمح وليس بذى سيف

وقالوا : شاعر وحائك ...

ويرد على قوله : والتأنيث بتاء ليست بتائه فى (بنت) و (أخت)

لأن تاءها بدل من الواو التى هى لام إلا أن اختصاص المؤنث بالابدال

دون المذكر قام علما للتأنيث فكانت هذه التاء مؤنثة لاختصاصها كتاء ...

التأنيث ، ونحو التاء فى (مسلمات) هى علامة لجمع المؤنث فلاختصاصها ...

بجمع المؤنث كأنها للتأنيث ، ومن ثم لم يجمعوا بينها وبين تاء التأنيث ...

فلم يقولوا (مسلمات) .

فان قلت : ما أدراك أنها ليست تاء التأنيث ؟

قلت : لو كانت كذلك لقلبها الواقف هاء فى اللغة الشائعة .

فان قلت : فلم قلبها من قلبها هاء فى الوقف ، فقال : (البنون ...

والبناه)

قلت : رآها تعطى ما تعطيه تاء التأنيث متوهما مثلها . (١)

وهو يعتمد على اختصار العبارة ووضوحها ، ويحرصها فى تعبير

مسجوع يساعد السمع على حفظ الأحجية ، مثل قوله :

"أخبرنى عما ينصب ويجر وهو رفع ، وعما تدخله التثنية وهو جمع" (٢)

---

(١) الاحاجى النحوية م٨ ص٢٧ـ٢٩

(٢) المرجع السابق م١١ ص ٣٣

وقوله : " أخبرني عن واحد وجمع لا يفرق بينهما ناطق الا أن الضمير بينهما فارق " . (١)

وعلى هذا النمط يسير حتى يكملها خمسين أحجية .

وكما تبين من النموذجين المتقدمين ، نجده يستشهد في حلها ، لغويا ، ونحويا بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والشعر والنثر والآثار —

أما دراسته في (أعجب العجب) فهي لو قورنت بما كتبه في المفصل والأنموذج لظهر فرق كبير يتمثل في الايجاز ، والاختصار الذي مال اليه في كتبه النحوية ، والاطالة والاسهاب ، والاستطراد في دراسته النحوية للنصوص الأدبية التي يشرحها .

وكان يعتز بهذا اللون من الدراسة المطولة ، التي تعتبر مسحا شاملا لكل ما يتصل بالكلمة نحوا وصرفا واشتقاقا ، وأسوق مثالا واحدا لهذه الدراسة ليكون القارئ على بينة مما أقول ، وهاك هذا المثال وهو مطلع قصيدة الشنفرى التي قام الزمخشري بشرحها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني إلى قوم سواكم لأميل

أصل أقيموا أقوموا وماضيه أقام ، وعينه واو لقولك فيه أقوموا فاستثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت إلى القاف ثم قلبت الواو ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها . وهو فعل أمر مبني في الأصل على السكون وما بني منه على حركة فلعلة أوجبت بناءه عليها .

وذهب قوم إلى أنه معرب بالجزم — رأي الكوفيين — واتفقوا على أن فعل الأمر للغائب نحو ليقم ، وليذهب مجزوم باللام الداخلة عليه ،

---

(١) الأحاجي النحوية م١٢ ص٣٦

فهو معرب اتفاقا ،ودليل البناء أن الأصل فى الأفعال البناء ،فهو م
محكوم عليها به ،إلا أنه يقوم دليل على إعراب شىء منها ،فيكون إخراج
إخراجا لها عن أصلها ،ولم يعرب منها سوى المضارع لشبهه بالاسم ،
وهو ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع فيحكم عليه بالإعراب مادام
وصف المضارعة باقيا ،وذلك إذا كانت زائدة من الزوائد الأربع موجود
فمتى زايلته زال شبهه بالاسم ،فيعود إلى أصله من البناء .

وأيضا نجده لايحتمل معان يفرق الإعراب بينها ،والإعراب فى الأصل
انما جاء لهذا عند المحققين ،وقال الآخرون ما فيه اللام معرب ،
فيعرب مالا لام فيه لتقدير اللام كما قيل : محمد تفد نفسك ،أى لتفد
نفسك ،وحرف المضارعة أيضا مقدر كالمثال المذكور من كلام أبى طالب
لما خاطب النبى صلى الله عليه وسلم :

محمد تفد نفسك كل نفس ..... اذا ما خفت من امر تبالا

ولا تعويل على هذا القول ،فان الحذف من الشىء لايوجب تغيير
الصيغة بل يحذف ما يحذف ،ويبقى ما يبقى بعد الحذف على حاله ،
كقولك ارم فان الأصل إثبات الياء بعد حذفها بقى ما كان على ما كان
وهذا معدوم فى فعل الأمر ،ألا ترى أنك إذا حذفت التاء من تضرب
لا تقول ضرب زيد بل يعدل إلى صيغة أخرى هى اضرب .

وأما البيت فالاصل تفد على الخبر ،وانما حذفت الياء للضرورة ، وبنى
منصوب ،والناصب له الفعل المحذوف أو حرف النداء على اختلاف فيه ،
وحرف النداء محذوف ،والداعى إلى حذفه إرادة الاختصار مع بقاء المعنى
والمعتبر لجواز الحذف موجود ،وهو كونه لايصلح أن يكون وصفا لأى ،

أو الأصل فى قولك : يا رجل أقبل ، يأيها الرجل أقبل ، فلما حذفوا بها لم يحذفوا حرف النداء لئلا يجتمع حذفان ولم يكن الأصل فى قولك يا بنى ، (يايها بنى) فاذا حذف حرف لم يجتمع حذفان وانما نسب المضاف ولم يبن كما بنى المفرد وان وافقه فى كونه مقصودا بالنداء ، وواقعا مع موقع الضمير كالمفرد ، لأن الاضافة توجب احتياج المضاف إلى المضاف إليه فلو بنى المضاف دون المضاف إليه لكان منفردا عنه بالبناء وخرج أن يكون الاسمان كالاسم الواحد فوجب أن يخرج عن باب النداء لان المضاف والمضاف اليه إسمان حقيقة ، فلم يكن إيقاعهما موقع الضمير لأنه مفرد ، واختلف فى المضاف إليه ، ياء المتكلم نحو غلامى وأمى ونظائرهما فذهب قوم إلى أنها لامعربة ولا مبنية وآخرون إلى إعرابها وآخرون إلى بنائها .

واحتج الأولون بان الاعراب هو الاختلاف ولا اختلاف هنا وهذا مما يوجب البناء ، ولم تشبه ما تبنى لأجله ، وهذا يقتضى الاعراب فوجب الوقف واحتج من قال بالاعراب أن الاعراب أصل فى الأسماء ، فاذا عرض ما يمنع ظهوره قدّر كالمقصور ، والحركة فى مثل هذا مستقلّة كاستقلالها على الاسم المنقوص .

واحتج من قال بانه مبنى أن حركته صارت تابعة للياء فتعذرت دلالتها على الاعراب ، واذا صار تابعا فى الحركة صار تابعا صار تابعا فى البناء للمضمر ، ولأنه خرج عن نظائره من المضافات إذ ليس منها ما يتبع غيره ، والعامل فى المضاف إليه الجر ـ المضاف وهو الاسم الاول ـ ولما كان هو الجار له وثبت أن الاسم لايعمل إلا بالحمل على غيره

كان محمولا على جاروذلك الجار لايكون إلاحرفا ،وهو ما ناسب وقوعه فى ذلك الموضع وهو (من) أو (اللام) ،فناب الاسم عنه وليس ثمة حرف تضمن الاسم معناه ،اذ لوكان كذلك لكان الاسم مبنيا .

وأما الفاء فانها تنبه على أن ما قبلها علة لما بعدها ويؤيد ذلك وقوعها فى جواب الشرط ،وقد تأتى رابطة لما بعدها بما قبلها ، وإلا شبه استعمالها هنا بمعنى التعليق وان لم توجد صيغته . (١)

ويذكر أن كلية اللغة العربية بالازهر الشريف اهتمت بهذا اللون من الدرس النحوى فى فترة ما قبل تطور الأزهر ، لتقرر فى نفوس أبنائها أصول النحو ومسائله بهذه الطريقة العلمية المستفيضة ،حيث تجمع لهم أشتاتا من المسائل النحوية فى موضوع واحد .

وقد نهض اساتذتها بهذا الدرس فكتبوا كتبا نافعة نهجوا فيها منهج العلامة الزمخشرى فى شرح هذه اللامية ،وان اختلفت النصوص التى دار حولها درسهم . (٢)

---

(١)الزمخشرى : أعجب العجب فى شرح لامية العرب ص١١ـ١٤

(٢) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ص٥٣

شواهده النحوية

محور البحث فى هذا الموضوع هو شواهده النحوية فى (كتاب المفصل) ومعها غيرها من شواهده النحوية فى كتبه الأخرى ،فحيث أن الموضوع شامل لذلك يتحتم الاشارة إلى نهجه فى الاستشهاد فى كتبه الأخرى فهو يستشهد فى مفصله بالقرآن الكريم ،والحديث الشريف ، ... والشعر والنثر ،من حكم وأمثال وأقوال مأثورة .

الشواهد القرآنية :

استشهد من القرآن الكريم بخمس وأربعين وثلاثمائة آية ،وهو فى استشهاده يسوق الجزء الذى يخص موطن الاستشهاد ،... سواء شمل ذلك الآية كلها ،أو جزء منها ،لذلك وجد أنه استشهد باثنتين و... وثلاثين آية كاملة ،وثلاثة عشرة وثلاثمائة جزء من آية .

وكان أحيانا يأتى من الآية بكلمة واحدة كتمثيله بقوله تعالى : " "فأطلع " فى مبحث(لعل) .(١) وأحيانا يأتى بكلمتين من الآية كاستشهاده بقوله تعالى " ثلاثة قروء " (٢) فى مميز الثلاثة إلى العشرة . (٣) .

استشهاده بالقراءات :

وهو لا يختلف بوجه عام عن النحاة السابقين ولا سيما البصريين في

---

(١) المفصل مع ابن يحيش، ٨ : ٨١ ــ ٩ : ٨٣، ١٣٦ ــ ١٠ : ٢، ٢٠، ١٤٧

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٥، ٣٥ ، ٥٨ ــ ٧ : ٨١، ٩٧ ، ١٢٦، ١٣٤، ٣٥
١٣٥ ــ ٨ : ٨٣ ٨٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٣١، ١٣٨

(٣) البقرة آية ٢٢٨

موقفهم من الاستشهاد بالقراءات ،فهو يستشهد بها ويرد طائفة منها ، ويضعّف أخرى ،ويلحّن بعض القراء ويرجح قراءة على قراءة وإليك بعض النماذج التى توضح صلة الزمخشرى بالقراءات قبل تناول هذا النوع من الشواهد :

– ينسب الزمخشرى بعض القراءات إلى أصحابها مثل قوله تعالى : " ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم " (١)

فهو يقول : وقرأ عبدالله بن مسعود "ولن تسأل ".وقرأ أبى "وما تسأل " ٠ (٢)

وفى قوله تعالى : " واذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه " (٣) قال : قرأ أبو حنيفة ،وهى قراءة ابن عباس " ابراهيمُ ربه " برفع ابراهيم ونصب ربه ، والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء ٠ (٤)

وفى قوله تعالى : " وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين " (٥) يقول : قرأ ابن عباس " وعلى الذين يطّوقونه فدية طعام مسكين " بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ٠ (٦)

وفى قوله تعالى : " وأتموا الحجَّ والعمرةَ لله " (٧) يقول : قرأ على وابن مسعود والشعبى " وأتموا الحج والعمرةُ لله " برفع العمرة

(١) البقرة آية ١١٩

(٢) الكشاف ط الحلبى ١ : ٧٢

(٣) البقرة آية ١٢٤

(٤) الكشاف الحلبى ١ : ٧٢

(٥) البقرة آية ١٨٤

(٦) الكشاف الحلبى ١ : ٨٨

(٧) البقرة آية ١٩٦

كأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب . (١)

فنراه في هذه الأمثلة المتقدمة يذكر القراءة وينسبها الى القارئ .

ـ وقد يأتي بأوجه القراءات دون ذكر أصحابها ، وأمثلة ذلك :

في قوله تعالى : " وأما ثمود فهديناهم (٢) قال : وقرئ بالنصب . (٣)

وفي قوله تعالى : " وما عملته أيديهم " (٤) قال : وقرئ ما عملت . (٥)

وفي قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " قال : وقرئ بالرفع والنصب . (٦)

والحاقا بالقراءات يذكر بعض المصاحف التي كانت تتمثل فيها بعض هذه القراءات .

ففي قوله تعالى : " وما هو على الغيب بضنين " (٧) يقول : وفي مصحف عبدالله بالظاء "بظنين" وفي مصحف أبي بالضاد .

ـ ويوازن بين القراءات :

يقول في قوله تعالى : " وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة

---

(١) الكشاف الحلبي ١ : ٩٢

(٢) سورة فصلت آية ١٧

(٣) ابن يعيش ٢ : ٣٣

(٤) سورة يس آية ٣٥

(٥) شرح ابن يعيش ٢ : ٢٩

(٦) المرجع السابق ٤ : ٢٣ ـ البقرة آية ٢١٩

(٧) سورة التكوير آية ٢٤

أصلها ثابت وفرعها في السماء " (١)

وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبٌ ثابت أصلها .

فان قلت : أى فرق بين القراءتين ؟

قلت : قراءة الجماعة أقوى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة . (٢)

ويقول في قوله تعالى : " من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه " (٣)

وقرئ " من يصرف " على البناء للفاعل ،ويجوز أن ينتصب (يومئذ) بيصرف انتصاب المفعول به ،أى لمن يصرف الله عنه ذلك اليوم وينصر هذه القراءة قراءة أبى (من يصرف الله عنه) (٤) .

وفي قوله تعالى : "مالك يوم الدين " عرض للقراءات المختلفة في لفظة (مالك) ثم اختار من بينها قراءة ملك بالكسر وعلل ذلك الاختيار بأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : (لمن الملك اليوم)ولقوله تعالى :(ملك الناس) ولأن الملك يعم ويخص . (٥)

- ويستشهد بالقراءات في النحو:

يقول في قوله تعالى : " ويمدهم في طغيانهم يعمهون " (٦)

من مد الجيش يمده ، وأمده ،اذا زاده بما يقويه ويكثره ، وكذلك مد الدواة وأمدها زادها بما يصلحها ، ومددت السراج والأرض

---

(١) سورة ابراهيم آية ٢٤

(٢) الكشاف الحلبى ٢ : ٥٠٤

(٣) سورة الأنعام آية ١٦

(٤) الكشاف الحلبى ٢ : ٧

(٥) المصدر السابق ١ : ١١

(٦) سورة البقرة آية ١٥

اذا استصلحهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وأمده،اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه .

فان قلت : لم زعمت أنه من المدد دون المد فى العمر والإملاء والإمهال ؟

قلت : كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن (ويمدهم) وقراءة نافع " وإخوانهم يمدونهم " .(١)

فهذا عند الإمعان فيه نجده من قبيل الاستشهاد بالقراءات فى الجانب النحوى الى الجانب اللغوى .

وفى قوله تعالى : " فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم (٢)

يقول : وهي فى القراءة متعدية ،ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله ، والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ،ويعضده قراءة ابن أبى عبلة (ضاءت) (٣)

- تخريجه لبعض القراءات :

ارتبطت نشأة النحو ارتباطا وثيقا بالقراءات فقد تتبع النحاة الأولون القراءات بالبحث العميق ،وهم لم يعتدوا بما خالف قوانينهم من القراءات الشاذة ،بل إن البصريين منهم على وجه الخصوص كانوا يردون القراءات التى لا تتفق ومنهجهم ،ولو كانت احدى القراءات المتواترة ،فيجهلون قارئها وينسبونه إلى الخطأ واللحن .

---

(١) الكشاف ط الحلبى ١ : ١٨٨

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشاف ١ : ٧٣

ذكر الزمخشري في كشافه عند قوله تعالي : "هؤلاء بناتي هُنَّ أطهرُ لكم ... " (١) أن ابن مروان قرأ " هن أطهرَ " بالنصب ، وضعفه سيبويه . وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ "هن أطهرَ" بالنصب فقد تربع في لحنه . (٢)

ولكن الزمخشري يسوق في تخريجه لهذه القراءة ألّا تكون (هن) فيها فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ و "بناتي هن " جملة في موضع خبر المبتدأ ،ويكون أطهر حالا . (٣)

وفي قوله تعالى : "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سواءٌ محياهم ومماتُهم ساء ما يحكمون " (٤)

يذكر أبو حيان أن حفصا وحمزة والكسائي قرأوا " سواء " بالنصب فوصف سيبويه بقراءة النصب بالقبح والرداءة .

وقرأ الجمهور " سواءٌ " بالرفع " ومماتُهم " بالرفع أيضا (٥)

ولم يقف الزمخشري مكتوف اليدين أمام قراءة النصب ، بل خرجها تخريجا ارتضاه أبو حيان ،فقد قال الزمخشري : والجملة التي هي " سواء محياهم ومماتهم ،بدل من الكاف ،لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ،ألا تراك لو قلت :أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا ،كما تقول : ظننت زيدا أبوه منطلق ... ثم عقب

---

(١) هود آية ٧٨

(٢) الكشاف الحلبي ٢ : ٢٨٣

(٣) المصدر نفسه

(٤) الجاثية آية ٢١

(٥) البحر المحيط ط ٨ : ٤٧

أبو حيان بقوله :وهذا الذى ذهب إليه الزمخشرى من إبدال الجملة من المفرد قد أجازه أبو الفتح ،واختاره ابن مالك . (١)

وهكذا يرفض الزمخشرى اعتراضا بصريا على قراءة يضعفها إمام النحاة ، ويخرّجها بما يتفق والأسلوب العربى الفصيح .

وقراءة حمزة فى قوله تعالى : " واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ " (٢) بجر الارحام . قال عنها المبرد : " لا تحل القراءة بها " (٣) مع أن هذه القراءة مروية عن آخرين مثل شريك بن عبدالله والأعمش وابراهيم النخعى . (٤)

وسبب تضعيف هذه القراءة هو العطف على الضمير المخفوض ،وقد وافق الزمخشرى النحاة على هذا الضعف ،ولكنه فى تعبيره كان أكثر لينا من المبرد الذى يحرم القراءة بها ،لكن الزمخشرى يقول : " وقراءة حمزة ،والأرحام بالجر ليست بالقوية " (٤)

فهو فى تعبيره هذا يجيز القراءة بها على ضعفها ولا يحرمها ثم أنه لايصرح بهذا الضعف تصريحا .

وهكذا يتبين أن الزمخشرى يجتهد فى أخذه بالقراءات أو ردّه لها .

- اتجاهه إلى معارضة القراءات :

تبين أن البصريين النحاة ،كانوا يقبلون من القراءات ما يوافق

---

(١) البحر المحيط ٧: ٤٧

(٢) النساء آية ١

(٣) ابن يعيش ٣: ٧٨

(٤) المرجع السابق

مذهبهم الذي يغلب عليه القياس ، والزمخشري ينهج نهجهم في ذلك ، ولكنه يجتهد رأيه في نعتها بالغرابة ، أو الرداءة ، أو التعسف ، أو اللحن ، أو عدم الفصاحة وإن كان لم يعبر عنها بالشذوذ .

وأحيانا ينسب الخطأ الى نقلة القراءة لا إلى القراء أنفسهم .

ولعل الزمخشري كان صريحا واضحا في تعبيره فى نعت القراءة ببعض ما تقدم ، مما أثار عليه حفيظة بعض العلماء ، كأبى حيان النحوى وهذه بعض النماذج التى أعلن رأيه . فيها صريحا :

ففي قوله تعالى : " فأمتعه قليلا ثم أضطره " يسوق قراءة ابن محيصن " ثم أطّره " بادغام الضاد في الطاء ثم يصفها بأنها لغة مرذولة . (١)

وعند قوله تعالى : " نخسف بهم " يقول بأنه قرئ بادغامها في الباء " ، وهو ضعيف . (٢)

وقال فى قوله تعالى : " ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى " وقرئ بمصرخى ، بكسر الياء وهى ضعيفة . (٣)

وقال فى قوله تعالى : " لا تقصص رؤياك على إخوتك " : وسمع من الكسائى " رُيّاك " بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة . (٤)

ومن القراءات التي طال حولها الجدل قراءة عبدالله بن عامر اليحصبى " وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم " برفع قتل ونصب أولاد ، وجر شركاء على إضافة القتل إلى الشركاء

---

(١) الكشاف الحلبى ١ : ٧٣
(٢) المفصل مع ابن يعيش ١٠ : ١٤٦
(٣) الكشاف ٢ : ٥٥١
(٤) الكشاف ٢ : ٤٤٤

والفصل بينهما بغير فصل بالظرف ، وهذا الفصل غير جائز فى أصول المذهب البصرى . (١)

وقد أنكر الزمخشرى هذه القراءة ، وقال فيها : أما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورة لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد . زج القلوص أبي مزادة . (٢)

ويتصدى أبو حيان للرد على الزمخشرى بقوله : " ولا التفات الى قول الزمخشرى ، وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة " .

ويشير استاذنا الدكتور ابراهيم رفيدة الى من استنكر قراءة ابن هذه من المتقدمين على الزمخشرى مثل : الفراء ، والزجاج ، والنحاس والطبرى . كما يؤكد أن قول الزمخشرى ذلك أخذه من (معانى الفراء) وان اختلف التعبير . (٣)

ولعل هجوم أبى حيان على الزمخشرى كان تقايدا لشيخه ابن المنير (٤) الذى وجه للزمخشرى أشد النقد . (٥)

وكان اتهامه منبعثا من ظنه أن القراءة عند الزمخشرى تثبت بالرأى لكن الواقع أن هذا لم يصح عن الزمخشرى ، بل هو ينسب الخطأ الى قلة ضبط الرواة ، ويقول : ان سبب قلة الضبط ، هو قلة ضبط الدراية ولا يضبط مثل هذا الا أهل النحو . (٦)

---

(١) الانصاف ٢ : ٤٣١
(٢) الكشاف ٢ : ٥٤
(٣) النحو وكتب التفسير ١ : ٧٦٥
(٤) المرجع السابق ١ : ٧٦٦
(٥) المرجع نفسه ١ : ٧٦٥
(٦) الكشاف ١ : ٤٣٠

فليس هناك دليل لابن المنير على أن الزمخشري تثبت عنده القراءة بالرأى .

وليس معنى هذا أن الزمخشري كان مقلدا للفراء أو غيره من المتقدمين في نقد أية قراءة بل سبق في هذا البحث أنه اجتهد في تخريج قراءات تعرضت للنقد من جانب النحاة أنفسهم ،وأيده أبو حيان في بعض آرائه تلك . (١)

شواهده بالحديث الشريف :

استشهد الزمخشري بالحديث الشريف في سبعة مواطن في مفصله كما استشهد في غيره من كتبه الأخرى ،وهو بذلك يخالف أكثر من سبقه من النحاة .

أما بعض النحاة من المتأخرين فإنهم يستشهدون بالحديث الشريف وقد ادعى بعض الباحثين المحدثين أن أول من قال بالاستشهاد به هو ابن خروف (ت٦١٠) ثم من جاءوا بعده كابن مالك (ت٦٧٢) وابن هشام (ت٧٦١) ... وغيرهم .

والحق أن الزمخشري ينبغي أن يوضع في أوائل من استشهدوا به

(١) انظر ص٩٨ من هذا البحث

بالحديث النبوى فى اللغة والنحو فقد أفاد من الحديث فى كثير من شواهده وأمثلته ، وهو بذلك يخالف جمهور النحويين البصريين والكوفيين واليك بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

— جاء في المفصل أن حيّهل وحيهل ،وحيّهلاً ،جاء معدّى بنفسه ،وبالباء ،وبإلى ،وبعلى ،وفي الحديث : " اذا ذكر الصا لحون فحيهلا بعمر " (١)

— وفيه أيضا أن اسم التفضيل يفرد أو يطابق إذا أضيف إلى معرفة وأنه قد اجتمع الوجهان في قوله عليه الصلاة والسلام : " ألا أخبركم بأحبكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقا ،الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم الىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ؟ أساوئكم أخلاقا ،الثرثارون المتفيهقون " (٢)

— وفي إضمار المصدر جاء فى المفصل : ومن إضمار المصدر قولك عبد الله أظنه منطلقا ،تجعل الهاء ضمير الظن ،كأنك قلت : عبد الله أظن ظنى .. منطلق ،وما جاء فى الدعوة المرفوعة " واجعله الوارث منا " محتمل عنده أن يوجه على هذا. (٣)

— وجاء فيه : وقد يثنى الجمع على تأويل الجماعتين ، والفرقتين ، أنشد أبو زيد :

• لنا إبلان فيهما ما علمتم •

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ٤٥

(٢) المصدر السابق ٣ : ٧

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٢٣

وفى الحديث : " مثل المنافق كالشاة العاثرة بين الغنمين " (١)

— ومن استشهاداته في اللغة ما جاء فى المفصل من إبدال الواو المفتوحة همزة ،ومنه أحّد أحّد فى الحديث ، أى وحّد وحّد . (٢)

— واستشهد فى أحاجيه على إبدال الحرف من الحرف بقوله صلى الله عليه وسلم : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" و ميد أنى . (٣)

— واستشهد بحديث النمر بن تولب إبدال بنى طيء لام التعريف ميما فى قوله صلى الله عليه وسلم " ليس من امبر امصيام فى ا مسفر" (٤)

— وفي أعجب العجب في قول الشاعر :

فاما تريني كابنة الرمل ضاحيا على رقة أحفى ولا أتنعل

قال : ضاحيا ،بارزا ،ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " أضحى لمن أحرمت له " (٥)

— وفيه أن نون (مِنْ) اذا دخلت على ما أوله همزة وصل ، وليس في المصاحبة للام التعريف كسرت ، فتقول : مِنِ ابنك بكسر النون وفى الحديث : " وشققت لها اسما مِنِ اسمي " (٦) بكسر نون من .

— وفيه أيضا الصبر : حبس النفس على الجزع وقد صبر فلان عند المصيبة ،وصبرته حبسته ،وفي "في رجل أمسك رجلا وقتله آخر " اقتلوا

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ١٥٣

(٢) المصدر السابق ١٠ : ١٤

(٣) الأحاجى النحوية ص٢٦

(٤) المصدر السابق ص٤٥ — المفصل مع ابن يعيش ١٠ : ٣٣

(٥) أعجب العجب ص٥٧

(٦) المصدر السابق ص٢٠٤

القاتل ، واصبروا الصابر" أي احبسوا الذى حبسه حتى يموت . (١)

- وفيه يقول في شرح البيت :

همت وهمت وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارط متمهل

الفارط : المتقدم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "انا أفرطكم"

أي أنا متقدمكم لأصلح لكم . (٢)

- وفي الكشاف ، إن جملة البسملة متعلقة بفعل محذوف تقديره أقرأ

لا باسم ، ويقدر الفعل مؤخرا مناسبا لما جعلت البسملة مبتدأ له ،

فيقدر باسم الله أقرأ ،باسم الله آكل ،باسم الله أرتحل ، ويؤيده الحديث

الشريف " باسمك ربي وضعت جنبي " (٣)

- وفي الكشاف في قوله تعالى : " وأولو العلم قائما بالقسط لا

اله إلا هو العزيز الحكيم " (٤) يقرر أن المنتصب على المدح يكون معـ

معرفة ويكون نكرة معتمدا على الحديث الشريف " إنّا معشر الأنبياء .

لا نورث " في كونه معرفة ،وعلى شاهد سيبويه - في كونه نكرة - حين أ

أنشد قول الهذلي :

ويأوى إلى نسوة عطّل وشعثاً مراضيعَ مثلَ السَّعالى (٥)

لعل في هذه النماذج ما يكفي دليلا علي استشهاد الزمخشري

بالحديث الشريف على اللغة والنحو .

---

(١) أعجب العجب ص٥٧ ، ٥٨

(٢) المصدر نفسه ص٥١

(٣) الكشاف ١ : ٢٢

(٤) آل عمران آية ١٨

(٥) الكشاف ١ : ٤١٧

واستشهد باللغة من شعر ونثر .

استشهاده بالشعر :

واستشهد في مفصله بتسعة وخمسين وأربعمائة بيت من الشعر منها سبعة عشر ومائتا بيت كاملة ، واثنان وأربعون ومائتا جزء من بيت يقتصر فيها على موطن الاستشهاد .

فهو يأتي بصدر البيت أو بعجزه ، وقد يأتي بجزء من أحدهما أو منهما معا ، فالأمثلة بصدر البيت و عجزه تملأ الكتاب ، أما استشهاده بجزء بيت فمنه قول الشاعر :

• عدّت عليه بزوبرا .

وهو جزء من عجز بيت للطرمّاح يستدل به على أن زوبر اسم للكلية . (١)

ومن استشهاده بجزء بيت من الصدر قوله :

• أرسلها العراك .

مثل به للحال وصاحبها . (٢)

ومن تمثله بجزء بيت مأخوذ من الصدر والعجز قول الشاعر :

• وعواقدٌ حبكَ النطاق .

استشهد به في أن اسم الفاعل يثنى ويجمع مصححا أو مكسرا فيعمل عمل المفرد في نصب المفعول . (٣)

ونسب الزمخشري من شواهد كتابه الشعرية أربعة وستين ومائة بيت لقائلها ، وسكت عن نسبة الباقي .

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٣٧ ، ٨١ ـ ٢ : ١١١ ـ ٣ : ٢٥١٩ ، ٣٧

(٢) المصدر السابق ٢ : ٦٢ ، ٤ ـ ٣ : ٥٦ ، ١١٤

(٣) المصدر نفسه ٦ : ٧٤

استشهاده بالنثر :

واستشهد بالنثر العربي من : روايات ،وأمثال ،وأقوال مشهورة

- فمن تمثيله بالروايات :

فتح همزة (إن) في قوله تعالى "إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير " اذ روى أن الحجاج فتح همزة إن ،فاسقط اللام فقال : "أن ربهم بهم يومئذ خبير " (١)

وفي حذف ألف (أما) استدل بكلام الهجرس بن كليب في حكاية " أم وسيفي ، وزريه ،ورمحي ونصليه ،وفرسي وأذنيه ،لا يدع الرجل قاتل أبيه ، وهو ينظر اليه " (٢)

واستشهد على مجيء (لما) بمعنى (الّا) برواية عمر بن الخطاب " عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا " (٣)

وفي قلب الف (ما) الاستفهامية هاء ،رواية أبي ذؤيب قال :
"قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا بالإحرام فقلت مه ؟ فقيل : هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

- ومن استشهاده بالأمثال :

مثّل لفاعل فعل مضمر بقولهم : " لو ذات سوار لطمتني " أي لو ثبت . (٥)

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ١١٦

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٧٠

(٤) المفصل ٤ : ٦ ـ ٢ : ١٠٣٩٦ ـ ٣ : ٥٤٣١ ، ٩٨ ـ ٨ : ٧٨

(٥) المفصل ١ : ٨١

ومن أمثلته في أفعل التفضيل : " أفلس من ابن المذلق " "وأحمق من هبنقة " (١) وقوله : "أشغل من ذات النحيين " و " آبل من حنيف الحناتم " (٢)

– ومن أمثلته بالأقوال المشهورة :

استدل على التزام حذف الخبر بقولهم : " أكثر شربي السويق ملتوتا . " (٣)

ومن المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة قولهم : " خير مقدم ، مواعيد عرقوب ، غضب الخيل على اللجم ،...." (٤)

وفي التحذير مثل بقولهم : " كل شيء ولا شتيمة حر " على تقدير آت كل شيء " .

– وكان يستشهد بكلام العرب الفصحاء شأنه في ذلك شأن سائر النحاة ، كما كان يستأنس بما يسمعه من الأعراب في زمنه للوصول الى معنى أو اثبات حكم . فهو يستدل بكلام أعرابي حاضر حلقة علمه فيقول : انه كان يسمع منه الحديث بمكة ، فسأل بعض السمحاء عن قول نائحة عمر – رضي الله عنه – ماذا لقينا بعدك من الأنكد ؟ فقال أعرابي من وراء الحلقة : الأنكد الشديد . (٥)

– ويذكر في الكشاف أن العرب يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٩ : ٢

(٢) المصدر السابق ٦ : ٩٤

(٣) المصدر نفسه ١ : ٩٥

(٤) المفصل ٧ : ١١٣

(٥) مقامات الزمخشري ص١١١

وهو مركب خفيف ليس بفى ثقل محامل العراق ، فسأل رجلا في طريق الطائف عن المحمل العراقي ما اسمه ؟ فقال له : أليس ذلك اسمه الشقدف ؟ قال : بلى . قال الرجل : هذا اسمه الشقنداف ، فأخذ من هذا أنه زاد في بناء الاسم لزيادة المسمى . (١)

— واستأنس بأشعار بعض شعراء العربية من المولدين ممن لا يحتج بشعرهم من أمثال : أبو تمام ، والمتنبى ، والبحترى ، بحيث يبدو ذلك سمة بارزة في مصنفاته .

فقد تمثل في غير موضع من كتبه لأبى تمام ، والبحترى ، وابن الرومى وأبى الطيب المتنبى وقد فسر بعض الدارسين هذا الموقف من الزمخشرى بأنه متابعة منه لموقف سابق لأبى على الفارسى حين احتج ببيت للمتنبى مجاملة لسيف الدولة . هو قوله :

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولا (٢)

ولعل الصحيح أن أبا على ذكر هذا البيت من باب التمثيل ، لا من باب الاحتجاج . (٣)

واستشهد الزمخشرى ببيت لأبى فراس الحمدانى هو قوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أشاطرك الهموم تعالى

وقد لحن الشاعر في قولـــه : (تعالى) بالكسر ، ولكن ذكر الشيخ السجاعي في حاشيته على قطر الندى أن هذا التلحين لم يرتضه الزمخشرى ، وليس مراد الزمخشرى الاستدلال على الكسر بهذا الشعر ،

---

(١) الكشاف ١ : ٤١

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٦٢

(٣) أصول التفكير النحوى ص ١٢٨

لأنه لمولد لا من كلام العرب بل للاستئناس فاندفع ما اعترض به عليه .(١)

فرأى الزمخشرى أن شعر المولدين من أمثال أبى تمام (ت٢٣١هـ) لايستشهد به فى اللغة والنحو لاشتراط الفصاحة وسلامة السليقة ،ولكنه يرى أن التمثيل بكلامهم للثقة فيهم بصفتهم علماء من علماء العربية ورواة الشعر فيجعل ما يقولونه بمنزلة ما يروونه .

فيقول عن شعر أبى تمام ": " وهو وإن كان محدثا لايستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيكتفون بذلك لوثوقهم بروايته و واتقانه ؟ " (٢)

فهو بهذا لايخرج عن الخط الذى رسمه علماء العربية فى الاستشهاد وما تمثيله واستشهاده إلا عن وعى ، وإدراك بما عليه هؤلاء العلماء . ويتبين من قوله السابق : الدليل عليه بيت الحماسة ..الى آخره أنه يأتى بكلام المولدين للتمثيل لا للاستشهاد ،فهو يوضح بذلك قاعدة مستقرة .

---

(١) حاشية السجاعى على قطر الندى ص١٦

(٢) الكشاف ١ : ٨٦

خصائص أسلوبه

الخصائص الأسلوبية جزء من المنهج ،ولهذا تناولتها في هذا الموطن .،والملاحظ على أسلوب الزمخشرى هو مجاراة علماء عصره ،الذين يغلب عليهم المحسنات المتكلفة من سجع وجناس وطباق ومقابلة "،والسجع بخاصة يقدم به أكثر كتبه سواء كانت لغوية أم أدبية ،وهناك من كتبه ما قام على السجع مثل : الأحاجى النحوية والمقامات ونوابغ الكلم وأطواق الذهب .

والسجع بدأ يحتل مكانته بين الأدباء والكتاب منذ القرن الثالث ثم أخذ يفقد مكانته قليلا قليلا مما دفع الزمخشرى نفسه أن يبدى ملاحظته على السجع فى مقدمة كتابه (المقامات) اذ يقول : " لتعلم أن ما سماه الناس البديع من تحسين الألفاظ ،وتزيينها بطلب الطباق فيها والتجنيس ،والتسجيع والترصيع ،لا يملح ولا يبرع حتى يوازى مصنوعه مطبوعه ،وإلا فما قلق فى أماكنه ،ونبا عن مواقعه ،فمنبوذ بالعراء ، مرفوض عند الخطباء والشعراء " (١)

فهو يمقت الصنعة فى الاسلوب ،ويحاول أن يجعل سجعه كالمطبوع وإن لم يكن دائما على هذا السمت وسأعرض بعض أساليبه مبتدئا ببعض مقدمات كتبه ،ثم أقدم نماذج من كتبه المختلفة ليتضح مدى محافظته على المحسنات المطبوعة .

ـ يقول في مقدمة المفصل : " الله أحمد على أن جعلنى من علماء العربية ،وجبلنى على الغضب للعرب والعصبية ،وأبى لى أن

---

(١) مقامات الزمخشرى المقدمة ص٣

أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ،وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز "(١)

- وفي مقدمة أعجب العجب يقول : " سبحانك اللهم وبحمدك معرب الافهام بقيد الأفهام ،مرشح جواهر البيان بقيد التبيان لا الاعجام مطلع كنوز القرآن العظيم ،بفهم العربية والبيان العميم تنزه عموم صفاتك عن الحال والتمييز ،وتقدس كنه جلالك عن الادراك بل إلى التعجيز "(٢)

- ويقول : هذه نكتة قذفتها خواطر خاطرى ، وفائدة جردتها نواظر ناظرى ،وعقد توسط بين دررف الجواهر ،وروض تبسم بين الزهور النواضر ...(٣)

من هذه النماذج يبدو لنا ما عليه الزمخشرى من تكلف فى المحسنات ،فهو بادى التكلف في قوله : " خاطر خاطرى ،ونواظر ناظرى "،ولعل فى قوله أمتاز وأنحاز قبولاأكثر .

ويلاحظ في معظم مقدمات كتبه وجود هذا النوع من السجع .

أما كتبه الأخرى فمنها :

- يقول فى كتابه الأحاجي : "أخبرنى عن واحد في معنى اثنين وعن حركة فى حكم حركتين " ويقول : " أخبرنى عن فصل ليس بين المعرفتين فاصلا ،وعن رب على المعرفة داخلا " و "أخبرني عما ينصب ويجر وهو رفع وعما تدخله التثنية وهو جمع " (٤)

فسجعه هنا يكاد يكون طعم ما في الألغاز ،وان كان فيه شئ من الثقل .

---

(١)المفصل مع ابن يعيش ١ : ٢

(٢)أعجب العجب المقدمة ص١٠

(٣)المصدر السابق

(٤)الأحاجى : مسألة ٩ ، ١٠، ١١

- وفي مقامة العمل يقول : " يا أبا القاسم : لا تسمع لقولهم فضل مبين ، وأدب متين ، واسم في المهارة بهما شهير ، وصيت في أكفائهما جهير " (١)

- وفي مقامة النحو : " يا أبا القاسم : أعجزت أن تكون مثل همزة الاستفهام إذ اتخذت عنها ضعفها في الكلام ، ليتك شبهتها متقدما في الخير مع المتقدمين ، ولم تشبه في تأخرك حرف التأنيث والتنوين " و يقول : " اثبت على دين الحق الذي لا يتبدل ولا يحول ثبات الحركة البنائية التي لا تزول " (٢)

- ومن كتابه نوابغ الكلم :
وكل هذا الكتاب يقوم على الحكم المسجوعة .
يقول فيه : " اذا قلت الأنصار كلت الأبصار " و "قد جمع الأصل والفرع من تبع العقل والشرع " و " رب صدقة من بين فكيك خير من صدقة من بطن كفيك " و " رب كلمة هي عند الناس فصيحة وهي عند الله فضيحة " و : "لا تمش بالريبة مهينما ، ولا تنس أن عليك مهيمنا " (٣)

- ومن كتابه أطواق الذهب يقول : " يابن آدم أصلك من صلصال كالفخار ، وفيك ما لا يسعك من التيه والافتخار ، تارة بالأدب والجد وتارة بالأب والجد ما أولاك بألا تصعر خديك ، ولا تفتخر بجديك ، تبصر خليلي مم مركبك ، وإلام منقلبك ، فخفض من غلوائك ، وخل بعض خيلائك . (٤)

فالحكم التي صاغها في هذين الكتابين هي في سجعها ... ومحسناتها أحرى من سواها بالقبول .

---

(١) مقامات الزمخشري ص ١٠٨
(٢) المرجع السابق ص ١٩٥
(٣) الزمخشري ص ٢٧٥
(٤) المرجع السابق ص ٢٨١

الايجـــاز :

ويظهر الإيجاز في أسلوب الزمخشري واضحا في التعريفات ، فهو يعرف الاسم مثلا بقوله : " هو ما علّق على شئ بعينه غير متناول ما أشبهه " وهذه طبيعته التعليمية .

ثم يكتفى بشرحه عن طريق التمثيل كقوله : " ولا يخلو من أن يكون اسما كزيد وجعفر ،أو كنية كأبى عمرو وأم كلثوم ،أو لقبا كبطة وقفة " ودون توضيح لشئ منها يقسمه إلى مفرد ومركب ومنقول ومرتجل ،ثم يمثل لذلك . ويسير على هذا النمط حتى آخر الكتاب . (١)

ـ ومن إيجازه الدخول في الموضوع دون تعريف أحيانا كما يقول في البدل : " هو على أربعة أضرب : بدل الكل كقوله تعالى : "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " (٢) وبدل البعض من الكل ، كقوله رأيت قومك أكثرهم وثلثيهم " (٣)

وقد تدفعه شدة الاختصار إلى بعض الغموض كحديثه عن الجملة الحالية ،إذ يقول حين يقسمها إلى اسمية وحالية : " إما أن يكون فعلها مضارعا أو ماضيا ،فان كان مضارعا ،لم يخل من أن يكون مثبتا أو منفيا فالمثبت من غير واو ،وقد جاء في المنفي الأمران ، وكذلك في الماضى ، ولا بد معه من " قد ظاهرة أو مقدرة " (٤)

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٢٧ ، ١٢٤ ـ ٢ : ٥٥ ، ٧٥ ـ ٣ : ٣٨ ، ٣٩

(٢) الفاتحة آية ٦

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٦٤

(٤) المفصل ٢ : ٦٥

فهو يقرر بذلك مجموعة من القواعد المختلطة دون أن يأتي لها بمثال واحد .

والملاحظ أن إيجازه يدفعه إلى عدم الاهتمام باخراج المحترزات بل يترك التعريف على طبيعته دون قيد .

الاجمال ثم التفصيل :

في كل أبواب المفصل كان يسرد الفصول مجملة ثم يأخذ في التفصيل فصلا فصلا ، أو موضوعا موضوعا ، حسب مسرده السابق فهو يذكر المبنيات مجملة في قوله : " المضمرات ، وأسماء الشارة ، والموصولات ، وأسماء الافعال ، والأصوات وبعض الظروف ، والمركبات والكنايات ..." (١)

ثم يأخذ في التفصيل على الترتيب نفسه فيبدأ بالمضمرات ، ويليها الاشارة ... ويسير عليها مرتبة كما بدأها على طريقة ... اللف والنشر المرتب .

— ويقول عن العلم (٢) : " هو ينقسم الى مفرد ومركب ، ومنقول ومرتجل ثم يذكر المفرد ، فالمركب ، فالمنقول ، فالمرتجل .

— وهو عند تقسيم الجنس إلى أنواعه ، يذكر جميع الأنواع ، ثم يشرع في شرحها والتمثيل لها على الترتيب السابق وان دل هذا على شيء فانما يدل على دقة فكره وترتيبه .

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٨٣

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٧

الإطناب في أسلوب الزمخشرى :

إذا كان أسلوبه في المفصل يتسم بالإيجاز ،فلعله على عكس ذلك فى الكشاف .

فمن وجوه إطنابه ما يلجأ إليه من تقرير المسائل على وجه المحاورة فى صيغة سائل ومجيب ،فمن أمثلة ذلك :

- يقول في قوله تعالى : " الم "

فان قلت : من أى قبيل هي ، من الأسماء المعربة أم المبنية ؟

قلت : بل هي أسماء معربة .

فان قلت : فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء ،وياء ،وهاء ؟ وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك (لا) مقصورة ،فاذا جعلتها اسما مددت فقلت : كتبت لاء ؟

قلت : هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل .

فان قلت : قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم ،وأنها من قبل المعربة ، وأن سكون اعجازها عند الهجاء لأصل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور ؟

قلت : فيه أوجه ثم أخذ يفصل هذه الأوجه ويناقشها وجها وجها .(١)

ويقول في قوله تعالى : " فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم "(٢)

فان قلت : هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله : فلما أضاءت ؟

قلت : ذكر النور أبلغ ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة .

(١) الكشاف صادر بيروت ١ : ٢١

(٢) البقرة آية ١٧

فلو قيل : ذهب الله بضوئهم ،لأوهم الذهاب بالزيادة ،وبقاء ما يسمى نورا ،والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ،ألا ترى كيف ذكر عقيبه "وتركهم فى ظلمات " (١)والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه • (٢)

فنلحظ في أسلوبه هذا أنه أسلوب تقريرى تعليمى وفيه توسع فى شرح المفردات ،ويتعرض للكلمة من حيث المعنى ،والقراءة ويلجأ الى اشتقاقها وردها إلى أصلها •

ـ وفي مقاماته : " وان تكرر على مسامعها السور التى تروع وتروّع والآيات التى تقرع وتقدع " (٣)

يقول فى شرح هذا القول : القدع الكف • يقال قدع فرسه باللجام اذا كبحه ،وقدع الرجل : كفّه عن مراده •واذا هم الفحل الذى ليس بنجيب أن يقرع نجيبة قدع أنفه بالعصى ليكف عنها فمن ثم قالوا للخاطب الشريف هو الفحل الذى لا يقدع أنفه •

ويروى أن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ،أبا خديجة ـ رضى الله عنها ـ أفاق من سكره ،فرأى أثر العرس ،فقال :ما هذا الخبير وما هذا العبير ، وما هذا العقير ؟ فقيل :إن محمد بن عبد الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ خطب خديجة • فقال : ذلك فحل لا يقدع ومن الاستعارة قولهم قدع الخمسين سنة اذا جاوزها • (٤)

---

(١) البقرة آية ١٧

(٢) الكشاف ٢: ٢٦٠

(٣) الكشاف ٣: ١٢٤

(٤)الزمخشرى : لباب اللغة ص ٢٥

فمن جملة ما تقدم ،نرى أنه يلون أسلوبه من نحو وصرف . ولغة وبلاغة حتى أنه يعرض لبعض الحكايات إذا كانت توضح معنى يؤيد رأيه

– وأحيانا يوغل فى الاطناب بل يستطرد في دروب شتى :

يقول فى تفسير قوله تعالى : " أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار " (١) الجنة البستان من النخل ،والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه ،قال زهير :

• تسقى جنة سحقا •

أى : نخلا طوالا ،والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر الجنّ اذا ستره ،كأنها سترة واحدة لفرط التفافها ،وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان •

فان قلت : ما معنى جمع الجنة هذه وتنكيرها ؟

قلت : الجنة اسم لدار الثواب كلها ،وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين ،لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان • (٢) ثم يستطرد في الحديث حول الجنة ووجودها ودرجاتها •

– وفى مقامة الخشية يشرح قوله " الطائر يحمى بيضته ويرفرف عليها " ضرب مثلا لمن يذب من الانسان عن حوزته ،وحقيقته ، فيقال : فلان يحمى بيضته ، ولو قيل فلان يرفرف بجناحه على بيضة الاسلام لكان مجازا مرشحا •

---

(١) البقرة آية ٢٥

(٢) الكشاف ١ : ٢٥٧

وفي قوله : " أذل من بيضة البلد " يقول : هي بيضة النعامة وأضيفت إلى البلد وهي المفاوة لأنها تباشر فيها ، وأمها تتركها فتحضنها أخرى فضلما كانت متروكة من ناحية ، محضونة من آخرى وصفت بالعزة والذلة فقيل :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان قدما يسمى بيضة البلد

والقائل أخت عمر بن ود ... في علي — رضي الله عنه — وقتله أخاها وقيل إن أبا نضلة ليس من أحد مثل أباه ، فهو بيضة البلد .
وقيل المراد بالبيضة التي هي مثل في الذل : الكمأة البيضاء ، لأن الأرض تبيضها ، أو تشبيها بالبيضة في قولهم : أذل من فقع بقرقر .(١)

— ومن سمات الاطناب في أسلوب الزمخشري تقليب الجملة على ما تحتمله من أوجه فلا يكتفي فيها بوجه واحد ، ولم يكن هو أول من قلب الكلام على ما يحتمل من وجوه ولكن ... بالغ في ذلك حتى صار سمة بارزة في دراساته بحيث يمكن أن يعد هذا من خصائص أسلوبه .
من ذلك ما جاء في قوله تعالى : " الم ذلك الكتاب لا ريب فيه "(٢) حين يقول : فان قلت : أخبرني عن تأليف (ذلك الكتاب) مع (الم) . قلت : إن جعلت (الم) اسما للسورة ففي التأليف وجوه : أن يكون (الم) مبتدأ ، وذلك مبتدأ ثانيا ، والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول .

---
(١) شرح مقامات الزمخشري ص١٥
(٢) البقرة آية ١

ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا ، كما تقول : هو الرجل أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال ، وكما قيل :

• هم القوم كل القوم يا أم خالد •

وأن يكون الكتاب صفة ، ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون (الم) خبر مبتدأ محذوف أى هذه (الم) ويكون (ذلك) خبرا ثانيا أو بدلا ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون هذه (الم) جملة وذلك الكتاب جملة أخرى •

وان جعلت (الم) بمنزلة الصوت ، كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب ، أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل • أو الكتاب صفة والخبر ما بعده ، وقدر مبتدأ محذوفا أى هو — يعنى المؤلف من هذه الحروف — ذلك الكتاب • (١)

المساواة :

وكما أن في أسلوب الزمخشرى الإيجاز حتى الإخلال فى بعض المناطق ، والاطناب حتى الاستطراد فى مناطق أخرى ، فاننا نلمس فى أسلوبه المساواة ، فمن ذلك :

— يقول فى قوله تعالى : " فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر " (٢) المعتر : المعترض بغير سؤال ، القانع الراضى بما عنده ،

---

(١) الكشاف : ١ : ١١١
(٢) الحج آية ٣٦

وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة .

والمعتر : المعترض بسؤال ، وقرأ الحسن المعترى ، وعرى الشىء وعراه واعتراه ، بمعنى .

وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير ، يقال قنع فهو قنع وقانع . (١)

— وفي قوله تعالى : " ذهب الله بنورهم " (٢)

يقول : الفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ، ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه ، وذهب السلطان بماله أخذه — فلما ذهبوا به — ، — أذن لذهب كل إله بما خلق — ومنه ذهبت به الخيلاء ، والمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له ، فهو أبلغ من الاذهاب . (٣)

— وفي مقامة الارعواء يقول : الرنو ، دوام النظر ، ومنه كأس رنوناه دائمة الدور ، وعين رانية ، وعيون روان ، والوقف باثبات الياء فيما لا ينون كالوقف بحذفها فيما ينون ، أعنى أن الفصيح هذا القاضى ، وهذا قاض . (٤)

---

(١) الكشاف ٣ : ١٥

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشاف ٣ : ٥٤

(٤) مقامات الزمخشرى ص ٢٤

مآخذ على الزمخشرى

لا ينكر أحد فضل الزمخشرى على اللغة والأدب ،وعلوم الدين ، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء . ولا يعنى هذا أنه يخلو من بعض المآخذ التى يتعرض لها جلة العلماء ،واذا كنت لاحظت بعض المآخذ حسب اجتهادى ، فهذا ليس معناه الإقلال من الدرجة العلمية السامقة التى يتمتع بها ذلك الامام .

فما أخذ على الزمخشرى ما يأتى :

ـ هو لا يتابع بعض النصوص الشعرية للتأكد من عدم وقوع تحريف فيها ،ولعله إلى جانب هذا قد اختلط عليه ترتيب النظم فى بعض الأبيات هذا فضلا عن نسبة بعض الأبيات لغير قائلها ،وهذا المأخذ يوجد عند الكثيرين من العلماء لذا نجد للبيت الواحد أحيانا أكثر من نسبة .

ـ أما بعض الأبيات التى ذكر بها بعض التحريف فى مفصله فمنها :

قول النابغة الجعدى :

. ألا أبلغا ليلى وقولا لها هلا . (١)

وابن يعيش يقول : . ألا حييا ...

ـ وقول لبيد :

. فأصبحت أنى تأتها تلتبس بها . (٢)

وقال الشارح : فأصبحت أنى تأتها تشتجر بها .

---

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤: ٤٧

(٢) المصدر السابق ٤: ١٠٩

وقول العباس بن مرداس : (١)

اذا ما دخلت على الرسول فقل له   حقا عليك اذا اطمأن المجلس

وقال الشارح : والصواب اذا ما أتيت ...

وقول الأسود بن يعفر :

وقبلى مات الخالدان كلاهما   عميد بنى حجوان وابن المضلل (٢)

قال الشارح : والصواب ، فقبلى مات ...

وقول طرفة :

أبنى لبينى لستم بيد   الا يدا ليست لها عضد (٣)

قال ابن يعيش : يا بني لبينى لستما لأب .

ـ ومما اختلط عليه فيه ترتيب النظم فيه بيت الجميح .

حاشا أبى ثوبان إن به   ضنا عن الملحاة والشتم

فرده الشارح وقال إن فى البيت تخليط ، وذلك أنه ركب صدره على عجز غيره . وترتيبه مع البيت الذي بعده :

حاشا أبى ثوبان إن أبا   قابوس ليس ببكمة فدم

عمرو بن عبدالله ان به   ضنّا على الملحاة والشتم (٤)

ـ ومن الأبيات التى لم ينسبها قول الشاعر :

جياد بنى بكر تسامى   على كان المسومة العراب (٥)

---

(١) المفصل ٤ : ٩٧

(٢) المصدر السابق ٢ : ٤٦

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٩

(٤) المفصل ٧ : ٩٨

(٥) المرجع السابق

وقوله :

• كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم • (١)

وقوله :

وكيف لنا بالشرب إن لم يكن لنا دراهم عند الحانوى ولا نقد (٢)

ـ ومما نسبه من الشعر إلى غير قائله :

لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيّان والآس (٣)

فقد نسبه الزمخشرى لعبد مناف الهذلى •

ولكنه ورد فى أشعار الهذليين • (٤) لمالك بن خالد الخناعى

ببعض التغيير في صدره وهو

يأمى لن يعجز الأيامُ ذو خدم بمشمخر •••

وقول الشاعر :

فقلت ادعى وأدعو إن أندى لصوت أن ينادى داعيان (٥)

نسبه الزمخشرى لربيعة بن جشم ، وقال الشارح : هو للأعشى

والصحيح أنه لمدثار بن شيبان النمرى إذ يحارض الحطيئة لهجائه

الزبرقان لما حبسه – الحطيئة – عمر • (٦) وكذلك نسبه الزبيدى فى

تاج العروس لمدثار النمرى • (٧)

---

(١) المفصل ٨ : ٨٢

(٢) المصدر السابق ٥ : ١٥١

(٣) المفصل ٩ : ٩٨ ، ٩٥

(٤) ابو سعيد السكرى : شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٣٩

(٥) المفصل ٧ : ٤٣

(٦) السيوطى : شرح شواهد مغنى اللبيب ص ٨٢٧

(٧) تاج العروس مادة (ندى)

وقول الراجز :

• سرهفته ما شئت من سرهاف • (١)

نسبه الزمخشري لروءبة بن العجاج ، وقال ابن يعيش هو للعجّاج أبي روءبة ،وكذلك نسبه الزبيدى في تاج العروس للعجّاج • (٢)

وقول الشاعر : (٣)

وكم موطن لولاى طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوى

نسبه الزمخشري ليزيد بن أم الحكم ،ونسبه الشارح للثقفى ،

ـ وهاكم بعض المآخذ الأخرى :

ـ قال في تعريف المبتدأ والخبر : " هما الاسمان المجردان للاسناد نحو زيد منطلق •••" (٤)

بهذا اختصر في الخبر على كونه اسما مع أن الخبر قد يكون جملة أو شبه جملة • ثم جعل المبتدأ والخبر على حد واحد في التعريف ، والواقع أنهما مختلفان فلا يجمعهما حد •

وذكر أن المراد بالتجريد اخلاوءهما من العوامل • وكان ينبغى أن يفيد بأن ذلك التجريد يكون من العوامل غير الزائدة لأنه قد تدخل عليهما عوامل زائدة ،نحو : هل من رجل في الدار ،و بحسبك درهم •

وفى الأشمونى :ان المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبر عنه ، أو وصفا رافعا لمستغنى به • (٥)

---

(١) المفصل ٦ : ٤٧

(٢) تاج العروس مادة (سرهف)

(٣) المفصل ٣ : ١١٨

(٤) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٣

(٥) الأشمونى ١ : ١٨٨ ـ شرح الكافية للرضى ١ : ٩١

والخبر : هو الجزء المتم الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المذكور .(١) فهذه العبارة أوضح من عبارة الزمخشري .

وفي شرح مراده بالتجريد قال : "والمراد بالتجريد اخلاؤهما من العوامل التي هي : كان وان وحسب واخواتها ، لأنهما اذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع ..." (٢)

ففي هذه العبارة غموض اذا لم يكن هناك خطأ مطبعي ، وهو قوله : "لأنهما اذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع ."

والمعقول أن يكون النص (اذا لم يخلوا منها غصبتهما على الرفع مرة أو النصب أخرى .

وهذا الرأي لم يعرف لأحد من النحاة ، اللهم الا اذا كان الزمخشري قال هذا بوحي من الرأي الكوفي القائل في أن رافع الفعل المضارع هو تجرده من الناصب والجازم .

- وذكر أنه قد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا كقولك :زيد المنطلق والله الهنا ،ومحمد نبينا ،ومنه أنت أنت ،وقول أبي النجم :

. أنا أبو النجم وشعري شعري .

ولا يجوز تقديم الخبر ههنا ،بل أيهما قدمت فهو المبتدأ . (٣)

وواضح أنه يجوز تقديم الخبر عند أمن اللبس نحو : أبو حنيفة أبو يوسف ، ونحو قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد (٤)

وهو لم ينبه على ذلك .

---

(١) الأشموني ١: ١٩٤ - الهمع ١: ٩٣

(٢) المفصل ١: ٨٣

(٣) المفصل ١: ٩٨

(٤) الأشموني ١: ٢١٠ - ابن عقيل ١: ١٥٣

— وقال في تعريف الاسم المعرب : " هو ما اختلف آخره باختلاف العوامل لفظا — بحركة أو حرف — أو محلا "، واختلافه محلا في نحو : العصا وسعدى، والقاضي في حالتي الرفع والجر، وهو في النصب كالضارب " (١)

ولم يذكر في الاعراب التقديري المضاف إلى ياء المتكلم — وهو عنده مبني — ولم يذكر المحكي كالمركبات الاسنادية ونحوها .

وقال في المعرب : " واختلافه لفظا في ثلاثة مواضع في الاسماء الستة مضافة " (٢)

ولم يستوف شروطها، وقد ذكرها النحاة بأنها : مفردة، مكبرة مضافة لغير ياء المتكلم ، وشرط ذو أن تضاف لاسم جنس .

— لم يعرّف الزمخشري المنادى . (٣) وقد عرّفه النحاة غيره وقيل ان جار الله لم يحده لظهوره لا لاشكاله .

والملاحظ أن جار الله لم يسر في مادته على نمط واحد، فهو يقوم بتعريف بعض الموضوعات، والتخلي عن بعضها الآخر، وهذا الاسلوب تكرر في مفصله .

— وذكر أن المنادى ينتصب محلا إذا كان مفردا معرفة مثل : يازيد ، ياغلام ، يأيها الرجل ، أو داخلا عليه لام الاستغاثة أو التعجب . (٤)

فهو في تمثيله لم يفرّق بين المفرد العلم (كزيد) وبين النكرة (كغلام) والمعلوم أن كلمة غلام قبل دخول النداء عليها كانت مفردا نكرة ،

---

(١) ابن يعيش على شرح المفصل ١ : ٥٥

(٢) المفصل ١ : ٥٥

(٣) المفصل ١ : ١٢٧

(٤) المفصل ١ : ١٢٨

فلم تدخل تحت المفرد المعرفة الا بالنداء ،عكس زيد فهو مفرد معرفة قبل دخول حرف النداء عليه .

ومن ناحية أخرى نجد الاسم العلم يختلف في أسلوب النداء عن المعرّف بالألف واللام فالأول يدخل عليه حرف النداء مباشرة ،والمعرّف (بـ أل) لا ينادى إلا بواسطة (أى) . لذا كان ينبغى له أن يدخل هذا فى اعتباره .

- بعد أن سرد الزمخشرى بعض أمثلة التحذير قال : " ومنه مرحبا وأهلا وسهلا ، أى أصبت رحبا لا ضيقا وأتيت أهلا لا أجانب " (١) وهذا إغراء لا تحذير .

وكرر هذا الخلط مرة أخرى فقال : " ويقولون الأسد الأسد ،والجدار الجدار اذا حذروه الأسد والجدار المتداعى ...ومنه أخاك أخاك أى الزمه " (٢) وكأنه بذلك لا يفرق بين التحذير والإغراء ، أو كأنه لا يعترف بالاغراء فى لغة العرب .

- ذكر أن الرفع علم الفاعلية ، وجعل المرفوعات الأخرى ملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب ،ولم يذكر منها نائب الفاعل ،والمشهور أنه منها . (٣)

وقال في اسم الفاعل إنه يشترط فيه ، أن يعتمد على مبتدأ أو موصوف ،أو ذى حال ، أو حرف نفى . (٤) ولم يذكر حرف النداء نحو: ياطالعا جبلا .

---

(١) المفصل ٢ : ٢٨

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٦

(٣) المصدر نفسه ١ : ٧١

(٤) المفصل ٦ : ٧٨

ـ وذكر أنه اذا اجتمع للرجل اسم غير مضاف ولقب ،أضيف اسمه الى لقبه ،فقيل : سعيد كرز ،وقيس قفة ،وزيد بطة •

وإذا كان مضافا أو كنية ،أجرى اللقب على الاسم ،فقيل : هذا ... عبد الله بطة ،وهذا أبو زيد قفة • (١)ولم يذكر أنه يجوز مع ذلك القطع الى الرفع أو النصب • (٢)

ـ وقال في إضافة الاسم إلى المسمى ،وقول ذي الرّمة:

• ...داع يناديه باسم الماء مبغوم • (٣)

وهذا الشاهد فيه التباس، وهو أن (الماء) هنا يوحى بماء محبّن ولكن المقصود به في الشاهد الغنم ،وكان ينبغي تجنبه أو توضيحه •

وكذلك عرّض القارىء لنفس الالتباس عند حذف الخبر في قول المرّقش :

• إذ قال الخميس نعم • (٤)

فالمقصود بالنعم هنا الابل ،ولكن اللفظ يوحى بالإيجاب وهو قول المجيب نعم ،ولم ينبه على ذلك •

ـ في نصب الفعل المضارع : ذكر أنه ينصب بأن مضمرة بعد خمسة أحرف وهي : حتى ،واللام ،وأو بمعنى إلى ،وواو الجمع ،والفاء في جواب الأشياء الستة • (٥) ولم يذكر ثم في قول الشاعر :

انى وقتلى سليكا ثم أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

ـ في قوله تعالى : " والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما " (٦)

نقل الزمخشرى عن سيبويه أن عيسى بن عمر قرأ بالنصب وفضلها

---

(١)المفصل ١ : ٣٣
(٢)ابن عقيل ١ : ١٠٧
(٣)المفصل ٣ : ١٣
(٤)ابن يعيش على المفصل ١ : ٩٤
(٥)المصدر السابق ٧ : ١٨
(٦) المائدة آية ٣٨

على قراءة العامة لأجل الأمر، لأن زيداً فاضربه أحسن من (زيد فاضربه)

ورد ابن المنير أنه نقل عن سيبويه خطأ ويبرّئ سيبويه من هذا النقل، ثم يورد كلام سيبويه في باب (الأمر والنهى) بعد أن ذكر المواضع التى يختار فيها النصب (٢) وملخصه :

هو أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر والرفع على وجهين :

أحدهما ضعيف ، وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل .

والآخر قوى بالغ كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق وحيثما تعارض وجهان فى الرفع ، أحدهما قوى والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوى كما أعربه سيبويه .

ومع أن الامام الزمخشرى شديد التحرّى فى النقل عن العلماء فلعلّه قد التبس عليه ما يقصده سيبويه إمام النحاة

- وقال فى قوله تعالى : " أتأتون الذكرانَ من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربُكم من أزواجكم " (٣)

يحتمل أن يكون قوله (من أزواجكم) بيانا لما خلق ، وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح ... (٤)

ورد ابن المنير قائلا : وقد أشار الزمخشرى للاستدلال على خطر اتيان المرأة من غير المأتى ويرد عليه بأن (من) لو كانت بيانا لكان المعنى على ذمهم بترك الأزواج واتيان الذكران ، لا أن ترك الأزواج وحده منكر .

---

(١) الكشاف ١ : ٦١٠

(٢) المصدر السابق

(٣) هود آية ٨٠

(٤) الكشاف ٣ : ١٢٤

ويرى حمل (من) على التبعيض فيكون المنكر عليهم أمران ،كل واحد منهما مستقل بالانكار :

أحدهما : إتيان الذكران .

والثاني :عدم إتيان النساء في المأتي رغبة فى اتيانهن في غيره ، وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع ، واستقلال كل واحد .(١)

واشارة ابن المنير إلى كون (من) تبعيضية أدق من جعلها بيانية في تفسير الزمخشري لشمولها المعنيين اللذين ذكرهما ابن المنير.

– وفى قوله تعالى: " وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس ..." (٢)

قال الزمخشري : النهي عن النقصان أمر بالايفاء .

ورد عليه ابن المنير قائلا : ومن قال إن الأمر بالشيء ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فان الأمر لو كان عين النهي عن الضد لكان عقيبه تكرارا .

ثم قال : وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه وَهِم ، فاعتقد أن النهي فى الآية قبل الأمر ،وذلك سهو وغفلة .(٣)

– وفى قوله تعالى : ("هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين " (٤)

قال : فان قلت : لم قل الأعين ،إذ الأعين صيغة جمع قلة ؟

قلت : لأن أعين المتقين قليلة بالاضافة إلى غيرهم ،يدل على ذلك

---

(١) الانتصاف على الكشاف ٣ : ١٢٤

(٢)هود آية ٨٥

(٣) الانتصاف ٢ : ٢٨٥

(٤)الفرقان آية ٧٤

قوله : " وقليل من عبادِيَ الشكور " (١)

قال ابن المنير : والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين

فكأنه قال : يقول كل واحد منهم ،اجعل لنا من أزواجنا وذريتنا قرة

أعين ،وهذا أسلم من تأويله لأن المتقين وان كانوا بالاضافة الى

غيرهم قليلا إلا أنهم أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في إطلاق جمع

القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والاضافة. (٢)

(١) سبأ آية ١٣

(٢)الانتصاف ٣: ١٠٢

الخـــاتمـــة

بعد هذه الرحلة بين صفحات المراجع، تلك الرحلة التى استغرقت سنوات ثلاثا، آن لى أن أضع القلم، بعد أن صاحبنى خلال هذه المسيرة .

وقد قادنى البحث إلى الحديث عن إقليم خوارزم — إقليم جار الله الزمخشرى — وموقع ذلك الإقليم الذى كان ثغرا نشطا من ثغور الاسلام يتعرض أهله لغزو أعدائهم، حتى كان أول إقليم سقط فى يد أعداء الاسلام من بلاد الخلافة .

ولما استوعب ذلك الإقليم اللغة العربية والعقيدة الاسلامية اصطبغ كغيره من الأقاليم بالصبغة العربية، فأضحى نتاجهم الثقافى والعلمى بهذا اللسان العربى الفصيح .

وكان العلماء يشغلون أنفسهم بنشر العربية، واهتم الطلاب بتلقيها حتى أنجب الإقليم أفواجا من العلماء الأفذاذ، كان من جملتهم الزمخشرى نفسه .

وقد أبرزت فى ثنايا البحث ثاقب فكره وعميق نظرته اذ كان أبرع فرقته المعتزلة فى عصره بحثا ودراسة، وتأويلا للآيات، وتوجيها للغة حتى يطابق ذلك مذهبه . ومع هذا الجهد فى التوجيه العلمى لخدمة عقيدته الاعتزالية كان عريق التدين صادق الإيمان شديد التقوى يدافع عن الاسلام بغيرة منقطعة النظير .

وكان من أثر هذا التدين أنه توجه إلى بيت الله الحرام مجاورا وقد فعل ذلك مرتين استغرق جواره فيهما اثنتى عشرة سنة .

كما قادني البحث إلى الحديث عن اهتمامه بالعلم حتى ترك الزواج في سبيله ، فكثر شيوخه وتعددت تلاميذه ، فترك تراثا ضخما ، منه المطبوع ومنه المخطوط ومنه المفقود الذي لا ندرى عنه شيئا الا من بطون المراجع .

وصححت بعض الأخطاء المتعلقة ببعض شيوخه اذ تبين أن هناك من سبقت وفاته ولادة الزمخشري ، ومحال أن يكون الزمخشري تلميذا له على ذلك .

وكان تراثه العلمى قد أثر فيمن خلفه من النحاة والمفسرين والبلغاء ولما كان له اجتهاده الخاص في النحو العربي فكان البحث في هذا يتناوله مجتهدا ، واذا كانت ميوله بصرية فانه يغلب عليه الاستقلال في الرأي ولا ينصاع لمذهب أو رأي الا عن اقتناع وإدراك .

ولتوضيح مذهبه ومنهجه حاولت أن أجلّي الحقيقة حوله بتقديم بعض النماذج في موافقاته لأصحاب المدرستين النحويتين ، البصرية والكوفية ، وبعض أفذاذ النحاة ، وأردفت ذلك بما استقل به من آراء ، فكان لذلك أثره فيمن جاء بعده من كبار النحويين وبخاصة أبو حيان النحوى ، وابن هشام الأنصاري .

وطرقت أصول مذهبه النحوي التي كان يعتمد عليها ، فلم يخرج في ذلك عن النحاة السابقين عليه ، وان كان يعتمد اعتمادا كبيرا على القياس ، شأنه في ذلك شأن فرقته المعتزلة في اعتمادها على الفكر والنظر ، كما بينت أنه من أوائل من استشهد بالحديث الشريف .

وشأنه في القراءات اقتفاء أثر النحاة قبله ، فنشاطه في ذلك هو

امتداد للنشاط النحوى السابق عليه فى هذا المجال ، وان ظهر ذلك عنده بشكل واضح .

ومع هذا كان يحاول تخريج الآيات التى نعتها النحاة بنعوت مختلفة ، فاذا لم يجد لها مخرجا وصفها كغيره من النحاة ، ولكنه لم يرد فى وصفه ذكر الشذوذ كغيره من السابقين .

ثم عرّجت على الحديث عن نهجه في التأليف النحوى ، وبينت أنه أحدث تجديدا يفيد به المبتدئين كما يفيد العلماء المتخصصين .

وبينت مدى التجديد واهتمامه بافادة الطالبين فنوّع أسلوبه من مختصر ضيق يقوم على قواعد النحو ، الى مطوّل مسهب عند مزجه النحو والصرف والاملاء والاشتقاق بشرحه للنصوص الأدبية ، ووضحت طريقته في أحاجيه التى حاول أن يفيد بها المتخصصين وهى شبه الغاز مسجوعة .

ثم تحدثت عن شواهده وسلوكه في التمثيل سواء بالقرآن الكريم ، أو الحديث الشريف أو النصوص الأخرى من شعر ونثر ، ووضحت أنه يسوق الشاهد على قدر حاجته ، فقد يأتى بكلمة واحدة من الآية ، أو كلمات قليلة من البيت ويكتفي بذلك عن ذكر الآيات وسوق الابيات بتمامها .

كما رددت شبهة استشهاده بشعر المولدين ، ووضحت أن ذلك لم يكن على سبيل الاستشهاد بل هو من قبيل التمثيل والاستئناس .

وأنهيت البحث بالحديث عن أسلوبه ، وبعض المآخذ التى استدركها عليه العلماء .

ومع هذا لا أدعى بأنى قمت بكل ما ينبغى أن يقوم به باحث فى مثل هذا الموضوع ،فانما هى محاولة بذلت فيها كل وسعى ،وطاقتى وهى بعد هذا قابلة للنقد والتوجيه وصولا بها نحو الكما ل أو ما يقا ربه .

والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه الى يوم الدين . أما بعد :

فقد أفاقت أمتنا الإسلامية ،فوجدت نفسها وقد سبقتها حضارات متقدمة مزدهرة ، فجعلت تحلول اللحاق بها ، وكان لزاما عليها أن تدرس ماضيها وكل ما يتصل به ، من علم وثقافة ، وأدب ، ودراسة رجاله ، وأبطاله ، من مفكرين وساسة وحكام وقادة ، وعلماء برزوا فى مختلف العلوم .

كان ذلك الماضى بناء ضخما ، أقامه فكرنا الإسلامى العظيم ، الذى خمع بين حناياه العديد من عظماء الإسلام ، من عرب ومستعربين خدموا هذا الدين ، وهذه اللغة فى جدارة واخلاص ، لا يقلون فى هذا عن العرب الخلّص ، فقد أصبحوا عربا فى دينهم ، ولسانهم ، يدافعون عن حياض هذا الوطن الإسلامى الكبير ،وهذا الدين وتلك اللغة وأخلصوا نياتهم لذلك .

هذا الصنف من العلماء نجده عربيا امتزج باللغة لسانا وتأليفا ، وأسلم نفسه لهذا الدين عقيدة وشريعة .

لذلك كان لهم الفضل العظيم ، وكان واجبهم علينا حسن الذكر ، وتقدير الخلف البار لأسلافه العظماء .

وليس المقام هنا تعداد مآثر هؤلاء الأعلام حتى أبين ما كانوا عليه وما امتازوا به ، كل فى ميدانه ، فهم لا يحصون عدا ، ومآثرهم لا تقع تحت حصر ، فحسبى أن أتناول أحد هؤلاء الأعلام ، وهو محمود بن عمر الزمخشرى ، على ضوء هذا الفكر الذى بينت .

فقد تناولته بحثا يكشف عن بيئته وعصره ، وحياته ، وتعليمه ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمى ، ومنهجه .

ولما كان ذلك العالم متشعب الثقافة اللسانية من نحو ، ولغة ، وتفسير ، وبلاغة ، وأدب ، كان البحث ملزما بالإلمام بهذه الثقافة قبل الشروع فى الجانب النحوى الذى كان متمكنا فيه ، وبز أقرانه بتفوق وابداع .

فجعلت البحث فى مقدمة يتلخص محتواها فيما عرضت ، وتمهيد ، وخمسة فصول وخاتمة .

عرضت فى التمهيد الى خوارزم اقليم الحرية أبى القاسم ، وهو ثغر من ثغور الإسلام - يقع وراء نهر جيحون - يحيط به الأعداء ، فهو فى رباط دائم ، ومناخه شديد البرودة شتاء حتى أن السوائل تجمد فيه ، وجوه متقلب .

ومع هذا فانه كثير الخيرات ، والمتعة فيه متوفرة ، وأهله أصحاب صناعات ، ويمتازون بالذكاء ، لذلك فقد أنجب الإقليم العديد من العلماء السابقين على الزمخشرى ، والمعاصرين له .

كما كان لأهل الإقليم فى ذلك الحين مزايا دينية واجتماعية تخالف غيرها من الشعوب ، ويبدو أن الإقليم كان محقن للاعتزال من قديم الزمن .

وتناوب حكم الإقليم منذ فتحه حكام استقلوا عن الخلافة العباسية ، مثل : الطاهريين ، والصفاريين ، والبويهيين ، والسلاجقة ، حتى جاء الخوارزميون وأسقطوا دولة السلاجقة أخيرا .

وكان الحكام مدى فترة حكمهم يرعون العلم والعلماء ، ويعنون بالثقافة خير عناية ، وكان جلهم من أهل العلم . لذلك كان هناك

مراكز الثقافة التى تتمثل فى : المساجد ، والمكتبات ، والمدارس ، وبربط الحكام ، وختمت التمهيد بحال اللغة العربية فى ذلك الإقليم حتى عصر الزمخشرى • فقد احتلت مكان الصدارة وغلبت على اللغة الفارسية ، ثم أخذت فى الضعف منذ أن قامت دولة الصفاريين ، حتى عاد اليها نشاطها ، وأخذت مكانتها مرة أخرى عند قيام دولة السلاجقة

وتناولت الحديث فى الفصل الأول عن مولده ، وناسمه ، وكنيته ، ولقبه ، ونشأته ، وحياته ،وتحدثت عن أسرته المتدينة المغمورة ، عدا أبيه الذى سجنه مؤيد الملك حتى مات فى سجنه •

ثم تحدثت عن صفاته الحسية التى كانت تتمثل فى سقوط ساقه ، وأثر ذلك فى نفسه • وعن صفاته المعنوية التى بدا لى أنها مرت بعهدين : عهد الشباب المتوثب الطامح ، وعهد الرشد ،والهدوء ، والقناعة •

فعهد الشباب كان يسيطر فيه علو الهمة ،والصراع للوصول الى مصاف الطبقات الاجتماعية ،والعلمية المرموقة ، فوسع اتصالاته بالحكام للوصول الى ذلك الغرض ،ولكن دون جدوى •

وما أن مرض مرضته المنذرة كما سماها — كانت بداية الطور الثانى من حياته ، فالتمس لنفسه مسلكا مغايرا ، وخط لنفسه نهجا جديدا ، فاتجه نحو التأليف النافع الذى يتعلق تعلقا مباشرا بالآخرة ، وجعل يصلح ما بينه وبين العلماء فى تواضع ،حتى عمت سيرته الآفاق •

وكان قد ترك الزواج بسبب طلب العلم ،واحتج فى ذلك ببعض الحجج الاجتهادية ،ولكنى أقمت الحجة على بطلان ذلك الرأى • ووضحت أنها لاتقوم حجة أمام السنة الصحيحة التى تحث المسلم على الزواج •

ورأيت من أثر نزوعه الى الله في طور حياته الثانى ، أنه توجه الى بيت الله الحرام بنية الجوار ، ثم عاد الى وطنه لشدة حنينه اليه ولم يمكث الا القليل فعز عليه فراق الأماكن المقدسة ، فعاد الى جوارة الثانى ، وقد حققت مدة جواره فى المرتين اذ اضطرب فيها بعض الباحثين .
ثم أنهيت الفصل عن وفاته .

ولما كان اعتزاله فترة بارزة فى حياته ، لما بدا من تفانيه فى خدمة ذلك المذهب ، واستخدامه النحو ، واللغة ، والأدب ، والتفسير وتطويعها لخدمة عقيدته الاعتزالية ، فقد دفعنى ذلك للحديث عن نشأة المعتزلة فى لمحات سريعة ، تحدثت فيها عن أصول عقيدة الاعتزال فى نظر هؤلاء .

وشدنى الحديث الى قواعد الاعتزال التى أقرها واصل مؤسس الفرقة ، وهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والقول فى الفريقين من أهل الجمل ، وأصحاب صفين .

وبينت مدى توجيه الزمخشرى لبعض الآيات التى تؤيد هذه القاعدة لكل فى كشافه .

ثم أشرت اشارة سريعة الى رأيه المؤيد لمسألة خلق القرآن الكريم ، وما اعتمد عليه فى كشافه .

ولما كان للمعتزلة منهج فى تأكيد فكرهم الاعتزالى ، وجاء الزمخشرى مندفعا نحو ذلك النهج ، فقد أجهد نفسه فى تأييد ذلك فوجه الآيات توجيها لا يرتضيه جمهور العلماء ، ومن هنا كان كشافه مدار بحث العلماء ومعقته ، والرد عليه كما فعل ابن المنير .

وفى نهاية هذا الفصل تحدثت عن موقف الزمخشرى من الفرق الاسلامية

الأخرى وهو موقف المتحامل ، فلم يهادن واحدة منها ، وهو يركز هجومه على المتصوفة وأهل السنة فبينت جزءا من نشاط أهل السنة ، وليفتظر من يريد البحث الى بعض ما ألّف فى ذلك الموضوع .

وبعد ذلك تكلمت عن تعليم الزمخشرى ، وأنه تلقى مبادئه على يد والده ، ثم ارتحل فى طلبه حتى وصل الى ذروة العلوم التى درسها ، فبرزّ فى علوم شتى حتى أصبح اماما فى التفسير ، ونحويا بارزا الرأى والاجتهاد ،هذا فضلا عن أصالته فى علم البيان ،واللغة ، والأدب نثره وشعره ،حتى وصف بالعديد من النعوت العلمية التى شاركته حياته .

وكان للزمخشرى الكثير من الشيوخ ،ولاحظت أن بعضهم قد التبس أمره فحققت ذلك .

وعرجت بالحديث على تلاميذه ، اذ كانوا رؤس الأفاضل فى ذلك الحين ، وذكرت لكل منهم بعض المؤلفات ، ثم ذكرت من استجازوه أو راسلوه .

ولما كان ذا مكانة عالية بين العلماء فقد خصصت مبحثا بينت فيه مدى تفاعله مع العلماء ، وتعامله مع الأمراء ، وكم تحامل على علماء السوء لأنهم تزلفوا للأمراء ، وكان له مع بعض العلماء مواقف جد ،كما كان له مواقف مرح وملاطفة .

وفى هذا الفصل تحدثت عن تراثه ، وصنفته الى ما هو مطبوع ، ومخطوط ، ومفقود ، وصنفت كلا منها على أساس مادته ، فكانت على الترتيب الآتى : المادة الدينية ،فالنحوية ، فالأدبية من نثر وشعر .

وتحدثت عن الكتب التى طبعت من حيث تأليف الكتاب ، وطريقته ومكانته ، وعن أثر الكتاب ومدى الاهتمام به بين العلماء ، ثم تحدثت عن مخطوطاته فطبعاته ، وكان لى رأى فى بعض كتبه وحقيقة وجودها وتوثيقها

أما كتبه المخطوطة فقد جهدت فيها أن أجمع الأشباه والنظائر التي يبدو من اسمها وجود نوع من التقارب ، وسلكت هذا السبيل في المفقودات .

ولما كان الزمخشري من علماء النحو البارزين ، فقد جهدت في ايضاح مذهبه النحوي والدافع الى تعمقه في مسائل النحو ، والمصطلحات التي استعملها ، وبينت أن ميوله كانت بصرية مع الاستقلال برأيه الخاص وتحدثت عن بعض موافقاته للمدرستين البصرية والكوفية ، ثم سقت نماذج لموافقاته لبعض أفذاذ العلماء السابقين عليه ، وتكلمت عمن جاء بعده من العلماء ، وخصصت منهم أبا حيان النحوي ، وابن هشام الأنصاري ، وسقت بعض النماذج التي وافق أبو حيان فيها الزمخشري ، وأردفت ذلك بأمثلة خالفه فيها ، وجعلتها قسمين : مخالفاته له في القراءات ، ومخالفاته له في النحو .

ولما لاحظت بعض العلماء هجمات أبي حيان على الزمخشري ، تتبع بعضهم آراءهما فأنصفوا الزمخشري ، وكان أبو حيان يسدد المطاعن للزمخشري ويندد به بين حين وآخر .

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثرا في نفوس بعض العلماء ، مما جعلهم يوازنون بين العالمين ، ويتتبعون خلافاتهما حتى ألفوا الكتب في ذلك مثل ما كتبه الشيخ يحيى الشاوى في كتابه (بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري) وقصد به بيان الحق في هذه المناقشات . وكتب ابن أم مكتوم كتابه (الدر اللقيط من البحر المحيط) وقصره على مناقشة أبي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما .

ومن لهم من تتبع الخلاف بين العالمين ، ابن هشام ، والسمين ،

وقاما بالدفاع عن جار الله خير قيام ، وقد أشرت الى ذلك .

وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن ابن هشام والزمخشرى ، وقد كان ابن هشام مجتهدا فى رأيه ، وكثيرا ما أنصف الزمخشرى ،وانتصر له ، وخاصم من أبى حيان .

ثم تحدثت عن الأصول النحوية التى بنى عليها . فقد التزم الأصلين الهامين فى أصول اللغة وهما : السماع ، والقياس .

وقلت : ان السماع كان يقوم على نبعين عظيمين ، دينى ويتمثل فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغوى ويتمثل فى اللغة العربية نثرها وشعرها ،بحيث تؤخذ عمن يوثق بفصاحتهم .

وكان الزمخشرى متبعا لمن سبقه من النحاة فى الاستشهاد بالآيات القرآنية ، أما الحديث فقد سكت النحاة المتقدمون عن الاستشهاد به ، وكان الزمخشرى من أول المستشهدين بالحديث الشريف ، وسبقت طائفة من استشهاده به فى اللغة والنحو .

ولما كان لعلماء اللغة والنحو رأى فى التحديد الزمانى والمكانى لنقل اللغة وسماعها ، كان الزمخشرى متبعا لهم ،لكنه وجد فى نفسه الكفاية فى مخالفتهم فيما يراه صوابا .

فهو ينقض اللغة التى يراها ضعيفة اذا لم تكن واردة من فصحاء العرب ، ومن ممن يوثق بفصاحتهم .

أما القياس فكثيرا ما كان يستعمله الزمخشرى فى المسائل النحوية ، وله فيه موقف خاص به ، وهو :

ان القياس أعلى شىء فى اللغة هو ما تعاون على ثبوته القياس

الصحيح ، والرواية الفصيحة .

وعنده لا يرد القياس الا الرواية التى يثبت وثوقها .

وكان يرى أن الاستعمال المستفيض أقوى من القياس الحسن .

ولا يصح عنده القياس على القليل ، ولا على اللغات الضعيفة .

ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمعزل عن استعمال الفصحاء وعن القياس فهو لحن .

وتحدثت فى هذا الفصل عن منهجه فى التأليف النحوى ، ويتمثل ذلك فى اطلاعه على معظم الكتب النحوية التى سبقته ، ونقوله عن أفذاذ السابقين عليه من العلماء ، وكان أعظمهم شأنا عنده سيبويه .

ومن منهجيته أنه تحدث عن خطته فى مقدمة كتابه المفصل ، فقسمه أربعة أقسام هى : الاسماء ، والافعال ، والحروف ، والمشترك . جمع فى كل منها الاشباه والنظائر ، ولم يكن هذا مألوفا قبله فى كتب النحو ، وبينت منهجه النحوى فى كتبه الاخرى غير المفصل ، مثل : الكشاف ، والانموذج ، والمفرد والمؤلف ، والاحاجى النحوية ، وأعجب العجب ، ورأيت من الجديد فى منهجه أنه عرض منهجه لاول مرة فى مقدمة كتابه ، وأن الجانب النحوى عنده يقوم على الاحكام المتصلة بالكلمة من حيث بنيتها ، وضبطها ، ووظيفتها فى التركيب اللغوى .

ومن منهجه أنه عالج النحو فى اتجاهين هامين ، هما : اللفظ المفرد ، والتركيب اللغوى ، فجعل فى كتبه اللغوية والنحوية ما عالج به بعض قضايا النحو الكلية ، فجمع المتشابهات فى العمل والجنس فى باب واحد . مما دفعه الى تأليف (مفصله) ثم (أنموذجه) وأرد فهما بالمفرد والمؤلف .

ولما أراد أن يخدم أبناء العربية ، ويقودهم الى أسرار ها ودقائق النحو فيها ألف كتابه الأحاجي النحوية ، وهو يعتمد فيه على اختصار العبارة ووضوحها ، ويعرضها بتعبير مسجوع يساعد السامع على حفظ الأحجية .

ومنهجه النحوى فى دراسته للنصوص الأدبية يمتاز بالإطالة ، والإسهاب والاستطراد ، كما فى شرحه لامية الشنفرى .

وتحدثت فى شواهده النحوية عن طريقته فى الاستشهاد ، ورأيت أنه لا يختلف عن النحاة السابقين عليه ، ولا سيما البصريين منهم ، فهو يستشهد بالقراءات ويرد طائفة منها ، ويضعف أخرى ، ويرجح قراءة على قراءة ، ويوازن بين القراءات .

وكان يخرج بعض القراءات التى يضعفها النحاة ، ويستقل برأيه فى تخريجها ، ولعل الزمخشرى لم ينعت قراءة بالشذوذ ، مخالفا بذلك السابقين عليه واللاحقين له .

وهو ينسب الخطأ الى نقلة القراءة لا الى القراء أنفسهم .

يقول فى كشافه : " ان السبب فى قلة الضبط ، هو قلة ضبط الدراية ، ولا يضبط مثل هذا الا أهل النحو "

واستشهد بالحديث الشريف فى كل كتبه النحوية واللغوية ، وأعتبره من أوائل المستشهدين به ، وقد سبق ابن خروف فى ذلك . وقد سقت أمثلة لاستشهاده في مختلف كتبه .

واستشهد بالشعر والنثر من : روايات ، وأمثال ، وأقوال مشهورة وبينت كيفية استشهاده .

وكان واضحا أنه يستشهد بكلام العرب الفصحاء ، شأنه فى ذلك شأن سائر النحاة ، وكان يستأنس بما يسمعه من الأعراب فى زمنه ، للوصول الى معنى معين ، أو اثبات حكم ، وكان يستنبط من كلامهم معانى جديدة .

ونفيت عنه أنه كان يستشهد بشعر المولدين ، ولكنه كان يستأنس به فى توضيح قاعدة مستقرة .

ثم تحدثت عن خصائص أسلوبه ، وما يمتاز به من سجع فى معظم كتبه الأدبية واللغوية ، ومقدمات كتبه بوجه عام . وتحدثت عن الايجاز الذى قد يصل الى حد الغموض ، والاطناب الذى قد يصل الى حد الاستطراد ، وأكدت ذلك بالأمثلة .

وأنهيت البحث ببعض المآخذ التى بدت أثناء السير فى هذا السبيل . وكل عالم مهما سمت مكانته يمكن أن يتعرض لما يؤخذ عليه .

وفى الختام أرجو الله مخلصا أن أكون قد وفقت الى بعض قصدى ولا أزعم أنى أتيت بما لم أسبق اليه ، وحسبى ما بذلت من جهد فى هذا ، فان وفقت فذلك ما أصبو اليه ، وان كانت الأخرى — لاقدر الله — فذلك وسعى .

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يعيننا على السير قدما فى العمل على رفعة أمتنا ، والكشف عن آثارها العلمية ، والنهوض بلغتنا العربية لغة القرآن الكريم .

والله يوفقنا الى كل خير ، انه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٤/١١/١٩٧٢م

المصادر والمراجع :

(أ) لف

• ابراهيم رفيدة (الدكتور)
— النحو وكتب التفسير ، ط ، ليبيا ، ١٩٨٠م

• ابن الأثير ، علي بن محمد ،
— الكامل في التاريخ ، دار الفكر بيروت ، ١٩٥٥م

• ابن الأنباري ، كمال الدين محمد ،
— الانصاف في مسائل الخلاف ، (تحقيق محيي الدين عبدالحميد)
ط ، محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٩٥٣م
— نزهة الألباء ، (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ — ١٩٦٧م

• ابن بطوطة ،
— رحلة ابن بطوطة ، المطبعة الأهلية ، باريس ،

• ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن ،
— النجوم الزاهرة ، ط ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ، ١٣٥٢هـ — ١٩٣٣م

• ابن جني ، ابو الفتح عثمان ،
— الخصائص ، (تحقيق محمد علي النجار)
ط — دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ،

• ابن حزم الظاهري ،
— الفصل في الملل والأهواء والنحل ، على الملل والنحل ،
د ط ، د ت ، أعادت طبعه بالأوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ،

• ابن الخشاب ، أبو محمد عبدالله بن أحمد ،
— المرتجل ، (تحقيق علي حيدر) ، منشورات دار الحكمة ،
دمشق ، ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م

• ابن خلكان ، أحمد بن محمد ،
— وفيات الأعيان ، (تحقيق احسان عباس)
دار الثقافة ، بيروت ،

• ابن سلام الجمحى ، ابو عبدالله .
– طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين .
مكتبة الثقافة العربية . بيروت .

• ابن سيدة ،
– المخصص . لجنة احياء التراث العربى . القاهرة .
ودار الآفاق الجديدة . بيروت ت.

• ابن عقيل ، عبد الله بن عبدالرحمن .
– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الخضرى .
ط . مصطفى البابى الحلبى . ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م

• ابن العماد الحنبلى ، ابو الفرج عبدالحى .
– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
المكتب التجارى للطباعة والنشر . بيروت .

• ابن فارس أبو الحسين أحمد .
– الصاحبى فى اللغة . (تحقيق السيد أحمد صقر)
ط . الحلبى وشركاه . القاهرة . ١٩٧٧م

• ابن قاضى شهبة ، تقى الدين .
– طبقات النحاة اللغويين . (تحقيق محمد عياض)
مطبعة النعمان . بغداد . ١٩٧٤م

• ابن كثير ، اسماعيل بن عمر .
– البداية والنهاية . الناشر مكتبة النصر .
بيروت . ١٩٦٦م

• ابن مالك ، جمال الدين محمد .
– تسهيل الفوائد . الناشر . دار الكتاب العربى .
القاهرة . ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م

• ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى .
– المنية والأمل ، شرح الملل والنحل . ١٣١٦هـ

• ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين .
– لسان العرب . دار صادر بيروت .
ودار بيروت للطباعة والنشر . ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م

• ابن المنير ، أحمد بن محمد .
— الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال .
طبع مع الكشاف . مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده .
القاهرة . ١٩٦٦م

• ابن النديم ،
— الفهرست .

• ابن هشام ، جمال الدين .
— مغنى اللبيب . ط . عيسى البابى الحلبى وشركاه . مصر .
ومعه حاشية الأمير .
— أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك . ط . السعادة بمصر .
١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م

• ابن يعيش ، يعيش بن على .
شرح المفصل . الناشر . عالم الكتب . بيروت .
ومكتبة المتنبى . القاهرة .

• أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف .
— البحر المحيط . الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة .
الرياض .

• أبو الطيب اللغوى .
— مراتب النحويين . (تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم)
الناشر . دار نهضة مصر . القاهرة .
١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م

• أحمد أمين . (الدكتور)
— ضحى الاسلام . الطبعة الخامسة .
— ظهر الاسلام . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٥٨م
— يوم الاسلام . ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .
القاهرة . ١٩٥٨م

• أحمد الحوفى . (الدكتور)
— الزمخشرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
الطبعة الثانية .
— الطبرى . الناشر . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
لجنة التعريف بالاسلام . القاهرة .
١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م

• أحمد محمود صبحى (الدكتور)
— فى علم الكلام • الناشر • دار الكتب الجامعية •
القاهرة • ١٩٦٩م

• أحمد مختار العبادى • (الدكتور)
— فى التاريخ العباسى والأندلسى • دار النهضة العربية •
بيروت • ١٩٧١م

• أحمد مكى الأنصارى (الدكتور)
— سيبويه والقراءات • دار الاتحاد العربى للطباعة والنشر •
١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م

• الأخطل ، غياث بن غوث التغلبى •
— ديوان الأخطل • الطبعة الثانية • دار المستشرق •
بيروت

• الأزهرى ، خالد بن عبدالله •
— شرح التصريح على التوضيح • دار الفكر • بيروت •

• الأشمونى ، نور الدين على بن محمد •
— شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك • (تحقيق محيى الدين عبدالحميد) الناشر • مكتبة النهضة المصرية •
القاهرة • ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م

• الأصطخرى ،
— المسالك والممالك • تحقيق (محمد جابر عبدالمتعال)
وزارة الثقافة والإرشاد • الجمهورية العربية المتحدة •
الناشر • دار القلم • ١٣٨١هـ — ١٩٦١م

• الأمير ، محمد •
— حاشية الأمير • على مغنى اللبيب •
مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه • مصر •

(الباء)

• بركلمن ، كارل •
— تاريخ الأدب العربى (ت • الدكتور عبدالحليم النجار)
دار المعارف • القاهرة • الطبعة الثانية •

• البغدادي ، عبدالقادر بن عمر .
— خزانة الأدب ولب لباب العرب .
دار صادر بيروت

• البغدادي ، اسماعيل باشا .
— هداية العارفين . استانبول . ١٩٥١م

• بهيجة الحسني (الدكتورة)
— الزمخشري شاعرا . مطبعة الجمهورية .
بغداد . ١٩٧٥م

(الثـــاء)

• الثعالبي ، أبو منصور .
— لطائف المعارف . (تحقيق ابراهيم الابياري وحسن الصيرفي)
مطبعة الحلبي وشركاه . القاهرة . ١٣٧٩هـ ــ ١٩٦٠م
— يتيمة الدهر . (تحقيق محيي الدين عبدالحميد)
مطبعة السعادة . القاهرة . ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م

(الجيم)

• الجاحظ ، عمرو بن بحر .
— الحيوان . (تحقيق عبدالسلام هارون)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة .
١٣٥٩هـ ــ ١٩٤٠م

• جرير بن عطية الخطفي .
— ديوان جرير . دار صادر بيروت ، ودار بيروت للطباعة والنشر .
١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م

• الجوهري ، اسماعيل بن حماد .
— تاج اللغة وصحاح العربية . (تحقيق أحمد عبدالغفور عطار)
دار الكتاب العربي . مصر . ١٣٧٧هـ

(الحـــاء)

• حاجي خليفة .
— كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون . طهران .
الطبعة الثالثة . مكتبة المثنى بغداد .

• حسن ابراهيم حسن . (الدكتور)
— تاريخ الإسلام السياسى .النهضة المصرية .
مطبعة السنة المحمدية . ١٩٦٧م

• حسن عون (الدكتور)
— تطور الدرس النحوى . جامعة الدول العربية .
قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية .
مطبعة الجبلاوى . مصر . ١٩٧٠م

(الخـــاء)

• خديجة الحديثى . (الدكتورة)
— أبو حيان النحوى . مكتبة النهضة . بغداد .
١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٦م

• الخونسارى ،
— روضات الجنات . (دون تاريخ)

(الدال)

• الداودى شمس الدين محمد .
— طبقات المفسرين (تحقيق على محمد عمر)
الناشر ــ مكتبة وهبة . القاهرة .
١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م

• درويش الجندى . (الدكتور)
— النظم القرآنى فى تفسير الزمخشرى . دار النهضة .
مطبعة الرسالة . ١٩٦٩م

(الذال)

• الذهبى ،عبدالله بن محمد .
— العبر فى خبر من غبر . (تحقيق فؤاد سيد)
دائرة المطبوعات والنشر . الكويت . ١٩٦١م
— ميزان الاعتدال . دار المعرفة بيروت .
الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م

(الراء)

• الرازى ،محمد بن أبى بكر .
— مختار الصحاح . الناشر . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

• رشيد الدين الوطواط .
— من رسائل البلغاء . كرد علي .
طبعة ١٣٦٥م هـ

(الزاى)

• الزبيدى ،أبوبكر محمدبن الحسين .
— الواضح فى علم العربية . (تحقيق أمين على السيد)
دار المعارف . مصر . ١٩٧٥م
— طبقات النحويين واللغويين . (تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم)
دار المعارف . مصر. ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م

• الزبيدى ،محمد مرتضى الحسني .
— تاج العروس . (تحقيق عبدالكريم الغرباوى وراجعه عبدالقادر
أحمد فراج) مطبعة حكومة الكويت . ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م

• الزجاج ، ابراهيم بن السرى .
— اعراب القرآن . (تحقيق ابراهيم الابيارى)
لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة .
١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م

• الزركلى ، خير الدين .
— الأعلام . دار العلم للملايين . بيروت .

• الزمخشرى ، محمود بن عمر .
— أساس البلاغة . (تحقيق عبدالرحيم محمود)
دار الكتب المصرية . ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م
— أعجب العجب في شرح لامية العرب . مطبعة الجوائب .
القسطنطينية ١٣٠٠هـ
— الأحاجى النحوية (تحقيق مصطفى الحدرى)
منشورات مكتبة الغزالى .دمشق . ١٩٦٩م
— الأمكنة والجبال والمياه . (تحقيق ابراهيم السامرائى)
مطبعة السعدون . بغداد . ١٩٦٨م
— الدر الدائر ، المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب .
(تحقيق بهيجة الحسنى) المجمع العلمى العراقى .
١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م

— الفائق فى غريب الحديث . (تحقيق محمد على البجاوى و
محمد أبى الفضل ابراهيم)مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

- الكشاف عن حقائق التنزيل . مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
القاهرة . ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م

- المستقصى في أمثال العرب . دار الكتب العلمية .
بيروت . ١٩٧٧م

- المفرد والمؤلف . (تحقيق بهيجة الحسنى)
مطبعة المجمع العلمي العراقي .
بغداد ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

- المفصل في علم العربية . مع ابن يعيش .
عالم الكتب . بيروت . ومكتبة المثنى . القاهرة .

- خصائص العشرة الكرام البررة . (تحقيق بهيجة الحسني)
وزارة الثقافة والإرشاد . بغداد .
١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار . (تحقيق سليم النعيمي)
احياء التراث الإسلامي . مطبعة العاني .
بغداد . ١٩٧٦م

- لباب اللغة ـ شرح المقامات ـ طبع مع المقامات .
(تحقيق محمد سعيد الرافعي) مكتبة الثقافة العربية .
١٣١٢هـ

- مسألة في كلمة الشهادة . (تحقيق بهيجة الحسني)
مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد .
١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

- مقامات الزمخشري . (تصحيح محمد سعيد الفاروقي)
الناشر مكتبة الثقافة العربية . ١٣١٢هـ

(السين)

• السجاعي ،
- حاشية السجاعي على شرح قطر الندى . الناشر المكتبة العتيقة .
الشركة المصرية للكتب العربية .
تونس . ١٣٧٧هـ ـ ١٩٤٨م

• سعيد الأفغاني .
- من تاريخ النحو . دار مكتبة الفكر . طرابلس . ليبيا .
- في أصول النحو . مطبعة الجامعة السورية .
١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م

• السكري ، أبو سعيد .
— شرح أشعار الهذليين . (تحقيق عبدالستار فراج ، ومحمود شاكر) . دار العروبة . مطبعة المدني .
سلسلة كنوز الشعر رقم ٣ القاهرة .

• سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر .
— الكتاب . مطبعة بولاق . القاهرة . ١٩١٦م

• السيوطي ، جلال الدين .
— الإتقان في علوم القرآن . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م

— المزهر في علوم اللغة . (تحقيق محمد جاد المولى وآخرين) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة .

— المطالع السعيدة في شرح الفريدة (تحقيق نبهان حسين) مطبعة دار الرسالة .
بغداد . ١٩٧٧م

— بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة .
مطبعة السعادة . مصر . ١٣٢٦هـ

— شرح شواهد مغني اللبيب . دون تعريف .

(الشين)

• الشلوبين ، أبو علي .
— التوطئة . (تحقيق يوسف أحمد المطوع)
دار التراث العربي . القاهرة . ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م

• الشهرستاني ، أبو الفتح عبدالكريم .
— الملل والنحل ، مع الفصل في الملل والأهواء والنحل .
مكتبة المثنى بغداد .

• شوقي ضيف ، (الدكتور)
— المدارس النحوية . دار المعارف بمصر . ١٩٦٨م .

(الصاد)

- الصبان ، محمد بن علي .
- حاشية الصبان على الأشموني .
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة .

(الطاء)

- الطبري ، ابن جرير .
- تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
ذخائر العرب رقم ٣٠ . دار المعارف بمصر .

(العين)

- عبد الحفيظ السطلي . (الدكتور)
- ديوان أمية بن أبي السلت . المطبعة التعاونية .
دمشق . ١٩٧٧م

- عبد الحكيم بلبع . (الدكتور)
- أدب المعتزلة . مكتبة نهضة مصر .
القاهرة . ١٩٥٩م

- عبد الحميد الشلقاني . (الدكتور)
- الأعراب الرواة . الشركة العامة للنشر والتوزيع .
طرابلس — ليبيا . ١٩٥٧م

- رواية اللغة . دار المعارف . مصر . ١٩٧١م

- رواية اللغة فيما وراء العراق . وزارة الاعلام .
وحدة التأليف والترجمة والنشر . ليبيا .

- عبد الرحمن سميط الأربلي .
- خلاصة الذهب المسبوك . مختصر من سير الملوك .
مكتبة المثنى بغداد .

- عبد الواحد وافي (الدكتور)
- علم اللغة . مكتبة نهضة مصر . لجنة البيان العربي .
القاهرة . ١٣٨٢هـ — ١٩٦٢م

• العكبرى ، أبو القاسم •

ـ مسائل خلافية فى النحو • (تحقيق محمد خير الحلوانى)
منشورات مكتبة الشهباء •حلب •

• على أبو المكارم (الدكتور):

ـ أصول التفكير النحوى • الجامعة الليبية •
مطبعة دار الثقافة • بيروت •
الناشر دار القلم • ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

• العليمى ، الشيخ ياسين •

ـ حاشية على شرح التصريح على التوضيح •
دار الفكر • بيروت •

• العينى ،

ـ شرح شواهد الأشمونى على ألفية ابن مالك •
مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه •القاهرة •

(الفاء)

• فاضل السامرائى • (الدكتور)

ـ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى •
مطبعة الإرشاد • بغداد • ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م

• فتحي عبدالفتاح الدجنى • (الدكتور)

ـ ظاهرة الشذوذ فى النحو العربى •
وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤م

ـ أبو الأسود الدؤلى ونشأة النحو •
وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤م

• الفيروز أبادى ، مجدالدين بن يعقوب •

ـ القاموس المحيط • المطبعة الحسينية المصرية •
القاهرة • ١٣٣٠هـ

(القاف)

• القزوينى ، زكريا محمد •

ـ آثار البلاد وأخبار العباد • دار صادر بيروت •
١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

• القفطى . جمال الدين .
— انباه الرواة . (تحقيق أبى الفضل ابراهيم)
دار الكتب المصرية . ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م

(اللام)

• لجنـــــــــة .
— دائرة المعارف الإسلامية باللغة العربية .
الطبعة الأولى . القاهرة . ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م

(الميم)

• مازن المبارك (الدكتور)
— الرمانى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه .
جامعة دمشق . ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م

• محمد حسنين أبو موسى .(الدكتور)
— البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى .
دار الفكر العربى . القاهرة .

• محمد حسين آل ياسين (الدكتور)
— الدراسات اللغوية عند العرب . دار مكتبة الحياة .
لبنان . ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

• محمد الخضر حسين .
— دراسات فى العربية وتاريخها . المكتب الإسلامى .
مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م

• محمد الطنطاوى (الشيخ)
— نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . مطبعة وادى الملوك .
مصر . ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م

• محمد عبدالعزيز النجار (الدكتور)
— ضياء السالك الى أوضح المسالك .مطبعة السعادة .
القاهرة . ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

• محمد عيد (الدكتور)
— أصول النحو العربى . عالم الكتب .
مطبعة دار النشر للثقافة . ١٩٧٣م

• محمد فؤاد عبدالباقى •
— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم •
دار الكتب المصرية • القاهرة • ١٣٦٤هـ ــ ١٩٤٥م

• المرادى ، حسن بن قاسم •
— الجنى الدانى فى حروف المعانى • (تحقيق طه محسن)
جامعة بغداد • ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م

• مرتضى آية الله الشيرازى • (الدكتور)
— الزمخشرى لغويا ومفسرا • دار الثقافة للطباعة والنشر •
القاهرة • ١٩٧٧م

• المرتضى ، السيد •
— أمالى المرتضى •مطبعة السعادة • الطبعة الأولى •
مصر • ١٣٢٥هـ

• المرتضى ،أحمد بن يحيى •
— المنية والأمل • شرح الملل والنحل •
تصحيح توماس آرنون ١٣١٦هـ

• مصطفى الشكعة (الدكتور)
— اسلام بلا مذاهب • دارالنهضة العربية للطباعة والنشر •
بيروت • ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧١م

• مصطفى الصاوى الجوينى • (الدكتور)
— منهج الزمخشرى في تفسير القرآن • دار المعارف •
مطبعة الرسالة • مصر • ١٩٥٦م

• المقدسى أبو/ عبدالله محمد بن أحمد •
— أحسن التقاسيم • الناشر • مكتبة خياط •
بيروت •

• المقرى ،أحمد بن محمد •
— نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب • (تحقيق احسان عباس)
دار صادر بيروت • ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م

• المقرى ، اسماعيل بن عمر .
— كتاب اللغات فى القرآن الكريم ، (تحقيق صلاح المنجد) مطبعة الرسالة . القاهرة ١٣٦٥هـ — ١٩٤٦م

(النون)

• ناجي معروف .
— عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية فى المشرق الاسلامى . مطبعة الشعب . بغداد . ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م

• النسوى ، محمد بن أحمد .
— سيرة جلال الدين منكبرتى . (تحقيق حافظ حمدى) دار الفكر . مطبعة الاعتماد . مصر . ١٩٥٣م

• النعسانى الحلبى ، محمد بدر الدين .
— المفضل فى شرح أبيات المفصل . دار الجيل . بيروت .

(الهاء)
(الهذليون)

• الهذليون .
— ديوان الهذليين . الدار القومية للطباعة والنشر . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . القاهرة . ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م

(الواو)

• وجدى رزق غالى
— المعجمات العربية . الهيئة العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٣٩١هـ — ١٩٧١م

(الياء)

• اليافعى ، أبو محمد .
— مرآة الجنان وعبرة اليقظان . مطبعة دار المعارف النظامية . حيدر آباد . ١٣٣٩هـ .

• ياقوت الحموى .
— معجم الأدباء . دار المستشرق . بيروت .

— معجم البلدان . دار صادر بيروت . ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م

• يوسف اليان سركيس .
— معجم المطبوعات العربية . مطبعة سركيس . مصر . ١٣٤٦هـ — ١٩٢٨م

تمـــــت

فهرس الموضوعات

تمت بحمد الله